مكتبة الطفل النفسية والتربوية

مشاكل الاطفال..! كيف نفهمها ؟

المشكلات والانحرافات الطفولية وسبل علاجها

د. محمد ايوب شحيمي

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار الفكر اللبناني
للطباعة والنشر
كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان
هاتف: ٦٣٠٩٠٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣٠٧٥٧
ص.ب: ٦٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠

الطبعة الأولى ١٩٩٤

الإهداء

- إلى زوجتي
- أُمٌّ ومربية الشباب والصَبايا ، وقد أحسنت وأتقنت دورها التربوي . حيث تشرف اليوم على تخرجهم من الجامعات الواحد تلو الآخر ، بإيمان وثبات وبمحبةٍ تمنحها لهم بمقدار وتقف بحزم عندما يتطلب الأمر ذلك .
- إليك أيتها العزيزة ، وقد أتحتِ لي فرصة الاغتراب والإنتاج ، لتقومي بنفسكِ بأعباء وهموم العائلة .
- وحيث أنه «لا خيل عندي أهديكِ ولا مال» فإني

أهديكِ

هذا المؤلف المتواضع ، وأنا على ثقة بأنه سيكون بديلاً «للأسوارة الذهبية» التي كنت قد وعدتكِ بها ، وهو الوعد الذي لم أستطع الوفاء به .

بيروت في 4-4-1994

كلمة شكر

وأنا أنهي إعداد هذا المؤلف ، أتوجه بالشكر .

- إلى جميع الأصدقاء ، من الزملاء الأساتذة ، الذين أبدوا ملاحظاتهم القيمة ، حول بعض الموضوعات الواردة ، وقد أخذت بمعظمها .
- وإلى الأخوة العاملين في مكتبة الجامعة في القسمين العربي والأجنبي ، لسهرهم الدائم على راحة المطالعين ، والباحثين وتسهيل الخدمات الثقافية .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

موضوع دراسة الأطفال ، شيق وشائك ، تتداخل فيه وككل موضوع نفسي ، العوامل الوراثية والتربية الأسرية ، والمحيط الاجتماعي والبيئي ، فضلاً عن التوجيه المدرسي .

وللأطفال عالمهم الخاص ، الذي يختلف عن عالم الراشدين ، وعالمهم هذا ، عالم له مواصفاته ونكهته وحلاوته ، وأهميته ، وفي هذه المرحلة تتشكّل النواة الأولى والخطوط العريضة لشخصية الراشد التي سيصير إليها الطفل .

ونحن لا نستطيع الولوج إلى عمق عالم الطفولة بالاستبطان ، واستعادة صورنا الطفولية الباهتة لمرور الزمن ، لنبني على أساسها قواعد سلوكياتنا ومعاملاتنا مع أطفالنا فالنظرة إلى الطفل كراشد مصغر قد ولت ، بعد الدعوة إلى ترك الأطفال يعيشون طفولتهم والقول باختلاف عالم الطفولة ، عن عالم الراشدين . ولا يمكن لهذه الطريقة الاستبطانية أن تحل مشكلات الأطفال ، وذلك بعد التطور الذي طرأ على المجتمعات في جميع الميادين ، وبعد سيطرة المقولة بأن ـ الإنسان هو ابن بيئته ـ على أذهان الناس .

ولما كان للتربية دور بارز في تشكيل شخصية الطفل وحمايتها من الانحراف ، أو معالجة هذا الانحراف في حال حدوثه ، فقد علا من أجل ذلك

صوت ـ روسو ـ بأن أعطوني طفلين لأصنع من أحدهما ملاكاً ومن الآخر شريراً . ونحن وإن كنا نقف موقف الحذر من هذا القول . فلا يمكن أن نغفل إسهام المؤسسات التربوية المميز في هذا المجال .

ولما كان الأطفال أقل مقاومة وأكثر تأثراً لكل ما يحيط بهم من أشياء وأحياء ، وهم الصفحة البيضاء التي تنطبع عليها جميع النقوش إلى جانب ميزة التقليد والمحاكاة فقد رأينا أن يكون اهتمامنا بالأطفال هو الاهتمام بالمجتمع ككل ، فهم يشكلون مستقبلنا ، وغدنا الذي نريده مشرقاً ، خالياً من الهموم والمشكلات .

إن الاهتمام بدراسة الطفل أمر واجب على المدرسين والآباء ، فلم يعد من الجائز أن يترك للصدفة ، وللأقدار تحت شعار ـ كما تربينا يتربون ـ أو ـ كما نشأنا ينشأون ـ ولقد تنبّه الكثيرون من رجال السياسة والتربية والاجتماع إلى أهمية هذا الموضوع فأولوه العناية الكافية ، بعد أن وجدوا أن لا سبيل إلى بناء جيل المستقبل السعيد إلاَّ بتهيئة الأطفال وإعدادهم إعداداً سليماً ، والعمل على معالجة مشكلاتهم وانحرافاتهم ، لأنه يصعب اقتلاع أو اجتثاث جذور المشكلة بعد أن تتجذر في نفس الراشد ، بالإضافة إلى ما يتركه إهمال شأن الطفولة من آثار سيئة على المجتمع ، وعلى الشخص نفسه ، فيجهل عمله ، وتقل إنتاجيته ، ويتحول إلى عضو طفيلي في مجتمعه لا حول له ولا قوة ، وفي ذلك خسارة اقتصادية للوطن وللأمة .

والدراسات لم تتوقف حول الطفولة ، فهي كثيرة ومتنوعة ، فمنها ما بالغ أصحابها في التفاؤل وأبدوا الحماس في تبني بعض الأنماط والأساليب السلوكية معتبرينها (الوصفات السحرية) التي ستزيل كل الآثار والبصمات السيئة التي تترك على صفحة الطفولة البيضاء ، ونقل هؤلاء خبرات العلماء الغربيين مقتبسة أو مترجمة في هذا المجال ، ليلبسوها ثوباً شرقياً عربياً ، ويقدمونها على شكل وصفات شافية .

ولم يتردد بعض الدارسين في نقل خلاصة الاختبارات التي أجريت في هذه البلدان معتمدين النتائج الإحصائية بالأرقام ليخرجوا منها قوانين تصلح لأطفالنا في هذا الجزء من العالم .

لكن وكردة فعل على هذا الاستيراد التربوي للنظريات ، والتي لم تكن في الغالب مناسبة لأطفالنا ولمجتمعاتنا ، فقد قام فريق من العلماء الأجلاء في حقول التربية والتعليم والمجالات النفسية ليجروا الدراسات الميدانية في كل من مصر وسوريا ولبنان ، ويخرجوا بنتائج يمكن وصفها بأنها ممتازة ، وهي أكثر فائدة ، وأكثر مردوداً ـ من الوجهة التربوية ـ والعملية من النظريات المستوردة فأغنوا الدراسات النفسية والتربوية بمؤلفات وأبحاث قيمة ، توقفنا عند بعضها باحترام وإعجاب ، وأخذنا من بعضها ، وتحفظنا على بعضها الآخر ، لكن هذا التحفظ لا يقلل من أهميتها وفعاليتها ، فقد يكشف المستقبل القريب عن صحة ما لم نره صحيحاً أو العكس .

إن هذه (الورشة) النشطة في مجال الدراسات النفسية والتربوية سيكون لها تأثيرها الإيجابي على تطور مجتمعاتنا من خلال بلورة المفاهيم التربوية ، وارتقاء النظرة إلى الطفل والتعامل معه .

من هذا المنطلق ، ومن موقعي في المجالين التربوي والتعليمي وعبر ثلاثة عقود ، فقد رأيت أن أسهم بإضافة مدماك متواضع في ذلك البناء الضخم الذي يشارك فيه هؤلاء العلماء الأجلاء مستفيداً من الخبرة الميدانية في البيت والمدرسة والجامعة حيث يتدرج أبناؤنا بين المحطات. وتحت إشرافنا ليجتازوا ، ويأخذوا دورهم في المجتمع ، وليسهموا في عملية الإصلاح والبناء متفاعلين مع الوسط الذي يعيشون فيه تفاعلاً إيجابياً خيراً .

وككل راغب في أن يكون عمله نافعاً ومفيداً ، فقد أردت أن أعالج بعض المشكلات التي تعتبر جوهرية وأساسية ، والتي لا تكاد تخلو منها أسرة أو

مدرسة . مشكلات هي كثيرة الانتشار في مجتمعاتنا وإن تفاوتت في حدتها وتأثيرها بين طفل وآخر ، بين أسرة وأسرة ، بين مدرسة ومدرسة .

واعتماد عنوان ـ انحرافات الأطفال ـ يشير بشكل ضمني وغير مباشر إلى وجود خط واضح وسليم يمكن أن يسير عليه الأطفال ، كخط القطار الحديدي ، وفي حال الخروج عن هذا الخط يكون خطر التعثر والانزلاق والتهور والانحراف بمعناه العملي ، والذي يقدر عادة بمقدار الانحراف الحاصل .

والحقيقة أن الأمر ليس حقيقياً إلى هذه الدرجة ، وقد يحمل ذلك نوعاً من الغرور ، أو زيادة الثقة بالطرق التربوية وسلامتها وصحتها ، وبالتالي فإنه ليس كل خروج عن المألوف يجب أن يعد انحرافاً ، عن الخط ويهدد بالكارثة ، فقد يكون الخروج هذا إبداعياً وتجديداً وابتكاراً ، وهذا ما يمثله المبدعون من الأطفال في مختلف المجالات لذلك أردت أن أوضح الفرق بين الانحراف والمشكلات التربوية ، إذ خصصت لكل منها فصلاً خاصاً ، وموضوعاً مستقلاً يعالج بعيداً عن التأثيرات المتنوعة وخلال المعالجة ، أخذنا بالاعتبار مسألة الفروق الفردية بين الأطفال ، والفروق في طبيعة الحالة ، ورأينا أن نشير إلى أن الأمر ليس على هذه الدرجة من الخطورة ، فما دام هناك أطفال يولدون ، فهناك مشكلات تربوية ، وهناك حلول وبطبيعة الحال فإن ذلك لا يعني العودة إلى اتباع الوسائل التقليدية المتمثلة في قولهم ـ «كما تربينا يتربون ـ» فلا بد من البحث والتوجيه والتقويم كلما دعت الضرورة إلى ذلك وبمختلف الوسائل .

وقد رأيت أن أقسم هذه المشكلات إلى قسمين ، القسم الأول يبحث في المشكلات التي ترصد عادة في المدرسة ، والمتمثلة في التأخر الدراسي ، وصعوبة النطق ، والسرقة والتخريب ، والعناد والتمرد . أما القسم الثاني فيبحث في المشكلات الطفولية التي تختص بالمنزل أو الأهل وهي : المخاوف ، والتبول اللاإرادي ، ومص الأصابع وقرض الأظافر ، والنوم ،

وفقدان الشهية للأكل ، والغيرة والعصاب .

وتقسيم المشكلات إلى هذين القسمين ، بين المدرسة والمنزل ، لا يعني على الإطلاق التقسيم ، القطعي بينهما . فلا بد من الإشارة بأن التقسيم هذا كان لغرض منهجي تقتضيه طبيعة المشكلة ، إذ مما لا شك فيه أن آثار هذه المشكلات بشقيها يمكن رصده في كل من البيت والمدرسة ، ومشكلة الطفل تتشكل بفعل التربيتين المنزلية والأسرية ، ومن أجل ذلك يقتضي التنسيق والتعاون بين هاتين المؤسستين ، لأن الطفل كلٌّ لا يتجزأ ، إلى أجزاء : جزء تصلحه المدرسة ، وآخر يصلحه البيت ، وثالث يصلحه المجتمع .

ورأيت كذلك أن أعالج في الفصل الثالث ، وفي موضوع مستقل ـ العدوانية والجنوح ـ لأميز بينها وبين العناد والتمرد الذي يعتبر ظاهرة عامة عند الأطفال .

وعنيت بالعدوانية هذه المرة ، تلك العدوانية الممهدة للجنوح وليست العدوانية المحدودة الطبيعية التي أشرنا إليها في الفصل الأول ، والتي يعتبرها الأهل ظاهرة طبيعية في المنزل تتمثل في الشجار بين الأخوة ، بقصد التنافس أو بسبب الغيرة .

بعد ذلك انتقلت في الفصل الرابع إلى الحديث عن عملية التوافق المدرسي والمثابرة .

وانتقالاً من الصور السوداء القاتمة للمشكلات ، فقد عالجت في الفصل الخامس : الصحة النفسية للأطفال والتي تشكل وقاية لهم من الانحراف وتخطيطاً سليماً لشخصياتهم وتكاملها وخلوها من الصراعات والتفكك ، وهذا ما أردت معالجته في الفصل السادس تحت عنوان الاهتمام بالشخصية .

ولما كان لا بد من التمييز بين الشخصية السوية وغير السوية ، وتمييز التلامذة وتصنيفهم في الفصول ، فقد أثبت في الفصل السابع ليكون فيه حديث عن الاختبارات والتقويم .

وإنني أضع هذه الموضوعات بين يدي القارىء الكريم . وقد اعتمدت كما أشرت على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية للإفادة منها بقدر الإمكان وخاصة في ما يتلاءم منها مع مجتمعاتنا ، ومع أنماطنا التربوية .

وآمل أن أكون قد أضأت شمعة متواضعة في دروب السالكين في معارج التربية والله من وراء القصد .

محمد أيوب شحيمي

بيروت في 4-4-1994

الفصل الأول
المشكلات المدرسية
للأطفال

أ - التأخر الدراسي
ب - صعوبة النطق
ج - الكذب
د - السرقة
هـ - التخريب
و - العناد والتمرد

ـ أ ـ

التأخر الدراسي

ارتبطت مسألة التأخر الدراسي في أذهان المدرسين والوالدين بالمفاهيم الخاطئة ، كالغباء والتخلف العقلي . وهذا الحكم هو بطبيعة الحال حكم عشوائي ومتسرع إذ يمكن أن يفهم التأخر الدراسي عند الطفل على أنه تأخر في التحصيل بالقياس إلى أقرانه لأسباب قد تكون آنية ، وربما يكون لها ما يبرّرها . فربما كان التأخر الدراسي ناتجاً عن عجز حسّي أو جسمي ، أو نقص اجتماعي . والحقيقة أن ظاهرة التأخر الدراسي ظاهرة معقدة ، تختلط فيها العوامل البيئية مع بعض العوامل الاقتصادية والأسرية والمدرسية ، وقد تعود إلى التلميذ نفسه حيث يعاني بعض المشكلات التي ينتج عنها التأخر الدراسي .

من أجل ذلك يجب النظر إلى هذه الظاهرة نظرة شمولية ، حتى لا نقع في أخطاء الأحكام العشوائية . فالموضوع دقيق وهام يتعلق بمستقبل أبنائنا ، وبتوافقهم الاجتماعي والمهني ، فالتأخر الدراسي يستتبعه فيما بعد التوتر والاضطراب التوافقي فالانحراف بمختلف أشكاله . ويمكن إيجاد التخلف أو التأخر الدراسي بما يلي :

أ ـ العوامل الصحية والجسمية .

ب ـ العوامل العقلية .

ج ـ العوامل النفسية .

د ـ العوامل الاجتماعية ، سواء ما يعود منها إلى المنزل نفسه ، أو ما يعود إلى الوسط الاجتماعي .

هـ ـ العوامل العائدة إلى المدرسة .

ـ العوامل الجسمية والصحية :

غالباً ما يتأخر المصابون بالأمراض الجسمية كالحميات والأنيميا في تحصيلهم الدراسي ، وتتسبب عيوب النطق أيضاً في توتر علاقات الطفل مع معلميه ورفاقه فيقل تحصيله ويتأخر دراسياً .

ـ العوامل العقلية :

قد تكون أسباب التأخر الدراسي متعلقة بنقص المقدرة على التركيز أو بتدني درجة الذكاء ، وإن كانت الدراسات مؤخراً قد كشفت عن عدم الترابط الضروري بين الذكاء والتحصيل المدرسي .

ـ العوامل النفسية :

الأطفال ، المصابون بالخمول والانطواء ، والإحباط ، وفقدان الثقة بالنفس ، بالإضافة إلى سوء تكيفهم ، هم منسحبون لا يمتلكون عنصر المبادأة أو المبادرة ، كذلك فإن عدم النضج الانفعالي يعتبر واحداً من أبرز المسببات النفسية في التأخر الدراسي ، كما أن إصابة الطفل بمشكلات نفسية أخرى كقضم الأظافر والتبول اللاإرادي ، والكذب والعدوانية ، وهي مشاكل نتناولها بالبحث ـ قد تكون سبباً في تأخر الطفل الدراسي ، إذ تمتص الكثير من جهده ونشاطه وتفقده الحماس للتحصيل الدراسي .

ـ العوامل الاجتماعية :

أولى هذه العوامل ، تلك المتعلقة بالمنزل المضطرب فلطالما ألمحنا ـ عند التعرض لمعظم المشكلات إلى أمر هام ، وهو الجو المنزلي المضطرب ، الذي تكثر فيه المشاكل بين الأبوين ، ويسوده عدم التوافق الأسري ، فمثل هذا

المنزل ينتج في غالب الأحيان الأطفال العاجزين عن التحصيل الدراسي بطريقة كامنة وصحيحة ، نتيجة الانطوائية واليأس اللذين تسببهما المشاحنات عند الأطفال . والثابت أن هذه الأجواء المضطربة في الأسرة هي السبب الأساسي في نشوء الكثير من المشكلات للأطفال . من جهة أخرى فإن طموح الآباء الزائد وضغطهم الشديد على أطفالهم من أجل التحصيل العالي يتسبب في رد فعل معاكس فيتأخرون دراسياً وخاصة إذا لم تكن قدرات الأطفال كافية لتحقيق طموحات هؤلاء الأهل الغيورين على تقدم أبنائهم ، وربما ينسى هؤلاء الأهل أن الله سبحانه وتعالى **﴿لا يكلف نفساً إلاَّ وسعها﴾** ! . وثاني هذه العوامل هي تلك المتعلقة بالبيئة ، فبعض البيئات الفقيرة ، تكلف أولادها بالعمل في أوقات فراغهم المدرسي ، بقصد المساعدة في الإنتاج الزراعي أو غيره على حساب الوقت المخصص للمذاكرة والمراجعة . كما تسود في هذه الأوساط نظرة تفضيل الذكور على الإناث ، فتنشأ الأنثى منطوية تشعر بالنقص والمهانة بالقياس إلى أخيها ، فيكون ذلك سبباً من أسباب تأخرها الدراسي ، وإن كنا نرى أحياناً ردود فعل عكسية على هذه النظرة إلى الفتاة التي تتحول إلى مضاعفة النشاط للتفوق على الذكور ، وهذا ما بدأ يحدث في معظم المجتمعات المنفتحة التي أتيح فيها للفتيات أن يتساوين مع الفتيان .

ـ العوامل العائدة إلى المدرسة :

ليست جميع المدارس هي على نفس المستوى من حيث الأجواء المدرسية السائدة في داخلها ، وإن كانت تبدو لنا من الخارج متشابهة في بنائها وغرفها وملاعبها ، وتلامذتها ، ومدرسيها ، فهذا التشابه ليس سوى تشابه ظاهري . والواقع أن مدارس كثيرة تفتقر إلى الأجواء التربوية السليمة ، حيث يسود التشاحن والاضطراب بين المدرسين والإدارة من جهة ، أو بين المدرسين أنفسهم ، وبين المدرسين والتلامذة من جهة أخرى ، نتيجة جهل هؤلاء المدرسين لاعتماد الطرق التربوية السليمة ، وعدم إلمامهم الكافي بعلم نفس

النمو ، وعلم النفس المدرسي ، فيعاملون التلامذة بعقلية تقليدية تعود أحياناً إلى مفاهيم القرون الوسطى ، بالإضافة إلى ذلك تنعدم في بعض هذه المدارس الوسائل التربوية الكافية . كالسبورة الصالحة والخرائط العلمية والجغرافية ، وباقي التجهيزات وهذا كله من شأنه أن ينعكس سلباً على دافعية التلميذ وإقدامه وتحصيله .

فالأجواء المدرسية تسهم إلى حد بعيد في دفع التلامذة إلى التحصيل والتقدم ، كما تعمل من ناحية أخرى على تنفيرهم وتأخرهم الدراسي إذا أُسيء استخدام الطرق التربوية العصرية أو انعدم استعمالها ، كذلك فإن ظاهرة غياب المدرسين لأسباب متعدّدة ، ومناقلاتهم خلال العام الدراسي تزيد في بلبلة الأجواء المدرسية ، واضطرابها مما يتيح الفرصة للتلامذة المتوسطين أن يتحولوا إلى متخلفين دراسياً وقد ينتهي بهم الأمر إلى ترك المدرسة نهائياً . إن مثل هذه الأجواء المدرسية تعتبر من أبرز أسباب التأخر الدراسي ، والأخطر من ذلك ، وكوسيلة تعويضية يلجأ المتأخرون دراسياً إلى الشغب والمشاكسة داخل الصف والعمل على تعطيل الدروس وتعكير أجواء المدرسة عامة .

والمدرسة التي لا تشبع مناهجها وخبراتها المدرسية حاجات وميول التلامذة ، فهي تؤدي بهم إلى التخلف الدراسي . وكذلك اعتماد القصاص البدني ، وإن كان في نظر بعض المربين ينفع كعلاج للكسل ، بالنسبة لبعض التلامذة على الأقل ، غير أن هذا النوع من القصاصات يؤدي في أحيان كثيرة إلى عكس الغاية المرجوة منه أي إلى التأخر الدراسي بل وللهرب من المدرسة .

وقد تبين من ناحية أخرى أن هناك علاقة بين التحصيل الدراسي وبين مستوى تعليم الآباء والأمهات ، فقد أثبتت دراسة قام بها أحد الأخصائيين التربويين، بأن هذه العلاقة هي علاقة موجبة . فنسبة الأميين بين آباء المتأخرين دراسياً هي نسبة مرتفعة ، وهذه الدراسة شملت الجنسين في الريف والمدينة .

وتبين كذلك وجود علاقة بين مستوى دخل الأسرة وبين درجة التحصيل الدراسي حيث إن عوامل الدخل الاقتصادية تؤثر تأثيراً كبيراً على تحصيل الأبناء الدراسي ، حتى إن العلاقات الاجتماعية للمتفوقين دراسياً والنشاطات القائمة فيما بينهم تختلف عنها عند المتأخرين دراسياً ، كما أظهرت الدراسة ذاتها عن وجود ارتباط بين التأخر الدراسي والعدوانية والتخريب وهذا يؤكد من جديد ، أن المتفوقين دراسياً هم أكثر تكيفاً مع المجتمع من زملائهم المتأخرين دراسياً .

السمات العامة للمتأخرين دراسياً

أ ـ السمات الجسمية :

لوحظ أن معدل النمو لدى الأطفال المتأخرين دراسياً ، هو أقل من النمو عند زملائهم المتفوقين رغم أن الفوارق الظاهرية ليست ملحوظة ، وإن كانت بعد فحص العينات التجريبية تظهر أن المتأخرين دراسياً هم أقل طولاً وأثقل وزناً مع نضوج جنسي مبكر ، ويقومون بحركة عصبية لا غاية منها تدل على عدم استقرارهم وثباتهم . كما لوحظ إصابة معظمهم ببعض الأمراض قبل دخولهم إلى المدرسة . أو أصيبوا ببعض المشكلات الدراسية الأخرى (كضعف السمع ، أو ضعف البصر ، أو الروماتيزم) وهذه كلها إشارات إلى ارتباط بين السمات الجسمية والتأخر الدراسي .

ب ـ السمات العقلية :

يمتاز المتأخر دراسياً بضعف الذاكرة ، وضعف القدرة على التركيز وتشتت الانتباه ، لكنه في الغالب أكثر ميلاً للأمور العملية والأشغال اليدوية ، فلا طاقة له على حل المشكلات العقلية أو المسائل التي تتطلب تفكيراً مجرداً ، وهو يتميز ببطء التعليم ، وبضعف القدرة على التحصيل .

ج ـ السمات الانفعالية :

المتأخرون دراسياً يميلون إلى العدوان على السلطة المدرسية ، ويتسمون بالبلادة والاكتئاب والقلق ويسترسلون أحياناً في أحلام اليقظة ويعانون من الاضطراب الانفعالي وعدم ثبات الانفعالات لوقت طويل ، كما يعانون من الشعور بالذنب ، ومن المخاوف نتيجة لإحساسهم بالفشل واتجاهاتهم سلبية نحو رفاقهم ونحو ذويهم كذلك .

د ـ السمات الاجتماعية :

هم لا يولون أهمية للعادات والتقاليد ، ولا يشعرون بالولاء للجماعة ، ولا يتحملون المسؤولية ، صداقاتهم متقلبة لا تدوم كثيراً ، رغم أنهم هم الذين يتخذون المبادرة في غالب الأحيان لإنشاء هذه العلاقات ، وهم أقل تكيفاً مع المجتمع من رفاقهم المتفوقين دراسياً ، وتعوزهم السمات القيادية ، ويسهل انقيادهم نحو الانحراف ، وتقلب المتأخرين دراسياً من الوجهة الانفعالية يزيد من فرص انحرافهم وهم أكثر قابلية لذلك من الأطفال الأسوياء دراسياً .

العـلاج :

يمكن الوقاية من التأخر الدراسي ، من خلال الاهتمام ـ وفي وقت مبكر من حياة الطفل ـ والتعرف على حالات الضعف عنده ، ومن أجل ذلك :

ـ يجب تأمين الأجواء الاجتماعية السليمة .

ـ العمل على تجنب الإصابات في الرأس خشية إصابة المخ ببعض الارتجاجات .

ـ تنمية روح الخلق والإبداع .

ـ تأمين الألعاب على أنواعها ، وإتاحة الفرصة لتصريف النشاط .

أما إذا ظهرت حالات التأخر الدراسي فيمكن اعتماد العلاج المباشر مثل :

ـ مراجعة المناهج وطرق التدريس ، لتقديمها للطفل بشكل مناسب .
ـ إقامة برامج خاصة لمساعدة المتأخرين دراسياً .
ـ إشغال التلميذ بالأنشطة المدرسية ـ على طريقة المشروع ـ .
ـ الابتداء بتعليمه من السهل إلى الصعب ، ضمن برامج مخططة سلفاً .
ـ استخدام الوسائل التعليمية الأكثر فعالية وبشكل مكثف كالأجهزة السمعية والبصرية والاهتمام بالمحسوسات أكثر من المجردات ، على اعتبار أن المعلومات تقدم للطفل عادة بالتدريج ، من المحسوس إلى نصف المحسوس ، إلى المجرد .

ويمكن لوسائل العلاج أن تتم في داخل المدرسة ، أو في خارجها ، وفي العيادات ومراكز الإرشاد النفسي .

ونلفت النظر هنا إلى أنه ليس من الضروري إعطاء نصوص كثيرة للطفل ، وهو في طور العلاج إذ أن تعريضه للفشل عدة مرات يقتل في نفسه الطموح ، وفقدان النجاح لمرات متكررة يتسبب في عدم الإقدام والخوف من فشل جديد ، ويمكن كذلك معالجة الأطفال المتأخرين دراسياً بواسطة الألعاب التربوية المزدوجة الفائدة (تساعد على تصريف النشاط ، وتكسب دروساً عملية في الوقت نفسه) .

مشكلة الهروب من المدرسة

هذه المشكلة تعد مشكلة اجتماعية ـ تربوية ، وبالتالي اقتصادية ، تقلق الكثيرين من الأهل ورغم أن النسبة التي تشير إليها الإحصاءات لحالة الهروب من المدرسة هي نسبة ضئيلة ، لكن ذلك لا يمنع كونها مشكلة ، يجب البحث عن أسبابها وجذورها لمحاولة علاجها ووضع حد لها ، خاصة وأن الهاربين من المدرسة سيشكلون دفعاً جديداً لعدد الأميين الجاهلين في المجتمع أو قد ينحرف قسم كبير منهم إلى أعمال تضر بهم شخصياً وتلحق ضرراً بالمجتمع .

ويلاحظ أنه في المناطق المتخلفة لا يبدي الأهل كثيراً من الاهتمام لمسألة ترك الدراسة في المرحلة الابتدائية طالما أن أولادهم يقومون بمساعدتهم في العمل الزراعي أو التجاري وبالتالي فهم في نظرهم ـ منتجون ـ ويغيب عن بال هؤلاء الأهل أنه لو أتم هؤلاء الأطفال تعليمهم لكانوا من المنتجين أكثر ، ولكانوا من المساهمين أكثر في تطور المجتمع وكانوا أقدر على التعامل مع المحيط الذي يعيشون فيه .

أسباب الهروب من المدرسة :

أسباب الهروب من المدرسة كثيرة منها :

أ ـ الأسباب الصحية :

قد يضطر الطفل للغياب لأسباب صحية بدافع المعالجة والنقاهة (الاستراحة في البيت) لفترات متعددة ، مما يجعله يتأخر عن اللحاق برفاقه الذين نالوا قسطاً أكبر من التعليم ، وشُرح لهم المزيد من الدروس ، مما يتسبب في تخلفه في بعض أو معظم المواد ، حيث ينال الدرجات المنخفضة ، فيشعر بالإحباط والفشل ويتوتر ، ولا يجد أمام هذه الحالة النفسية الأليمة مندوحة من ترك المدرسة ، والهروب من واقع لا يرضاه ولم يستطع معالجته بطرق منطقية واعية . وهذا النوع من الهروب دليل على سوء التكيف مع الجو الدراسي السائد في الصف .

ب ـ المعاملة السيئة :

وقد تكون المعاملة السيئة ، أو القاسية ، والسخرية من قبل المدرسين والمسؤولين التربويين هي السبب في الهروب ، للتخلص من الإهانة والقصاص وذلك كما نرى في هذه الحالة من حالات ترك المدرسة ، التي عرضت عليّ خلال عملي التربوي . وهذا موجز لوصف الحالة :

«. . . كان خليل تلميذاً مجتهداً في المرحلة الابتدائية ، وهو محط أنظار

الرفاق جميعاً يأمر فيطاع ، يحظى باحترام من هم في سنه ، وهم يولونه أمر تنظيم اللعب والرحلات يُصلح بين التلامذة إذا ما حدث خصام بينهم ، مسموع الكلمة ، كل سماته تؤهله للقيادة ، الأول في تصنيف الدرجات . كل المعلمين في المدرسة يعرفون همته ونشاطه وخليل هذا في الصف الرابع الابتدائي ، من أسرة فقيرة تعلق أهمية كبرى على نجاحه يتيم الأب ، تعمل والدته في الحقل ، وفي تربية الأبقار وبيع حليبها لتنفق عليه وعلى أخوته . لم تقم حفلة من الحفلات المدرسية إلاّ وكان نجماً من نجومها .

لعدة أيام متوالية تبدل أمر خليل فقد أهمل دروسه وفروضه المدرسية وانطوى على نفسه . لم تدرس حالته الاجتماعية في الوقت المناسب ، لم تجرِ إدارة المدرسة حتى مجرد استقصاء للأسباب الجوهرية الكامنة وراء هذا التحول المفاجىء نحو الأسوأ والمدرسة بعيدة عن المدينة ، في قرية نائية ، وعالج المدير المشكلة بالطريقة التقليدية المتوفرة لديه والتي يعتقد أنها الأنفع والأجدى ، فقد استدعى المدير «خليلاً» وأراد أن يجعل منه عبرة لمن يعتبر ـ كما وصف ذلك المدير بالنص الحرفي ـ وجال به على جميع غرف المدرسة ، وكان كلما دخل صفاً من الصفوف أشار إلى خليل باحتقار : . . . هذا هو المجتهد سابقاً وقد تحول إلى (. . .) كلمة تحقير مشينة بالكرامة الإنسانية . وطلب إلى التلامذة أن يصفقوا له ولكن بأرجلهم تحقيراً ، وطلب إليهم أن يسخروا منه ويضحكوا . ورأى التلامذة الأشقياء في ذلك فرصة للضحك والفوضى في حين كان يتمزّق خليل غيضاً وحقداً وانتقاماً فما إن اكتملت جولة الإذلال المرعبة هذه ، حتى أطلق ساقيه للريح ، وكان الانصراف أو الهروب النهائي من المدرسة ، وأعقب ذلك مساء بجولة انتقامية من جميع الذين ضحكوا عليه وسخروا منه . ولم تفلح جميع المحاولات الرامية لإعادته إلى المدرسة كما فشلت جميع وسائل الإغراء . . . وترك المدرسة وإلى الأبد . . . » .

ومتابعة للحالة . فخليل هذا الذي غادر المدرسة على أثر الصدمة التي صفعت كبرياءه لا يزال حتى اليوم وقد أصبح رجلاً تبدو عليه ملامح الذكاء التي كان يمتلكها ، وهو رجل ناجح اجتماعياً واقتصادياً وعائلياً . استعاد موقع الثقة والتقدير من عارفيه الكبار ، ولكنه لا يزال يشعر بالأسى وبمسحة من الألم نتيجة عدم إتمامه لدراسته أسوة بزملاء كان أكثر منهم نشاطاً واجتهاداً .

ليست القصة من نسج الخيال ، بطلها ما زال حتى اليوم شاهداً على سوء التصرف التربوي فلو حاولنا تحليل هذه الحالة والخروج بخلاصة لبدا لنا ما يلي :

1 ـ إن أسلوب التحقير (وهو عقاب نفسي قاس) هو أسلوب خاطىء ، ظالم بعيد عن المفاهيم التربوية ، ويزيد من النقمة والنفور .

2 ـ كان على المدير أن يحيط التلميذ بعطفه وبمحبته ويذكره بإنجازاته المشرقة السابقة ، ويكتفي بتوجيه اللوم الرقيق ، ويتسامح معه ويقبل عذره .

3 ـ كان على المدير أن يفتش عن الأسباب الجوهرية الأساسية والتي لم يقلها التلميذ وهي التي أدت إلى التغيير والكسل والتأخر ـ وهذا أمر يعتبر عارضاً ـ فهو لو فعل ذلك لتبين له أن ظروفاً اجتماعية قاسية يمر بها البيت ، فهناك نزاعات عائلية خطيرة بعد وفاة الأب تهدد بتفكك العائلة. حيث تقوم نزاعات بيْن (عم خليل) شقيق والده ، وبين والدة خليل ، حيث يطمع هذا العم بالاستئثار بتركة أولاد أخيه اليتامى وحرمانهم من حقهم ، والنزاعات ما زالت على أشدها ـ هذا ما علمته عن تفاصيل المشكلة بعد فوات الأوان .

4 ـ لو كان للمدير الثقافة التربوية الكافية لقام بنفسه بدراسة الحالة أو أحالها على مرشد تربوي للنظر فيها .

5 ـ لو اطلع المدير على ملف التلميذ السابق ، لوجد أنّ هذه الظاهرة هي

جديدة ودخيلة على واقعه المدرسي ، وهي جديرة بالنظر ، ويجب وضع علامات الاستفهام حولها للوصول إلى الإجابات الثانية .

6 ـ يلام المدرس الذي أحال القضية إلى المدير ، فالمدرس هنا يوقع صكاً بعجزه أو اعترافاً بإهماله ، وعدم رغبته في معالجة أمور الطلاب الكسالى أو الذين يمرون في ظروف استثنائية .

ولو حاولنا أن نبحث عن حالات مشابهة ، لوجدنا كثيراً منها . وكما أن أخطاء الأطباء يدفنها القبر ، فأخطاء المدرسين يدفنها الزمن ، وتندرج ظلماً وتعسفاً بعد ذلك تحت عنوان : الولد كسول وليس يستأهل العلم ، والحقيقة ربما تكون معكوسة ، فالمعلم ليس معلماً والولد هو الضحية .

ج ـ عدم ملاءمة المقرر :

وفي أسباب أخرى نجد أن بعض التلامذة لا تلائمهم دراسات نظرية معينة فيسأمون ويملون ، ونتيجة غياب التوجيه التربوي والمهني يلجأون إلى الوسيلة السلبية المتمثلة في ترك المدرسة عن طريق الهروب ، في الوقت الذي كان يمكن فيه تفادي هذه المشكلة من خلال إعادة النظر في المقررات .

د ـ عدم النضج العقلي الكافي :

بعض الأطفال يرسلون إلى المدارس في سن مبكرة ، وقبل الوصول إلى مرحلة النضج العقلي والانفعالي . حيث لم تتكون لديهم بعد فكرة صحيحة عن التعليم وفوائده في مرحلة الروضة أو المرحلة الابتدائية ، ولا يفقهون من المدرسة إلاَّ أنها مصادرة لحريتهم وقمع لرغباتهم وتجاهل لمتطلباتهم ، فيذهبون إليها مكرهين ، ينتظرون أول فرصة تتاح لهم لتحطيم هذا الطوق ، فيتركون المدرسة .

والمؤسف في الأمر أن الأهل غالباً ما تكون أحكامهم على هذا السلوك غير صحيحة ، وغير واعية ، فيقومون بعملية قمع وضغط مضادة لإعادة الطفل

إلى المدرسة فيستبدلون مشكلة الهروب بمشكلة أخرى هي مشكلة التخلف الدراسي والرسوب . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن النضج لا يعني بالضرورة بلوغ سن معينة تؤهل الطفل لدخول المدرسة ، فالمقصود بالنضج هو النضج النفسي والعقلي والانفعالي والذي يعتبر شيئاً أبعد من العمر الزمني ونسبة الذكاء . والاستعداد للتعلم يعتمد أيضاً على العامل المعرفي والعامل الاجتماعي أو النضج الاجتماعي ، وغالباً ما يكون ذلك كله مسبوقاً بالتمرين والتدريب والتلامذة الذين يفشلون في دراستهم هم في غالبيتهم من أولئك الذين لم يكن لهم حظ العناية من الوسط الأسري ، ولم يتم تزويدهم بفكرة مسبقة عن المدرسة وفوائدها .

والسائد اليوم أن الأهل يتعجلون في إرسال أولادهم إلى المدارس ، ويفرحون جداً إذا ما أرسلوا في سنوات مبكرة بل ويفاخرون في ذلك ، ويدَّعون أن أطفالهم ناضجون واعون ويعبرون عن ذلك بقولهم (هم أكبر من عمرهم) وربما يعنون بذلك أن العمر العقلي عند الواحد منهم هو أكبر من العمر الزمني ، ويتصرف الأهل كذلك وكأنهم في مجال السباق ، والذي يدخل هذا الميدان قبل غيره من الأطفال يتخرج قبله أو يصل قبله . وفي ذلك حسب وجهة نظرهم نوع من السبق وكسب الوقت ، وتوفير سنة من سنوات العمر يخشى أن تذهب هباءً كما يدعون .

لكن من وجهة النظر التربوية فإن دخول الأطفال إلى الروضات ، أو إلى المدارس الابتدائية قبل اكتمال النضج من شأنه أن ينعكس سلباً على هؤلاء الأطفال ، وربما يكون سبباً في تركهم للدراسة أو تأخرهم أو فشلهم المدرسي .

«وهناك اتجاه عالمي لتأخير سن الإلزام إلى ما بعد السادسة ، وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت في مجال التحصيل المدرسي أنه كلما كبر سن الطفل عند بداية دخوله إلى المدرسة الإلزامية كلما كانت فرصة نجاحه أكبر في مجال

التعليم وفي المجال الاجتماعي والانفعالي»[1] حتى أنه ثبت كذلك أن معظم الذين أدخلوا المدرسة الإلزامية قبل سن السادسة ، قد اضطر قسم منهم للإعادة ، وتأخر قسم آخر عن رفاقهم الذين دخلوا هذه المدرسة بعد سن السادسة من العمر . كل ذلك يعطينا الدليل الكافي على ضرورة التريث والتروي قبل تحديد موعد إرسال الطفل إلى المدرسة . وللأفكار التي يكونها الطفل عن المدرسة (من خلال الجو الأسري) لها تأثير كبير على بقائه ونجاحه فيها أو هروبه منها وتركه لها . هي أن بعض الأطفال لديهم فكرة مسبقة مشوهة وغير صحيحة عن المدرسة .

هـ ـ معاملة الأهل :

بعض الأهل يتسمون بالعاطفة الشديدة نحو أطفالهم ، وبخاصة الأم التي تشعر في الأيام الأولى لذهاب طفلها إلى المدرسة وكأن هذه المدرسة تنتزع منها هذا الطفل ، فتظهر نتيجة لهذا الشعور المزيد من العطف والاهتمام ، وذلك ما يثير تساؤلات الطفل ، ويشكل لديه علامات استفهام حول هذه المؤسسة الجديدة التي تبعده عن أمه ، وتسبب قلقها الشديد عليه والذي يتمثل بسلوكياتها نحوه التي تبلغ أحياناً حد المبالغة . وبذلك تتشكل عند الطفل نواة الشعور بالكراهية والنفور من المدرسة ، بناء على التصور الذي تكون لديه .

من ناحية أخرى فإن بعض الآباء يسقطون طموحاتهم على أبنائهم الذين يريدون لهم نجاحاً باهراً يشبع لهم هذا الطموح ويحقق لهم الأهداف التي افتقدوها أو التي كانوا يتمنون الوصول إليها فيعتمدون على وسائل تربوية خاطئة تتمثل بالقسوة والضبط الشديد والإكراه على زيادة التحصيل والتفوق فتنقلب الأمور إلى عكسها تماماً ، فيفر الأطفال من هذا الضغط الذي لا يطيقون احتماله فيهربون من المدرسة . كما أن نظرة الأهل الظالمة إلى التعلم وإلى

---

(1) د. محمد عبد المؤمن حسين . (مشكلات الطفل النفسية) ص 158 .

المدرسين يتقمصها الأطفال وتتحول لديهم إلى سلوك انعكاسي ضد المدرسة والقائمين عليها فيهربون .

و ـ القصاصات :

كان ذلك في الماضي ، حيث كانت القصاصات جسدية قاسية وكان الخوف منها هو السبب الرئيسي للهروب من المدرسة ، أما اليوم فالتربية الحديثة تميل إلى إلغاء القصاص الجسدي ، وحتى القصاص المعنوي أو النفسي المتمثل بالتحقير والتقريع واستبداله بالحوافز والتشجيع والإثابة . فإشعار الطفل بالمهانة وبالتقصير وبعدم صلاحيته للتعلم أو بمقارنته بأخوته أو بأبناء الجيران بطريقة عنيفة مشفوعة باللوم الشديد والعتاب المر ، من شأن ذلك أن يدفعه إلى أحضان رفقة السوء حيث يجد عطفاً لديهم بالإضافة إلى بعض الإغراءات بأنواع اللعب أو النزهات أو ممارسة بعض الأنشطة التي يحرم منها الطفل في بيته .

علاج ظاهرة الهروب من المدرسة

لا علاج لمشكلة ما لم يتم تشخيصها ، فقد تكون أسباب الهروب عائدة إلى المدرسة ذاتها أو إلى الأهل وأجوائهم المنزلية غير الملائمة ، أو إلى الطفل نفسه ، ولكل حالة من هذه الحالات طريقة خاصة يمكن اعتمادها لمعالجة المشكلة .

هناك قواعد عامة تصلح كعلاج لهذه الظاهرة ، وهي ذات شقين أحدهما وقائي والثاني علاجي ، وأبرز هذه القواعد الوقائية .

1 ـ خلق الأجواء الأسرية الهادئة الموحية بالثقة والمشبعة بروح التفاؤل والتي تبث في أطفالها روح الاندفاع والرغبة والتشويق لبلوغ هذا الحلم اللذيذ (المدرسة) وذلك قبل وصول الطفل إلى هذه المدرسة بأيام أو بأشهر قلائل ،

لأن عملية التشويق والترغيب في مثل هذه الأيام الأخيرة تكون عديمة الفائدة ، لأنها تبدو مغرضة ومكشوفة ، لا يخفى أمرها على الطفل فلا يتقبلها بالسهولة التي يتصورها ، ومن هنا فإننا ندعو لتهيئة الأجواء الخاصة بقبول المدرسة قبل الدخول إليها بزمن بعيد .

2 ـ القيام بإجراء بعض الاختبارات النفسية والاجتماعية ، للتأكد من نمو نضج الطفل قبل اتخاذ القرار بإرساله إلى المدرسة ، لأن العمر الزمني ليس كافياً للدلالة على النضج .

3 ـ أن تتوفر في المدرسة جميع المشوقات والوسائل التربوية الحديثة التي تشد وتجذب الطفل إليها ، حيث يجد فيها ما يشبع رغباته الطفولية ، وحاجاته المختلفة ، ويكون فيها المدرسون بمثابة البدائل للوالدين .

4 ـ تدريب المعلمين وإعدادهم إعداداً تربوياً جيداً ، ليس على إتقان طرق التدريس الحديثة وحسب بل بتزويدهم بثقافة تربوية ونفسية عالية ، يكون على رأس اهتماماتها معرفة تكون شخصية الطفل وحاجاته ومشكلاته ، وكيفية حل هذه المشكلات بطرق تربوية سليمة ، وأن يزود هؤلاء المدرسون بمعلومات وافية عن الفروق الفردية ودرجات الذكاء ، وطرق استخدام الاختبارات النفسية والتحصيلية وطرق الإفادة منها في العملية التربوية .

5 ـ منح الطفل الحب والعطف والحنان والتقدير والإصغاء له سواء في البيت أو في المدرسة وبذلك ينعم بحياة نفسية هادئة ، لا اضطراب فيها ولا توتر فيقبل على التحصيل بجد ونشاط ، وتتلاشى فكرة الهروب من المدرسة عند التلامذة النشيطين .

المتاعب المدرسية :

لا يمكننا أن ننكر حالة التعب التي يتعرض لها الأطفال في حياتهم

المدرسية نتيجة النقلة المفاجئة من الأجواء الحافلة بالحرية والحركة واللهو إلى أجواء ذات قيود ، تتفاوت في حدتها بين مدرسة وأخرى . «فالحياة المدرسية بالنسبة للطفل تعني ما تعنيه الحياة المهنية بالنسبة للراشد ، فهي شغله الشاغل ، وهي تستنفذ أكبر قسط من نشاطه واهتمامه»(1) . وغالباً ما نرى هبوطاً سريعاً عند بعض التلامذة ، كانوا يعملون بجد ، وبنجاح ينالون المكافآت ، وفجأة يهبط مستوى نتائجهم المدرسية فيصابون بالبلادة والخمول وأول ما يجب أن نبحث عنه في هذه الحالة :

ـ النقص الفسيولوجي ، كالإصابة ببعض الأمراض التي لم يفصح عنها الطفل ، وخاصة مسألة النشاط الغددي ، أو قصر النظر أو حاسة السمع ، أو آلام المفاصل أو ما شابه ذلك . والمظاهر الخارجية ليست كافية فلا بد من الكشف الطبي .

ـ البحث في ما إذا كان يوجد بعض المتاعب النفسية نتيجة تكليفه ببعض الأعمال التي تفوق طاقته .

ـ البحث في المشاكل العائلية ـ إن وجدت ـ ومناقشتها وإمكانية حلها لإبعاد انعكاساتها عن الطفل .

ـ البحث في علاقته بالمدرسين والأنظمة المدرسية ، ومحاولة الاستماع إلى رأيه .

ونحن نلاحظ الأطفال عندما يعودون إلى البيت بعد انتهاء حصص التدريس يتحدثون عن المدرسة ، وما جرى لهم فيها ، وعلى الأهل أن يبدوا اهتماماً بهذه الأحاديث، فمنها يفهمون تطور حياة الطفل واهتمامه، ويجب الإصغاء لهم دون توجيه النقد ، وإن كان ما يستوجب ذلك ، فليكن بطريقة لطيفة هادئة ، موجهة بأسلوب الحوار الرصين ، حتى لا يشعر الطفل بعدها

(1) أندريه آرتوس ، طفلك ذلك المجهول ، ص 150 .

بالإحباط وهو قد يحجم في المرات القادمة عن عرض مشاكله أو معاناته المدرسية أمام والديه ، ليبقيها في داخله مكبوتة تتحول إلى سلوكيات شاذة بين الحين والآخر ، فتقديم المشورة دون التدخل المباشر هي السبيل الأفضل للحل في مثل هذه الحالة .

ـ وأكثر ما يقلق الطفل ، مسألة عرض التقرير عن وضعه الدراسي أو ما يسمى ببطاقة العلامات على والديه ، فإذا قوبلت درجاته المتدنية بالنفور والصياح والتهديد والقصاص وما شابه ذلك ، فإنه سيلجأ في المرات القادمة وللخلاص (من هذه المحنة) إلى تزوير أو إخفاء هذا التقرير ، فيكون الأهل قد أضافوا مشاكل جديدة إلى المشكلة الأساسية التي هي التخلف الدراسي ، فلا بد في هذه الحالة من تجنب الغضب والثورة واستبدال ذلك بمحاولة مساعدته بروية وتؤدة .

«ويمكن اعتبار الآباء الطموحين كعامل في خلق مواقف انفعالية تؤدي إلى الإخفاق المدرسي»[1] فمثل هؤلاء الآباء يبالغون كثيراً في تقدير الدرجات المدرسية ، وأهمية النجاح المدرسي ، ويغفلون عما عدا ذلك من القوى والإمكانات وإرغام الأبناء على الحصول على درجات مدرسية ممتازة ، ليس سوى إرضاء لغرور الآباء الشخصي ، وهي أنانية واضحة ، يريد الآباء إظهارها من خلال تشددهم مع أطفالهم .

الذكاء والتأخر الدراسي

لوحظ أن هناك اختلافاً بين بعض نسب الذّكاء والنتائج التي تسجلها المدرسة ويرجع الخطأ في ذلك «إلى المدرسة أو إلى الامتحان وأنهما لا يكشفان عن الإمكانيات العقلية الحقيقية لفئات كثيرة من التلامذة»[2] والغريب

(1) دوجلاس توم ، توجيه المراهق ، ص 114 .

(2) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 7 .

أنه في اختبارات أجريت في أنجلترا على مجموعة من التلامذة قد تبين أن ما يقرب من 8 % من الذين تتراوح نسبة ذكائهم بين 122 - 127 قد رسبوا ، ويمكن أن نستنتج بناء على ذلك وبدون تردد أن هذا الفشل يرجع لأسباب غير عقلية لذلك ينصح العاملون في علم النفس التربوي أن تدون في ملف التلميذ نسبة تكيّفه مع الأجواء المدرسية لدراستها في ما بعد ، لأنها كما يبدو تؤثر في حصيلة نتائج الامتحان أكثر مما تؤثر نسبة الذكاء . ولوحظ أيضاً أن مجموعة من الطلاب الذين تتراوح نسبة ذكائهم بين (80 - 90) أُعيد تكيفهم بسهولة أكثر من إعادة تكيف زملائهم الحاصلين على نسبة ذكاء قدرها (110) . من أجل ذلك يجب على الأخصائي المدرسي أن يكون باحثاً في علم النفس التربوي لإعادة دراسة ملف التلميذ ، وتقييمه بمعزل عن نسب الذكاء المعطاة له من قبل جماعة روائز الذكاء .

وفي دراسة للعالم (برودومو) قلب فيها المفاهيم المتعارف عليها في العلاقة بين الذكاء والتأخر الدراسي ، فقد لاحظ من خلال دراسة إحصائية شملت حوالي 650 طفلاً ، أن أغلب حالات التأخر الدراسي لا يمكن أن تنسب لذكاء الطفل ، وكان هذا العالم يميل إلى الاعتقاد بوجود أسباب هامة نابعة من الأسرة والمدرسة فالوسط الاجتماعي والمدرسي أدى بهؤلاء الأطفال إلى عدم الرضا ، وبعد ذلك إلى الإحساس بالعجز ، فإلى التجمد ، والمتجمد يعجز عن التقدم . وعندما يكبر التلميذ دون أن تتقدم ملعوماته تنهار إمكانياته الدراسية . وهكذا فإن كثيراً من التلامذة الأذكياء ضلَّ ذكاؤهم طريقه نتيجة انعدام الأجواء المدرسية أو الأسرية الملائمة .

ولاحظة (برودمو) أيضاً «وبعد عشرين سنة من البحث أن 95 % من الأطفال يتقدمون إلى المدرسة وهم يحملون معهم استعدادات ممتازة ، ولكن كثيراً ما تظهر سريعاً عند البعض منهم حالات عدم التكيف»[1]

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 110 .

وفي حالات أخرى فإن بعض الأطفال يكونون في الأسرة معارضين مشاكسين لكنهم في المدرسة مطيعين ومجتهدين . إذ إن الأسرة هنا فشلت في كيفية إقامة علاقة بينها وبين الطفل ، ولم تعمل على تحريره من عقده ، في حين نجح المعلم في المدرسة حيث أخفقت الأسرة ، فقد استطاع أن يتفهم تلميذه جيداً ، وأن ينظم علاقته معه على أساس تربوي سليم . وبمقارنة بسيطة ، مع الأطفال الذين تتوفر لهم الأجواء الأسرية السليمة يبدو الفارق واضحاً للعيان .

ومن سوء حظ التلامذة الذين يتعرضون للضغط من قبل أسرهم ومدرسيهم، فإن مثل هؤلاء لا يجدون مخرجاً غير المعارضة والهروب من المدرسة ، فتزداد العدوانية حدة ، وتضعف الأنا عن مقاومة الدوافع اللاشعورية ، ومنها دوافع العدوان ، فإذا قابل الأهل والمعلمون هذه العدوانية بنوع من اللامبالاة وبابتسامة يطلقونها على مضض ودون اتخاذ العقوبات اللازمة بحقه وبالطرق المناسبة ـ معتبرين ذلك عملاً تربوياً هاماً ـ فهم إنما يؤجلون انفجار قنبلة ، وقد دفنوها في الرمل ، ولا يُعلم متى تنفجر من جديد إذا ما تغيرت اتجاهات الريح أو تلامست بجسم صلب ، من أجل ذلك يفضل دراسة الحالة بالتعاون مع المرشد التربوي لاستئصالها من الجذور .

الأسرة وتأثيرها على التأخر الدراسي

القسوة التي تمارسها الأسرة على الأطفال لا خير فيها ، فالطفل العصبي الذي يعيش في جو عائلي مرح يقل سعيه إلى الهروب أو التأخر الدراسي ، والتفكك الأسري يؤدي إلى عدم تحمل الطفل للضغط المدرسي «وأغلب التلامذة الذين تطردهم المدرسة تباعاً هم من العصبيين المدللين الذين صاروا غير قادرين على تحمل النظام ، وتعبر معارضتهم ، ووقاحتهم ، وشجارهم مع زملائهم بل مع معلميهم عن رفضهم لقبول الانتقال أو تحمل المساواة

المدرسية»[1] وهذه إشارة إلى أن البديل للقسوة ليس التدليل .

وفي جميع الأحوال يطلب من التربية العائلية ، التفهم واليقظة والمحبة المقرونة بالحزم وفي حال وجود الاضطرابات الخطيرة في الأسرة يجب تدخّل الأخصائي النفسي في المدرسة لدراسة حالة الطفل على حِدة بمعزل عن زملائه الذين يعود أمر تأخرهم إلى أسباب أخرى .

ومن خلال دراسة الفروق الفردية للأطفال نجد أن أصحاب المزاج العصبي لا تلائمهم الحياة الأسرية المضطربة أو الشديدة القسوة فيظهرون نحوها مقاومة ورفضاً ، في حين ينطوي صاحب المزاج العاطفي من الأطفال على نفسه ويؤدي به ذلك إلى الكف والقمع اللذين يشكلان في ما بعد العقد النفسية ، ومثل هذا النموذج من الأطفال يعترف سريعاً بالفشل ويدفن خيبة آماله ومآسيه في قراراته ، ويميل إلى التأمل في داخل ذاته ، ويتخلى عن الواقع المعادي له ، فيأتي عدم التكيف الدراسي كردة فعل على هذا العامل الفصامي .

والمميز في هذا النمط من الأطفال . (النمط العاطفي) يعتبر أن جميع الأنظمة من الوقوف صفوفاً في الملعب إلى الانصياع لقرع الجرس أموراً مؤلمة بالنسبة له ، لو كان الوسط الذي يحيط به طبيعياً . والحياة الجماعية بالنسبة له مكروهة مملة ، وهذا النوع يسهل إيلامه وإقلاقه ، والعاطفيون تؤلمهم الحياة في المدرسة الداخلية «لذلك يحتفظ كل العاطفيين بأسوأ الذكريات عن أيام المدرسة الداخلية»[2] .

ويقابل الحديث عن دور الأسرة في التأخر الدراسي بنوع من الاستنكار والامتعاض ، فمعظمنا يرفض أن يتحمل المسؤولية عن التأخر الدراسي لأولاده ، ملقياً اللوم إما على الأولاد أنفسهم أو على رفقة السوء والبيئة أو على

---

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 116 .

(2) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 121 .

المدرسة أحياناً أو قد يكون قدرياً فيلقي اللوم على الحظ ، فهذا نصيبه ، وهذا هو قدره. . إلى ما هنالك من عبارات تنم عن هروب من الواقع .

إن كبرياء كل منا تجعله يرفض أن يقف في موقع الاتهام ، ويلجأ أحدنا إلى التبريرات . وهذا نموذج لرد أحد الآباء الذي استدعي إلى إدارة المدرسة لإبلاغه عن التأخر الدراسي لابنه ؛ (ننقلها حرفياً كما وردت على لسان الأب) :

«. . . ولكن ماذا أفعل ؟ . . . إني أعمل من الفجر إلى الغروب ، لأكسب قوت عيالي وأدفع نفقات تعليمه وتعليم أخوته. . . أستجيب لكل طلباته مهما بلغ ثمنها. . . وقبل خروجه من البيت نزوده بمصروف الجيب (الخرجية). . . استقدمت له مؤخراً مدرسة خصوصية لتعطيه ساعة إضافية وتساعده في البيت. . . كل شيء موفر له من سبل الراحة» .

واسترسل الأب في الحديث عن التقديمات والتسهيلات التي قدمها ويقدمها لابنه باستمرار ، وهو صادق في ما يقول بدون شك ، لكنه لم يضع يده على الجرح ، أو على مكان الألم ، أو قل لم يستطع تشخيص الداء ، ليأتي بالعلاج ، وهذا أمر طبيعي فليس بمقدوره أن يكون عالماً تربوياً ، لكن اللوم يقع على المرشد التربوي أو المرشد الاجتماعي الذي يجب أن يكون من صلب عمله دراسة الحالات المختلفة ـ كهذه الحالة ـ ومن جميع جوانبها وبالتعاون مع الأسرة طبعاً ، وتحليل استجابات التلميذ لوضع الحلول إذ ليس بالإمكان أن نكون مغالين لنجعل من كل أب مرشداً تربوياً يستطيع دائماً أن يضع الحلول لمشاكل أبنائه الدراسية والتربوية ، فمهمة المؤسسات التربوية كمهمة المؤسسات الطبية تقدم العلاج ووسائل الوقاية الصحية للمحتاجين إليها مع الإشراف على تنفيذ هذا العلاج .

هناك حالات تلاحظ في بعض الأسر المضطربة والمفككة أو التي لا

تعيش حياتها كأسرة بالمعنى الحقيقي نجد أن الأولاد فيها ينحرفون أو يتأخرون دراسياً . ففي حالة غياب الأب الطويل عن البيت مثلاً وتولي الأم مسؤولية المنزل ، وشؤون التربية ، هذه الأم تصبح شديدة القسوة ، لأنها مرهقة بالعمل ، فيبتعد عنها الطفل الذي يرى فيها بعد ذلك مثيراً لقلقه فيتجنب هذا المثير ، وترفض البنت أسلوب أمها فتميل إلى أسلوب ذكري ، كما يعجز الطفل في هذه الحالة عن تمثل شخصية أبيه فيميل إلى سلوك أنثوي مع ما في ذلك من مساوىء يحملها المستقبل لكل من الابن والبنت ، وغالباً ما يكون مثل هذين النموذجين من المتأخرين دراسياً .

بعض المربين يرون أن القسوة ليست أمراً سيئاً دائماً في عملية التربية إلاّ إذا تحولت إلى نظام دائم للقصاص ، المقرون بالعنف ، يصل أحياناً عند بعض الآباء إلى مستوى السادية[1] حيث يستعمل السوط أو العصا الغليظة و «الفلقة» ساعتذاك ، وفي مثل هذه الأحوال تخرج القسوة عن محتواها التربوي إلى الإساءة للتربية وللكرامة الإنسانية ، وتدفع إلى التأخر الدراسي وترك المدرسة فالجنوح .

وهناك شدة من نوع آخر ، هي الشدة أو القسوة المعنوية والتي تتمثل بالدعوة إلى الاحتشام الشديد عند الطفل ، كأن نمنعه من الضحك والخروج من البيت والراحة ، واللعب مع الرفاق والمحافظة على النظافة التامة للثياب وكأن الأمر غاية بذاته . إن هذه الشدة تقيد عالم الطفل الذي لا علاقة له بكل ما ذكر ، فهو يريد أن يعيش طفولته ، إنها مرحلة حلوة من مراحل العمر تترك في نفس الإنسان انطباعات قد تكون حسنة سليمة أو قد تكون سيئة فيتعرض لأزمات شديدة وكثيرة أقلها التأخر الدراسي .

---

(1) السادية : مرض نفسي يشعر صاحبه بلذة في إنزال الآلام في الآخرين ، والتسمية منسوبة إلى (الكونت دي لاساد) الذي يمثل هذا النموذج من الأمراض النفسية .

وقد لاحظ بعض المربين أن «الأخلاق التي نعظ بها الأطفال بحماس وإصرار هي التي يخالفونها كثيراً»[1] . وأكثر ما تظهر هذه في الأسر التي تحيط نفسها بهالة من الكبرياء وتنعزل عن الكيان الاجتماعي مغمضة عينها عن الواقع المعاش .

أما الآباء الذين ينهجون نهج التساهل الشديد والتسامح مع أطفالهم ، فإن هذا النوع من المعاملة في نظر بعض المربين هو أقل خطراً من القسوة ، فالحرية تسمح بقيام صلة بين الطفل والحياة ، ولكن بعض الأسر تتخذ من هذه المقولة ذريعة لترك الأطفال يعيشون على هواهم ، مما يجعل الأمر يخرج عن الأطر التربوية إلى الإهمال والتقصير والتسيب .

من ناحية أخرى فإن سلوك بعض الآباء التشاؤمي والإكثار من التذمر والشكوى أمام أبنائهم . من الوظيفة ، من العلم ، من المجتمع ، حيث يعبرون عن إحباطاتهم ، وخيبة أملهم ، حتى أن بعضهم يظهر شعوره بالندم لأنه لا يسرق ، ولا يغش . وبأنه لو غش وسرق لكان في وضع أفضل من الوضع الذي هو فيه الآن ـ حسب تعبيره طبعاً ـ . إن مثل هذه الأحاديث على مسمع الأطفال تناقض دعوة الأهل لهم ـ على الأقل ـ للتمسك بالقيم والمثل . ثم إنها تزرع في نفوسهم الشعور بالإحباط والفشل الذي يعانيه آباؤهم . ويشعرون بالانتقام لآبائهم من المجتمع الذي قسا عليهم. . . لذلك يجب ألا يسمع الأطفال من آبائهم إلاّ الألفاظ المشبعة بالقيم الأخلاقية والإنسانية والمشحونة بالتفاؤل .

ويتبع ذلك هدوء الحالة الأسرية والتعامل اليومي بين الزوج وزوجته ، إذ أنه عندما تكثر المشاحنات والصراعات إلى حد التلفظ بالعبارات السوقية النابية أحياناً ، فإن هذه المشاهد تنغص عيش الأطفال فيذهبون إلى المدرسة وفي أذهانهم هذه الصور المخيفة والمشوهة للحياة الأسرية فتشتت انتباههم ، ويميلون عن الدراسة إلى أمور أخرى .

---

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 100 .

والأمر يختلف تماماً عند طفل آخر غادر منزله صباحاً والبهجة تغمر قلبه ، وهو مشحون بالثقة والحب والتفاؤل والأمل . أمٌ تودعه حتى دخوله سيارة المدرسة ، ترمقه بنظرات الحنان والتشجيع ، وأب يثني ويرشد في ظل أجواء أسرية يسودها الحب والوئام .

وعلى المعلمين أن يعلموا أنه لا يمكن الفصل بين الواقع الاجتماعي والأسري للتلميذ ، والواقع المدرسي «فالمدرسة ليست ذلك البرج العاجي الذي يصل إليه التلميذ كل صباح في جلد جديد ، فيصير تلميذاً كالآخرين ، تلميذاً بلا تاريخ»[1] . وقد تحدث (برونولد) المدير العام للتربية في أنجلترا عن السجل المدرسي وأهميته بالنسبة للتلميذ وعن ضرورة تضمينه الكثير من المعلومات الأسرية. ومما قاله «تعتبر المعلومات التي تعطيها الأسرة عن التلميذ مادة ثمينة للمربي ، فللوسط الأسري في الواقع أهمية أساسية في النمو الفردي ، لا يمكن للمربين أن يقللوا من شأنه»[2] . ولقد قامت في أوروبا ضجة كبيرة في الفترة الأخيرة حول طريقة (الإعالة) حيث يربى الأطفال في دور الحضانة ، وكأنها حسب تعبير أحد المربين ـ أنابيب للهضم ـ لا يحق لهم إلاّ التمتع بالصحة الجيدة وتأمين النظام لهم ويتركون بعد ذلك لأنفسهم ويذهب العالم (زازو) في كتابه «مصير الذكاء» إلى أن لاختلاف الوسط الاجتماعي والأسري تأثير على التعلم أكبر من اختلاف الوراثة ، حتى إن لتعلم الطفل للمشي في بيئة مريحة ، ذات صالات فسيحة ، مفروشة بالسجاد ، لا يعارضه فيها أحد ، ولا يزجر بسبب شيء وسخه أو أتلفه ، يختلف هذا الطفل عن الطفل الذي تربى مع أسرة في حجرة ضيقة ، يتعرض من خلالها للصدمات وأنواع العقوبات ، حتى من الناحية البدنية ، ومن ناحية الانطباعات التي تبقى في ذهنه ، والتي تختلف عن مثيلاتها عند الطفل الأول .

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 89-90 .

(2) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 90 .

بعض الآباء ، وهم يشعرون بشيء من الغيرة والقلق يقابلون بين أولادهم ، وبين أولاد الجيران أو الرفاق ممن هم في مثل أعمارهم ، فيجد أحدهم أن درجات ابنه تقل عن درجات هؤلاء أو عن درجات أخوته لما كانوا في مثل سنه ، فيحكم بظاهرة التأخر الدراسي دون أن يتنبه إلى العمر العقلي أو إلى القدرات والميول والاستعدادات الأخرى التي لم تستغل والتي ربما تفوق قدرات الرفاق والأخوة ، ثم يغيب عن ذهن هؤلاء الأهل أن العمر التحصيلي يختلف عن العمر العقلي والعمر الزمنيّ ، فإذا كان تحصيل الولد الذي هو في السابعة من عمره ، وعمره العقلي هو الخامسة ، فيجب أن يعادل تحصيله تحصيل ابن الخامسة ، ويقارن به ، فإذا عاد له اعتبر عادياً لأنه ينسجم في هذه الحالة مع عمره العقلي ولا ينتظر منه أكثر من ذلك فطالما أن عمره العقلي هو خمس سنوات ، وعمره التحصيلي هو خمس سنوات فهو عادي ونسبة التحصيل كنسبة الذكاء تقاس بالطريقة التالية :

$$\text{ـ نسبة التحصيل} = \frac{\text{العمر العقلي} \times 100}{\text{العمر التحصيلي}}$$

فإذا كانت النسبة التحصيلية أقل من 100 أمكننا أن نحكم بالتأخر الدراسي لأن النسبة التحصيلية تختلف عن نسبة الذكاء ، وهي لا تزيد عن 100 إلاّ في حالات نادرة ، كما في حالة الذين يرهقون أنفسهم وذاكرتهم بشكل متعب ونسبة التحصيل تختلف عن نسبة الذكاء ، وهي تتوقف على عوامل عدة كالظروف الاجتماعية المحيطة بالتلميذ والحالة النفسية والوجدانية .

ويلتبس عند الغالبية العظمى من الأهل مفهوم التأخر الدراسي مع المفهومين الآخرين وهما مستوى الذكاء ، ومستوى التحصيل . بالإضافة إلى غياب مفهوم الفروقات الفردية بين الأشخاص ، ومعها اختلاف القدرات والميول والاستعدادات ، وكل ما يمتلكه هؤلاء الأهل من مقاييس يحددون بها

مسألة التأخر الدراسي وهي تدني درجة أو معدل تحصيل ابنهم عن رفاقه في الصف ، وهذا بطبيعة الحال ليس كافياً للحكم على الطفل بأنه يعاني فعلاً من التأخر الدراسي .

أثر المدرسة والمعلمين في التأخر الدراسي

لا شك بأن اضطراب الجو المدرسي ، الذي يحول دون منح التلميذ الرعاية الكافية والعطف الكافي ، وعدم الاهتمام بالفروق الفردية بين التلامذة ، ودراسة الحالات الخاصة وتبرم المدرس من وضع المقصرين من التلامذة ، كلها تجعل من التلامذة لا مبالين يميلون إلى الكسل والتخلف .

يأتي بعد ذلك ، نظام الامتحانات التقليدي ، وعدم وجود اختبارات مقننة فبعض المدارس تضم تلامذة من مختلف الأعمار في الصف الواحد ، وفي دراسة لمجموعة من الحالات القيادية تبين أن الفرق بين العمر الزمني والعمر العقلي عند المجموعة التي أجري عليها البحث يفوق الفرق بين العمر الزمني والعمر التحصيلي ، وهذا ما يشير إلى قوة الدفع والضغط والإكراه ، التي يمارسها الأهل والمدرسون ، والدروس الإضافية التي يزود بها الأولاد من قبل الأهل .

«وغالباً ما يكون التأخر الدراسي مصحوباً بمشكلات ناتجة أو مسببة له»[1] من هذه الحالات الشرود الذهني ، والهروب من المدرسة ، أو رفض الأنظمة المدرسية ، والمشاكسة ، والانضمام إلى عصابات السرقة ، والجنوح بجميع أشكاله ، وكلها وسائل تعويضية للشعور بالنقص ونتيجة الإخفاق في الدراسة . وأحياناً يلتبس الأمر على الباحث ، حتّى إنه ليقع في الدور ، أهو الإخفاق المدرسي وراء هذه الحالات ؟ أم العكس هو الصحيح ؟ لذلك تقتضي عملية

---

(1) انظر د. عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، في موضوع : حالات في التأخر الدراسي ، ص 420-426 .

المعالجة تحليل الأمور بدقة متناهية ، وبطريقة تسلسلية وبالتواريخ لرصد الظاهرة وتحديد أسبابها .

ويفترض أن تعالج مسألة التأخر الدراسي في وقت مبكر ، ومع السنوات الدراسية الأولى ، لأن الأمر يتفاقم في ما يليها من السنوات ، حيث تتشعب المواد وتزداد كمية ونوعية فيجد التلميذ نفسه تحت عبء ثقيل ، يريد الخلاص منه بأية وسيلة ، ذلك تماماً كما يحدث في حالة المرض الجسدي الذي تسهل معالجته في أولى مراحله ، وقد يصعب ذلك أو يستحيل بعد مرور سنوات .

قد تكون المسؤولية هذه المرة مسؤولية المعلمين ، «فقد ثبت أن الاتجاه للتدريس يستهوي أحياناً بعض الشخصيات التي تميل لفرض سيطرتها المخجلة ، وليس هناك على أية حال ما يمكن حماية مهنة التدريس من أمثال هؤلاء»[1] .

ونحن نجد نماذج كثيرة من المعلمين لم تنضج الأنا عندهم ، فيسقطون رغباتهم اللاشعورية على التلامذة باعتماد القسوة والعنف والتحقير أحياناً (مستعرضين علومهم الرفيعة) بزهو أمام تلامذتهم ، هؤلاء هم نماذج سيئة ينفر منهم التلامذة محاولين الانتقام الذي يظهر بسلوك هروبي أو رفض للمدرسة ومعلميها وقوانينها .

من جهة أخرى فإن بعض المعلمات اللواتي لم يتزوجن بعد ، وقد كبرن في السن ينقسمن إلى فئتين :

ـ **الفئة الأولى** : فئة رحومة ودودة ، تعطف على الأطفال ، وكأنها أم لهن .

ـ **الفئة الثانية** : يبدين كراهية غامضة وخاصة نحو الفتيات اللاتي يظهر

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 105 .

لهن أنهن متهيئات للزواج . أو للإشباع مما حرمن منه .

صنف آخر من المعلمين والمعلمات لم يتخذ مهنة التعليم مهنة نهائية ، فهو يعمل جاهداً للتخلص منها في أول فرصة تسمح له بتركها والانتقال إلى غيرها . وعدم الاستقرار هذا ينعكس على التلامذة فيميلون إلى عدم الجدية التي تؤدي بهم إلى التأخر الدراسي .

حالات مختلفة لأطفال متأخرين دراسياً

صاحب الخلق غير المستقر :

مثل هذا الطفل يتميز بسيطرة علاقة ثلاثية عليه تتمثل : بالمهارة اليدوية ، والذكاء ، والميل إلى مهنة تنطوي على المخاطرة . ومثل هذا الولد يسهل إغراؤه بالهروب من المدرسة ، وما يترتب عن ذلك من نتائج ومعالجة مثل هذا النوع من الأطفال تكون بتهيئة فرص العمل التي يمكن أن ينتهي منها سريعاً والإشراف على انتظام عمله المدرسي .

الطفل الخامل :

يطلق على هذا الطفل في سيكولوجية الشكل أنه من النمط المنبسط وهو على نقيض (متبلد الحس) ، يبدو شكل وجهه خالٍ من التجاويف ، ممتلىء الصحة ، يستجيب للأشخاص وللأحداث بتفاهة ، وليس عنده أي توتر نفسي وهو يتوهم أنّه يحيا حياة حقيقية ، يتجه بسرعة إلى السّمنة ، ويتعلم النظافة ببطء تزيد قامته بسرعة مع بعض الترهل ، يحافظ على نفسه محافظة شديدة إلى درجة المبالغة ، قليل التفاعل مع الآخرين ، وإن كان يميل إلى الوداعة معهم .

بعض أفراد هذا الصنف يقومون بالعمل الذي يُفرض عليهم في طاعة ، ولكن دون حماس ، ولا يوجد لديهم ميل حقيقي للبحث أو القراءة .

والخامل يؤجل عمل اليوم إلى الغد ، يتمطى ويتثاءب ، ولا يقوم بإعداد

واجباته المدرسية إلاّ في اللحظة الأخيرة من النهار ، أو في اليوم الأخير من العطلة المدرسية ، بل وفي الساعات الأخيرة منها ، مع طلبه المساعدة من والديه ، أو من بعض زملائه ، ويثير اهتمامه كل ما هو سهل .

بعض أفراد هذا الصنف قد يكون لهم قدر من الذكاء ، لكنه يبقى غير فعالٍ وإذا كان أحدهم خائر القوى فهذا ما يدعو إلى ملاحظة عملية التمثيل الغذائي وإفرازات الغدد الصماء والأفضل استشارة الطبيب المختص في ذلك . ويتمتع الخامل أحياناً بطاقة ملفتة تظهر أثناء اللعب ، لكنه في درس الرياضيات مثلاً يعجز عن الارتفاع بقوته إلى المستوى السابق الذي تصرف به ، لذلك ينصح المرشد التربوي في مثل هذه الحالة بالبحث عن الأساليب الكفيلة برفع مركز استعمال الطاقة أو البحث في كيفية استغلالها وتوظيفها وتنميتها ويأتي هنا دور المعلم والأسرة في حمل هذه المسؤوليّة .

وإمداد الطفل الخامل بمزيد من الطاقة يتم بأسلوبين :

ـ **أولهما** : الإعلان اللفظي ، كأن يُكشف له عن نقاط الضعف فيه ومصدرها .

ـ **وثانيهما** : تزويده بطاقة يصرفها في اللعب الجماعي ، وتكليفه بأعمال يقوم بها وينجزها فيتعلم معنى الجهد ويتذوق الإشباع في هذا الجهد ، وقد يعود من جديد إلى الكسل ، لكن يجب الإصرار على جعله يصل إلى تمام العمل والاهتمام به وتشجيعه عن طريق زيادة الحوافز حتى النهاية . وحبذا لو اعتمد المربون تنمية أسلوب البحث والتنقيب والمشاركة في أوجه النشاط ، والحركة الكشفية هنا تسهم كثيراً في إحياء هذا الجهد ، لأنه يجمع بين اللعب والواجب في نفس الوقت ، بالإضافة إلى العمل الجماعي ، الذي يخلق روح المنافسة الخيرة ، مع التعود على الانْضباطية والنظام . ولما كانت الحياة الكشفية مقدمة للحياة الاجتماعية بشكلها العريض فالنجاح فيها مؤشر للنجاح في الحياة بشكل عام .

الطفل البليد الحس :

الخامل وبليد الحس كسولان ، لكن كسل كل منهما يختلف عن كسل الآخر في مصدره وطبيعته ، فهو عند بليد الحس يدخل في تركيبه البيولوجي ، وربما يعود ذلك إلى نوعية مزاجه أو لوراثته الشخصية التي تؤدي إلى أساس واهن للمقاومة (قرابة الدم ، أمراض الطفولة المبكرة الخطيرة ، المكوث طويلاً في المستشفى بسبب حالة مرضية) أو يعود ذلك للتربية المتشددة التي تمنع تفتح الطاقات عند مثل هذا الطفل .

ونموذج هذا الطفل : هزيل ، صغير ، سقيم ، بلا مقاومة ، تتحول عنده أبسط إصابة أو عارض مرضي إلى أزمة صحية ، ويميل في حياته إلى الخنوع نتيجة ضعفه ، كثير الحساسية للأمراض البسيطة ، يعيش طفولته ، خالياً من الحيوية والنشاط ، يشاهد في الملعب منزوياً ، لا ينضم إلى أي فريق من فرق اللعب ، وهو حين يعود إلى الصف يعود بنفس اللامبالاة التي كان بها في الملعب .

صاحب هذا النمط يصل أحياناً إلى نتائج محددة في الرياضيات ، لأن الخوض في مسائلها يتناسب مع ما لديه من هدوء وصبر ، وهذا ما تتطلبه مادة الرياضيات ، ثم إن مخزون الذكاء قد يستعمل في مثل هذه المادة ، في الوقت الذي لا يوظف فيه ذلك عند غيره ، إما لعوامل مزاجية خاصة وإما لطبيعة المادة التعليمية .

وأثناء الفحص الإكلينيكي ، وعند تطبيق الاختبارات كان يظهر تردداً كبيراً ، وسلوكه يتم بالخجل والوسوسة والتضجر وعدم الإرادة وعند سؤاله «يجيب بمط شفتيه أو بهز كتفيه ، أو بحركات أخرى تدل على الملل ، يزخرف إجاباته فيستعمل ألفاظ ـ ربما ، إلى حد ما ، نعم ، ولكن ـ وغالباً ما لا ينهي إجاباته»(1) .

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 144 .

وغالباً ما يفتقد أفراد هذا النموذج من الأطفال ثقتهم بأنفسهم ، تنطوي نفس أحدهم على تعاسة لم يستطع الإفصاح عنها وكأنه السجين القاصر عن التحرر ، ورغم أن ذكاءه هو فوق المتوسط كان بطيئاً في عمله ، فاقد الإرادة ، ميالاً إلى التعب .

والعلاج الفسيولوجي ضروري ، فربما كان السبب ناتجاً عن إفرازات الغدد الصماء ، ومن الناحية التربوية والنفسية يمكن للمربي أن يرفع من طاقته عن طريق مده بالروح المعنوية العالية وبث الشعور بالتفاؤل والثقة بالنفس . وقد لوحظ من خلال الاختبار الميداني والمراقبة لسلوكيات هذا النمط من الأطفال (المراقبة يجب أن تجري من بعيد دون أن يشعر بها الطفل) لقد لوحظ أنه يخرج الكتب والكراسات ليقرأ ثم يعيدها إلى محفظته عند قرع الجرس بحركات آلية ميكانيكية ، وهنا يتدخل المعلم أيضاً من خلال قيامه بالعملية التربوية لتخليص الطفل من هذه الآلية التي تتحكم به ليعود إلى الاندماج مع أجواء الصف بحيوية ونشاط ، ويمكن تعويده على نشاط رياضي كالسباحة وكرة القدم ، ولا بأس بالانضمام أيضاً إلى فريق رياضي «وتعتبر الحركة الكشفية التي يوصي بها عملياً لكل أنماط الأطفال ، لما يشعرون فيها من السرور والفائدة ترياقاً فعالاً للركود الجسمي والنفسي عند بليد الحس»[1] .

ويمكن للمعلم أن يمارس الأساليب النشيطة عن طريق خلق أجواء العمل الجماعي الذي يعتبره أحد المربين خير وسيلة لجذب مثل هذا النوع من التلامذة إلى العمل المدرسي لأنه لا مجال لإخراجهم من القوقعة التي هم فيها إلاّ بصهرهم في بوتقة العمل الجماعي . ويجب ألا يغيب عن البال بأن التلميذ يشعر بأنه من العار عليه ألا يعمل مع الباقين ويمكن أن نعتبر ذلك بمثابة حقنة من الدافعية للعمل ، وهذا يقلل من تعاسته ومن انطوائيته في الوقت نفسه . فإذا

(1) أندريه لوجال ، التأخر الدراسي ، ص 146 .

أمكن لهذا الصنف مثل هذه المراقبة لرأيناهم من المجدين المجتهدين ، وقد أمكن للدراسات والاختبارات المتعلقة بهؤلاء أن تكذب الكثير من المقولات التي قيلت في هؤلاء الأطفال . إذ إن الرعاية التربوية السليمة، قد بدلت ـ عبر التاريخ التربوي ـ كل النظريات والتوقعات السيئة التي أشار إليها الخبراء النفسيون . والحقيقة أن الذكاء لا يعمل منفرداً ، فالإنسان كلٌّ متكامل ، فيجب تضافر وتآزر كل قوى الشخصية وخلق الظروف الموضوعية ليصبح هذا الذكاء عملياً .

الطفل البطيء التعلم :

يرى (فيدرستون) أن : «جميع الأطفال الذين تبلغ نسبة ذكائهم أقل من 91 درجة وأكثر من 74 يكونون ضمن المجموعة التي تمثل بطء التعلم»[1] والذين تتدنى نسبة ذكائهم عن 74 درجة قلما يحققون نجاحاً في المنهج العادي ويشار إليهم عادة أنهم متخلفون عقلياً .

ومن أبرز صفات الطفل البطيء التعلم :

1 ـ إنه من الناحية الجسمية متخلف عن المتوسط العام لمن هو في مثل عمره الزمني ، وغالباً ما يكون أقل طولاً وأثقل وزناً ـ أو يعاني من بعض الأمراض الفسيولوجية أو الغددية .

2 ـ إنه ضعيف التركيز ، كثير الشرود .

3 ـ علاقاته مضطربة وغير مستقرة مع رفاقه ومع أخوته .

4 ـ يعاني من الشعور بالخيبة والإحباط ، ويميل إلى العزلة ، إذا ما كان الاجتماع يتطلب منه بذل الجهد الفكري ، أو قد يتهرب بطريقة خفية .

من أجل ذلك يراعى في تعليم الأطفال البطييء التعلم أموراً عدة منها :

(1) د. مصطفى فهمي . مجالات علم النفس ، سيكولوجية الأطفال غير العاديين ، ص 231 .

أ ـ تقسيم التلامذة إلى مجموعات : مجموعة سريعي التعلم ومجموعة متوسطي التعلم ، ومجموعة بطيىء التعلم . ولكن هناك خلاف حول وضع هؤلاء التلامذة ، فهناك كثرة من الآراء المعارضة لفكرة المجموعات المنفصلة ، كما أنه يوجد آراء مؤيدة لهذا الاتجاه ، وقد اتضح أنه لا مجال لتنظيم مجموعة منفصلة لبطيىء التعلم تكون متجانسة في أكثر من ناحية . والواقع «أن مجرد الفصل دون إعادة تنظيم المنهج يكون قليل الفائدة بالنسبة للتلامذة بطيئي التعلم»(1) . وهذه الطريقة وإن سهلت عمل المدرس وتسببت في تحسين وضع بقية التلامذة ، غير أنها لم تحسن كثيراً من وضع بطيئي التعلم بل ثبت على العكس بأنها تعمل على تكوين اتجاهات عدائية عند هؤلاء التلامذة ضد المجتمع . ثم إن الديمقراطية تتضمن إتاحة الفرصة لكل فرد للوصول بقدراته وإمكاناته إلى أقصى درجة ممكنة والتمتع بأفضل المميزات التي يمده بها المجتمع فلا مانع من وجهة النظر الديمقراطية من تقسيم هؤلاء إلى مجموعات شرط أن يكون التقسيم مزوداً بالفرص المناسبة ، ثم إنّ فرض تعليم مسائل معينة على مجموعة من بطيئي التعلم يتنافى مع مبادىء الديمقراطية الصحيحة ، ثم إنه لا بد من إعداد مدرسين خاصّين لهذه الفئة من التلامذة . وأن يكون هؤلاء المدرسون من الذين تلقوا إعداداً تربوياً وانفعالياً ليتمكنوا من مواجهة الظروف الجديدة الصعبة ودون أن يشعروا بأنهم مجبرون على هذا العمل الذي اختيروا له ، بل يجب أن يُستشاروا في هذا الموضوع ويؤتى بهم بناء لرغبة منهم صادقة للعمل في هذا المجال .

ب ـ بطيئو التعلم يجب أن يشتركوا في النشاطات المدرسية كلها ، وإن كانوا في مجموعات خاصة فسيشتركون في الحفلات ، والاجتماعات والرحلات ، والمباريات الرياضية ومن الخطأ الفادح استثناء هذه الفئة التي قسا

---

(1) د. مصطفى فهمي ، سيكولوجية الأطفال غير العاديين ، ص 224 .

عليها القدر ، من هذه النشاطات التي يجب أن تقتصر على التلامذة المتفوقين في التحصيل الدراسي ، لأن ذلك مخلٌّ بقواعد العدالة ، وقد تعرضت مسألة فصل التلاميذ البطيئي التعلم لكثير من النقد ولذلك يجب ألا يُلجأ إليها إلاّ في حال تعذر مواجهة هؤلاء التلامذة في الفصول المدرسية العادية .

ج ـ أما مسألة الصحة النفسية ، فهي مسألة هامة وجديرة بالبحث عند الطفل السيء التعلم لذا يجب أن تولي المدرسة الصحة النفسيّة للطفل العناية الكافية كما أنه على المدرسة أن تركز على تزويد الطفل البطيء التعلم بالوسائل التربوية والأجواء المناسبة خلال تنمية قدراته . وتشير بعض المراجع التربوية إلى وجوب تزويد الولد البطيء التعلم بمعلومات عن العلاقات الاجتماعية والحكومية قبل أن يترك المدرسة ويتم ذلك خلال المناقشات التي يجب أن تحصل بينه وبين المدرسين والمشرفين التربويين في المدرسة ، مع الإشارة إلى ضرورة مواصلة اللقاءات للاطلاع على أوضاعه ومساعدته عندما يتطلب الأمر ذلك .

والتربية مسؤولة عن هذا الطفل البطيء التعلم ، وفي جعله مواطناً صالحاً إيجابياً لذا يجب أن يزود بالحد الأدنى مما يلزمه لتحقيق عيشه الحر الكريم وسط أفراد مجتمعه ، وأن يفهم الأمور المالية والاقتصادية الضرورية لتسيير حياته اليومية وهذا ما نطلق عليه اسم (الكفاية الاجتماعية) وهو القدر اللازم من المعرفة يتطلبه الإنسان العادي ليعيش في المجتمع الديمقراطي براحة وأمن وسعادة .

ومن أجل ذلك أيضاً يجب أن تتعاون المدرسة مع البيت في سبيل تأمين مهنة يتعلمها الولد بعد نيله الحد الأدنى من التعلم ، وامتلاكه للقدر الكافي من المعارف الاجتماعية . وأمر المهنة ليس من مسؤولية المدرسة الابتدائية طبعاً ،

بل هو من واجب الأهل والمؤسسات الاجتماعية المعنية بهذا النوع من الأطفال البطيئي التعلم .

والحقيقة أن جهد المدرسة يبدو من خلال تعاطيها مع هذا الموضوع ، ومع هذا النوع من الأطفال بروح إيجابية وبجدية ، فالأذكياء والعاديون ، قد لا يحتاجون من المدرسة إلى الرعاية والتوجيه كما تحتاجه هذه الفئة .

* * *

ـ ب ـ

صعوبة النطق

عملية النطق عملية شاقة ، يبذل الطفل مجهوداً ضخماً للوصول إلى إجادتها بطلاقة . ويُسر الأهل كثيراً وهم يستمعون إلى أولى الكلمات تخرج من فم أطفالهم حتى ولو كانت مشوبة بالتحريف والاجتزاء ، فهي محببة إلى قلوبهم جداً ، فهي الإشارة إلى النطق السليم الذي يتوخونه في أطفالهم باعتباره من أهم وسائل الاتصال الاجتماعي ، وهم يشعرون بكثير من القلق إذا ما تأخر النطق عند هؤلاء الأطفال أو إذا لم يحسنوا إجادته ، فتراهم يهبون لاستشارة طبيب ، أو إجراء الفحُوصات ومعرفة الأسبابُ ومعالجتها .

«وصعوبة النطق عند الأطفال هي نوع من الاختلال في التوافق الحركي بين أعضاء النطق المختلفة»[1] ومن المعروف أن من مراكز الكلام في المخ الذي يسيطر على الأعصاب ، إلى المنظومة الصوتية المتمثلة بالرئتين والحنجرة والفم واللسان هي التي تمكن الفرد من التعبير عما يجول في فكره بواسطة الكلام . والكلام يحدث بواسطة ذلك التآزر بين الأصوات التي يطلقها الإنسان .

والطفل ينقل عن والديه عن طريق التقليد والسرعة أو الإبطاء في الكلام ، كما ينقل عيوبهم اللفظية بطريقة مماثلة ،حتى إن تكرار الكلام المغلوط الذي

(1) د. عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص 298 .

يقوله الطفل (من قبل الوالدين إهمالاً أو استحساناً) من شأنه تثبيت هذا الغلط ، حتى ليصعب تصحيحه في المراحل التالية من العمر ، لذلك ينصح الآباء في حال اكتشافهم لبعض عيوب النطق عند أطفالهم إجراء الفحوصات المخية عند أخصائيين ، وفحص حاسة السمع ، فالذي لا يسمع جيداً لا ينطق جيداً ، وقد تكون المسألة ناتجة عن عقدة نفسية مكبوتة في اللاوعي ، لذلك يقتضي العلاج السيكولوجي في هذه الحالة ، حيث يضطر المعالج لتدريب الطفل على الكلام من جديد وبصيغة جديدة .

ويشكل تعلم اللغة بشكل سليم القاعدة الأساسية لسلامة النطق عند الطفل كذلك يجب احترام الطفل وتقديره عندما يتكلم «فالطفل الذي لا يجد أذناً صاغية لكلامه وتعبيراته ، لا يحاول معاودة الكلام ، ويفقد الرغبة في الكلام والتعبير عن رغباته باللغة»[1] .

وللجو الأسري العام الذي يحيط بالطفل أثره في تنمية قدراته اللغوية . ففي بعض الأسر يستحسن الأهل أو الأخوة استعمال بعض الكلمات المغلوطة عندما ينطق بها الطفل فيضحكون لها ويعتبرونها من قبيل الطرافة والدعابة ـ وهذا خطأ شائع ـ فعلى الأهل أمام هذه الظاهرة أن يصححوا تدريجياً وبشكل لطيف الألفاظ المغلوطة حتى يتمكن الطفل من استعمالها بعد الدربة والمران بشكل صحيح وسليم ، ولأن عيوب النطق قد تكون عائدة إلى عدم النضوج الفسيولوجي للأجهزة الصوتية أو أجهزة النطق فلا داعي للقلق أمام هذه الظاهرة .

وهناك أمران أساسيان في عملية النطق السليم وهما : نضوج أجهزة النطق وإتمام التعلم من أجل ذلك نرى الأطفال يبدأون باستعمال الألفاظ التي يسهل عليهم النطق بها مثل (بابا وماما) . وقد لوحظ أن الأطفال الذين ينشأون في جو

---

(1) د. محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ، ص 75 .

اجتماعي فقير في الطبقة الدنيا ، تقل لديهم القدرة على استخراج المقاطع الصحيحة للكلمات ، بعكس أولئك الذين يعيشون في أسر مثقفة ، ذات المستوى الاجتماعي الرفيع ، وذلك يؤثر فيما بعد على درجة التحصيل الدراسي سلباً أو إيجاباً . ويجب أن نعود الطفل وعن طريق التدريب والمران ومنذ نعومة أظفاره على تسمية الأشياء بأسمائها «ومن الخطأ تربوياً أن يتعلم الطفل في المراحل الأولى لتعليمه اللغة أن يستعمل لفظين مختلفين لمعنى واحد أو يستخدم لفظاً واحداً لمعنيين مختلفين»(1) .

وهذه مجموعة من الأسباب ، قد يكون بعضها أو معظمها السبب في صعوبة النطق أو تعثره أو تأخره . من هذه الأسباب : تشوه الأسنان ، ووجود الزوائد الأنفية ، وانشقاق الشفة العليا ، أو تقليد بعض المصابين فيتعثَّر النطق فتصبح عند الطفل عادة .

أما العيوب اللفظية كالتأتأة ، والفأفأة ، والحبسة ، فمنها ما يعود إلى أسباب فسيولوجية محضة ، نتيجة لخلل وظيفي في مركز الكلام في الدماغ ، ومنها ما يعود لأسباب نفسية أما صعوبات النطق العارضة والتي تحدث لمعظم الناس في فترات معينة فتعود بأسبابها إلى الأمور التالية :

أ ـ الخوف ، ولا سيما في المواقف الجديدة ، أو الكلام أمام الجماهير المحتشدة أو أمام المذياع لأول مرة .

ب ـ المفاجأة ومحاولة الكلام المرتجل .

ج ـ تدفق الأفكار بسرعة هائلة ، لا تستطيع الأجهزة الصوتية استيعابها بسهولة فيحدث التلعثم أو صعوبة النطق .

وفي دراسة الحالات التي أحيلت إلى العيادات النفسية تبين أن أسباب

---

(1) د. محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ، ص 78 .

بعضها يعود إلى ما يلي :

- التوتر العصبي الناشىء عن الإحساس بعدم الثقة ، نتيجة استجابة كل طلبات الطفل والمبالغة في خدمته وحثه على تقليد الكبار والمذاكرة على حساب حرمانه من اللعب مع باقي الأطفال .
- الأسباب الوراثية ، مع توافر الظروف الملائمة .
- عسر الولادة .
- المخاوف المكبوتة ، نتيجة حوادث معينة غير سارة بالنسبة للطفل كمطاردة كلب شريد له أو إشراف على الفرق ، أو سماع دوي انفجار . . الخ .

ويلاحظ أن عيوب النطق في البنين أكثر منها في البنات ، وذلك لأن الضغط التعليمي على البنين أكثر ، ثم إن عيوب النطق في المدن أكثر منها في القرى ، لأن أهل المدن أكثر تعرضاً للإجهاد العصبي من أهل الريف . وعيوب النطق تنتج أحياناً عن خلل وظيفي في الدماغ . ويمكن إيجاز الموضوع بأن عيوب النطق لا تتعلق بالنطق بحد ذاته بدليل أن المصابين قد يتكلمون بطلاقة خلال الحلم ، ثم هم لا يجدون حرجاً في الغناء والإنشاد مع المجموعة .

وقد انقسم العلماء حول هذا الموضوع إلى قسمين :

أ - فريق يرى أنه نتيجة اختلال المراكز العصبية .

ب - والفريق الثاني يرجعه إلى ضعف التوافق بين سهولة التعبير وسرعة التفكير .

أما علماء النفس المحدثون فيرون أنه يحدث بسبب القلق المكبوت ، أو بسبب التقليد والوراثة ويجب عدم المبالغة بتقدير قيمة وأثر التحليل النفسي في كشف أسباب تعثر النطق وقد اتفق الباحثون على خطوط عريضة لعلاج هذه المسألة تتلخص في منح الطفل الثقة الكاملة بنفسه ، وإبعاد الخوف والأمور المثيرة من حوله ، ثم إجراء بعض التمرينات ، كأن يتكلم وهو في حالة تراخٍ تام بعيداً عن كل مراقبة ناقدة .

وتدريجياً تزول العيوب ويعود إلى سلامة النطق .

ويرى بعض المربين وجود أسباب أخرى لصعوبة أو تعثر النطق عند الأطفال منها : المباشرة بتعليمهم اللغة الفصحى ، أو إرغامهم على الإجابة ، وهم في حالة الخوف ، دون أن تترك لهم الفرصة للتفكير واستعادة الشجاعة لمواجهة الموقف الجديد ، أو سخرية بعض المعلمين والتلامذة الباقين منهم .

عيوب النطق والكلام :

هـذه ظـاهـرة منتشـرة بكثرة في معظـم بلـدان العـالـم ، وعلى مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية حتى إنه «في الولايات المتحدة الأميركية وحدها حسب تقرير مؤتمر البيت الأبيض حوالى مليون تلميذ وتلميذة من مجموع التلامذة البالغ عددهم (30 مليوناً) يعانون نقصاً في كلامهم[1] . وقد تبين للدكتور مصطفى فهمي أنه في القاهرة وحدها نسبة 7 % عن التلاميذ يعانون من عيوب النطق ، وهذه ظاهرة ملفتة جديرة بالدراسة .

التأتأة :

هـي إحدى عيـوب النطـق تصيب الأطفـال لأسبـاب بيـولـوجيـة وأحيـاناً لأسباب نفسية فيستجيب الأهل لهذه الحالة حسب اختلاف ثقافتهم ، فبعضهم يستجيب لها بالعطف الزائد وإغراق الطفل بالحنان ، وهذه تؤدي إلى نتائج عكسيـة تـزيـد الأمـر تعقيـداً ، فيفقـد الطفـل المصـاب ثقتـه بنفسـه ، وبعضهـم يستجيب بطريقة أخرى مغايرة عن طريق النقد الجارح والمحاولة القسرية للتصحيح ، وهذه أيضاً تتسبب في إحداث صراعات نفسية عند الطفل تؤدي به إلى الانطواء والوقوف من المجتمع موقفاً سلبياً «وتكون العلة في أصلها عضوية غير أنها مع مرور الزمن تحدث مشكلات نفسية لا يستطاع التكهن بمدى تأثيرها في المستقبل»[2] .

---

(1) د. مصطفى فهمي ، مجالات علم النفس (سيكولوجية الأطفال غير العاديين) ص 99 .

(2) د. مصطفى فهمي ، مجالات علم النفس (سيكولوجية الأطفال غير العاديين) ص 102 .

وهناك طرق علاجية يمكن للمصاب أن يقوم بها بنفسه كأن يقف أمام المرآة ويدرب لسانه على الحركة في جميع الاتجاهات ولا سيما على استعمالات الحرف الذي يخطىء أو ينفرد عادة بلفظه بشكل مغاير لنطق ولفظ الآخرين ، ويتطور ذلك من الحرف إلى الكلمة فالمقاطع فالجمل حتى يتحقق له تحقيق التوافق المطلوب . ولا يجب أن تكون الجلسات طويلة أثناء التدريب حتى لا يصاب المريض بالإجهاد .

وفي العيادات النفسية أدوات كثيرة تستعمل لتدريب الأطفال على لفظ الأحرف المستعصية عليهم أو تصحيح بعض الأحرف التي ينطقون بها خطأ . ونحن نعلم أن النطق بأي حرف من الحروف الهجائية يتطلب أوضاعاً معينة لوضع اللسان في فجوة الفم .

أسباب عسر الكلام :

لعسر الكلام أسباب عديدة منها :

ـ إصابة الأعصاب التي تحمل تيارات من المخ إلى عضلات الجهاز الكلامي ، وهذه تكون على شكل التهابات أو تلف ، وأهم هذه الأعصاب المسؤولة عن ذلك هي :

العصب الوجهي الذي يحدد حركة الشفاه ، والعصب الذي يصل سقف الحلق الرخو بالحنجرة والعصب المتصل باللسان ، وهذا يؤثر على نطق جميع الحروف التي تعتمد على اللسان في إخراجها أما العلاج وهذا العيب فيقتضي إجراء الفحوصات اللازمة من قبل طبيب الأعصاب لإعطاء العلاج عن طريق التدريبات الخاصة بهذه الأعصاب .

اللجلجة :

ويطلق عليها أيضاً التلعثم أو احتباس الكلام أو التهتهة ، وهي على عكس العيوب الإيقاعية التي تتمثل بسرعة الكلام وعدم المقدرة على ضبط

سرعة تدفقه وعدم فهمه ، ويهتز المصاب بهذا المرض جسمياً وعصبياً ، وتنفجر الكلمة من بين شفتيه مضطربة بعد شدة معاناة ، يقطعها المد أحياناً والتكرار أحياناً أخرى . ويتميز صاحبها بالتشنجات وبتقلص العضلات في الوجه والأطراف ، ولا تخرج الكلمات إلّا بعد مخاض عسير .

الأسباب النفسية لداء اللجلجة :

1 ـ القلق والخوف وعدم الشعور بالاطمئنان .
2 ـ ولادة مولود جديد للعائلة ، فيصاب الطفل الأخير بهذه الأعراض .
3 ـ الإخفاق المدرسي .
4 ـ المعاملة القاسية للطفل ، والخلافات الأسرية الحادة بين الوالدين .
5 ـ التقليد الذي سرعان ما يتحول إلى عادة .
6 ـ إكراه الطفل (الأعسر) على استعمال يده اليمنى في الكتابة .

أما الأسباب الجسمية فهذه تكون :

1 ـ وراثية (عن طريق الاستعداد الوراثي) .
2 ـ أو إصابة في المخ ومنطقة الكلام بالتحديد .

والأسباب النفسية تأتي في المرتبة الأولى من الأهمية ، وهي الأكثر احتمالاً في داء اللجلجة وهذه إحدى طرق العلاج لظاهرة اللجلجة أو عسر الكلام : «تستعمل قطعة من الورق المقوى تغطي صحيفة الكتاب فيما عدا فتحة صغيرة تسمح برؤية كلمة واحدة من الصحيفة المقروءة ، وينقل القارىء الورقة من كلمة إلى الكلمة التي تليها على أن يقرأ كل كلمة بصوت مرتفع ، بهذه الطريقة يمكن تنظيم عملية القراءة بشكل لا يسمح له بالسرعة»[1] .

ولا توجد في بلادنا مدارس أو عيادات لمعالجة هذه الحالات ، مما

(1) د. مصطفى فهمي ، مجالات علم النفس (سيكولوجية الأطفال غير العاديين) ص 134 .

يحرم فئة كبيرة من المصابين من العناية ، ويحول بينهم وبين دخول المجتمع من خلال اعتمادهم على اللغة السليمة والنطق السليم . واللغة هي أداة التواصل الاجتماعي ، والنطق عامل هام من عوامل التفاهم ، والتفاعل .

وإيجاد عيادات تهتم بهذا النوع من المرضى ضرورة إنسانية ووطنية وقومية إذ لا يجوز أن يحرم المجتمع من شريحة كبرى من أبنائه ومن مشاركتها وإسهامها في بنائه وتطوره .

هذا في الوقت الذي بدأت فيه بعض الدول الأوروبية بتقديم العون لهذه الفئة عن طريق فتح مدارس خاصة ، تعنى بتأهيل المعاقين لغوياً ، وعلاجهم وتزويدهم بالقدرة على التعبير وإيصال الأفكار . وبعض الدول أنشأت فصولاً خاصة في المدارس لمساعدة الأطفال المعوقين كلامياً ، إلى جانب التعليم الذي يتلقونه مع غيرهم من الأطفال ، وذلك في الحالات السهلة . أما في حالات اللجلجة والعيوب الصعبة فيرسل الطفل إلى مدرسة مرضى الكلام ، وهذه تعتبر بمثابة جسر العبور إلى المدرسة الابتدائية العادية .

وأفضل أنواع العلاج هو العلاج النفسي والذي غالباً ما يكون مصحوباً بالعلاج الكلامي المتمثل في إعادة التدريب على الكلام وأصول استعمالات الألفاظ والتعابير . ولا يجب الاعتماد على طريقة واحدة في العلاج ، فلا بد من تآزر جميع الجهود والأساليب لهذه الغاية .

ولا يجب أن ينظر إلى العيوب الكلامية بالهزؤ والسخرية ، فهذه تثبت لدى الطفل ظاهرة الاضطراب اللفظي ، وتزيد من توتره وكراهيته لمن حوله ، وتؤدي بالتالي إلى فقدان ثقته بنفسه ، ولا يمكن اعتبار الطفل مسؤولاً عن هذه العيوب ، فقد تكون ناتجة عن خطأ تربوي ، أو أسباب عضوية ، أو اجتماعية أسرية ، أو ضعف في بعض الحواس . لذلك فإن دور المربين ، من أهل ومدرسين دور بالغ الأهمية والدقة بالنسبة للأطفال ، ويقتضي تضافر الجهود ، بين جميع المعنيين في هذا الأمر لإنجاح العلاج .

اضطرابات الكلام :

عيوب النطق تتمثل باضطرابات التلفظ (كالتردد والتهتهة) وقد يكون ذلك كما ألمحنا نتيجة لاضطرابات الأجهزة الصوتية . ويقسم بعض الدارسين اضطرابات الكلام إلى أربعة أقسام :

١ ـ العيوب التعبيرية ، وتعرف بالأفيزيا .
2 ـ العيوب النطقية .
3 ـ العيوب الصوتية .
4 ـ العيوب الإيقاعية .

1 ـ العيوب التعبيرية : يترك أمرها لعيادة الطب النفسي ولدور الرعاية الاجتماعية الخاصة بهذا الموضوع ولا مجال لاستقبال تلامذة من هذا النوع في المدارس النظامية العادية ، نظراً لحالة الطفل الصعبة . فالأفيزيا هي فقدان القدرة على فهم الكلمات المنطوقة ، فيتعذر عليه القراءة الصحيحة ، ويطلق على هذه الحالة عند علماء النفس (العمى اللفظي) .

2 ـ العيوب النطقية : وهذا أمر شائع بين الأطفال ، ويتمثل بتشويه بعض الأحرف كقلب السين إلى ثاء ، والراء إلى لام . وهذه ترجع إلى وجود فجوة في سقف الحلق ، أو انشقاق الشفة العليا أو تشويه الأسنان ، وربما تكون بالوراثة ، أو بتقليد الأهل ، وعلى المربين توجيه التلامذة إلى النطق السليم .

3 ـ أما العيوب الصوتية المتمثلة برقة الصوت أو خشونته ، بارتفاعه أو انخفاضه أو احتباسه أحياناً ، فغالباً ما يكون ذلك ناتجاً عن طبيعة تركيب جهازي التنفس والنطق ، وتتكاثر هذه الحالة عند الخوف والخجل ، وهي مسألة بيولوجية لا يتمكن صاحبها من التحكم بالهواء الخارج من الرئتين وتتمثل أحياناً (بالخنخنة) حيث يتكلم الطفل وكأنه مصاب بالزكام ، وغالباً ما تظهر هذه عند المصابين بالزوائد اللحمية في الأنف وتترك هذه القضية آثارها على الناحية

النفسية عند الطفل فتخفف من اندفاعه في مشاركة رفاقه ، ومن اختلاطه وتفاعله الاجتماعي .

4 ـ أما النوع الرابع وهو ما نطلق عليه ـ العيوب الإيقاعية ـ وتتمثل في عدم التحكم في انسياب الكلام من سرعة وشدة ، وتوقف ومد وتكرار ، بحيث لا تتضح الكلمات ويدمج الطفل بعضها ببعض ، حتى إن الآخرين لا يفهمون ما يقول ، وتعزى هذه إلى سرعة تدفق الأفكار ، بحيث لا يجد الطفل متسعاً لتنظيمها بإطار لفظي منطوق سليم . وبتعويد الطفل على تنظيم أفكاره والتروي في عرضها بطريقة تسلسلية هادئة تصحح العيوب الإيقاعية .

التلعثم :

يصاب الأطفال بالتلعثم أمام من هم أكبر سناً أو أعظم شأناً منهم ، وفي المواقف الجديدة ، وهذا أمر يصيب حتى الكبار ، فنحن في المواقف الجديدة الصعبة ، حيث نتعرض لخبرات جديدة ولأول مرة يعترينا الخوف فالتلعثم ، فيحمر الوجه والأذنان ، وترتجف اليدان ، ويجفّ الحلق وتتسارع دقات القلب ـ ويتصبب العرق ـ والنقد يزيد الحالة سوءاً ولا سيما إذا كان نقداً جارحاً ، ثم إن نفور الوالدين من كلام أولادهم يثبت لديهم عدم الثقة بالنفس وتضعف قدرتهم على التغلب على هذا النوع من المشكلات . وغالباً ما يعوض مثل هؤلاء الأولاد بالتمارين الحسابية المكتوبة على الورق ، وغالباً ما يكونون من ذوي القدرات العقلية الجيدة . وأفضل العلاجات ، هو ألا نتكلم أمام الطفل المصاب عن يأسنا من حالته وحزننا عليه بسبب هذا التلعثم ، أو أن نظهر العطف والشفقة والرثاء فهذا يثير غيظه ، ويجعله يعتبر الأمر على أنه مصيبة كبرى . ولا بأس من إعطائه الفرصة للكلام وشرح ما يجول في خاطره أمام مشهد معين ، أو يطلب إليه سرد حادثة جرت له مع أحد الأصدقاء ، أو سرد قصة سمعها أو قرأها مع وجوب الإصغاء له إصغاءً جيداً وتشجيعه وعدم السخرية منه ، ومنحه الثقة بنفسه ، وإظهار الاستحسان لما يقوله ، وما يعرضه

بشرط ألا يبدو ذلك منا أمراً مصطنعاً أو موقفاً اختبارياً لأنه في هذه الحالة تصدر عنه مقاومة لا واعية ، بالإضافة إلى ما يعتري أي إنسان يوضع في موقف اختبار ، حيث تساوره مخاوف الإحباط والفشل .

أما في المدرسة فالمسؤولية هي مسؤولية المدرس ، الذي عليه أن يتودد إلى هذا الطفل ليجعله قريباً منه ، فلا يخاطبه من على منصته العالية في غرفة الصف ، بل يقترب منه ويلاطفه دون أن يستعجله بالكلام ويطيب خاطره ، وهكذا مرة بعد أخرى فيتحرر من تلعثمه ، وبزوال الرهبة تزول مسببات التلعثم ، وعلى المدرس أن يُكثر من توجيه الأسئلة إلى هذا الطفل بمناسبة أو بغير مناسبة ، ومن تشجيعه على الظهور في الاجتماعات العامة ومواجهة الناس .

بعض علماء النفس يشيرون إلى ضرورة تعليمه الموسيقى كالعزف على آلة معينة (القانون ، العود ، البيانو) لأن الأذن عندما تتعود على ضبط النغم ، تتعود على ضبط الأصوات ، وتزداد ثقة العازف بنفسه فينطلق اللسان من عقاله . ويجب تمرينه من ناحية أخرى على عمليتي التنفس (الشهيق والزفير) في الهواء الطلق ولعدة مرات ويقترح بعض المربين إطلاق الصرخات كما في البرامج الكشفية (. . .) آ. . . آ. . . آ. . . ومن المعروف أن من يملأ رئتيه بالهواء يستطيع الكلام لمدة أطول من ذلك الذي لم يملأها .

حاول بعض العلماء إجمال أسباب التلعثم بالتالي :

1 ـ الخوف ، حيث تتقلص أعصاب الحنجرة عند الموقف المحيف ، فلا يقوى المتلعثم على الكلام وتبقى هذه الحالة حتى تزول الأسباب المؤدية إلى الخوف .

2 ـ نقص التنفس ، كما في حالات الربو .

3 ـ عدم ضبط مخارج الحروف وتنسيقها ، فكثيراً ما ينطق الطفل المتلعثم

بحرف قبل الآخر فيقع في التحريف والتصحيف (كما يسميه علماء اللغة) من أجل ذلك يجب أن يدرب على القراءة الصحيحة والتعبير الصحيح السليم منذ الطفولة الأولى

4 ـ وقد يعود الأمر إلى نقص في المحصول اللغوي الذي تجمع للطفل لسبب أو لآخر ، فهو عندما يطلب إليه التعبير عن أمر ما يكون كمن يفتش في اللغة الأجنبية «فيظل يتردد ويستغرق بعض الوقت حتى يعثر على الكلمة أو الجملة التي تفي بالغرض»[1] .

5 ـ عامل الوراثة : ولكن العلماء يرون أن عامل الوراثة عامل ممهد وليس عاملاً مسبباً بطريقة مباشرة .

وينصح علماء التربية بعدم استعجال الأطفال أثناء الكلام وتركهم يعبرون عن أفكارهم بهدوء ، وعدم إرغامهم تحت طائلة التهديد على النطق السليم .

وترى بعض المربيات أن من أهم الأمور بالنسبة للطفل في هذا المجال «تشجيعه على الكلام وتلافي كل ما من شأنه أن يثبط همته وأن نمتنع تماماً عن أي توبيخ أو عقاب وتحديد فترة معينة لتصحيح الكلام تدريجياً»[2] .

فلا بأس من ترك الطفل يتكلم بحرية على قدر استطاعته دون مقاطعة بالتعليق أو بالنقد لأن محاولة الطفل التعبير عن نفسه تساعده على بناء الثقة بها ، بعد أن تكون هذه الثقة قد تعرضت للاهتزاز بفعل احتكاكه مع أقرانه من الصغار في الملعب والمدرسة . ولا بأس من خلق الظروف المواتية له بالنجاح فيما لا يتصل بالكلام مباشرة وذلك بتشجيعه على ممارسة بعض الألعاب أو الأشغال اليدوية ، وكل نجاح يحرزه في هذه الألعاب أو النشاطات من شأنه أن يحرره من عقده الكلامية ، فيفكّك عقداً من لسانه . وأكثر عيوب الكلام انتشاراً ،

---

(1) محمد السيد الهابط ، حول صحتك النفسية ، ص 171 .

(2) م . سترن . الزا كاستنديك ، الطفل العاجز ، ص 200 .

حذف بعض الأصوات كالنطق بكلمة (كلب) على أنها (كب) والنطق بكلمة (حمار) على أنها (حماي) وهذا لا يعتَبر عيباً إلاّ إذا كان مستمراً وظاهراً إلى درجة أنه لا يفهم على حقيقته وغالباً ما يكون الأطفال الذين يعانون من ضعف السمع . يسيئون النطق ، لأن تعلم الكلام هو نتيجة لترديد الأصوات التي يسمعها .

وفي حال وجود خلل أو تمزق في سقف الحلق ، أو أي عضو آخر من أعضاء النطق فإن الجراحة اليوم استطاعت أن تعوض للطفل ما أفقدته طبيعة تكوينه وإعادته إلى حالته السوية . من أجل ذلك فالاهتمام بالأسنان الأولى أمر ضروري حتى بالنسبة للطفل السليم ، إذ من الخطأ الظن أنه لا داعي للاهتمام بها طالما أنها أسنان الحليب وهي ستسقط لتستبدل بغيرها من الأسنان الدائمة . والحقيقة أن الطفل يحتاج إلى أسنان جيدة طيلة أطوار نموه . وفي سبيل إجادة عملية النطق يجب تشجيع الطفل على المناغاة ، واستعمال جهازه الصوتي كيفما اتفق له ذلك ، ويجب التحدث إليه لكي تتكون هناك ألفة مع الكلمات التي يسمعها وينطق بها ، كذلك يجب الاهتمام بتعويد الطفل على المضغ السليم ، وذلك لأن تصحيح تركيب فك الطفل يحتاج إلى درجة عالية من المهارة الفنية .

والتدريبات الكلامية المتخذة بمثابة علاج للأطفال الذين يعانون من عُسر النطق شأنهم شأن من يتلقى دروساً في الموسيقى ، وتصل هذه التدريبات أحياناً إلى درجة مضحكة وكأنها نوع من أنواع اللعب ، لكنها تصبح ذات فائدة كبيرة بعد التكرار .

وبشعور الطفل بأنك ترثي لحاله ، يتألم ويشعر بالنقص ، وتموت الدافعية في داخله «ومن مصلحة هذا الطفل أن تعامله كما تعامل أخوته أو كما تعامل أي طفل آخر ، لأنه كأي طفل آخر من حيث التكوين ، وما به ما هو إلاَّ أمر عرضي»[1] .

(1) م . سترن ، الزا كاستنديك ، الطفل العاجز ، ص 210 .

ولا يجب إظهار الاستعجال أو القلق ، فالسن الذي يتكلم فيه الأطفال يتفاوت بين طفل وآخر لأن لكل طفل معدله الخاص في النمو العام .

وقد يكون سبب تعثر النطق عائداً إلى أسباب تربوية ، فالوالدان اللذان يتطلعان إلى مستويات لأطفالهم يرهقونهم بأعمال تفوق طاقتهم فيثبطون عزيمتهم فيمتنعون ـ كردة فعل معاكسة ـ عن القيام بأية محاولة ، فلا يبذلون الجهد المطلوب للكلام بطلاقة وفصاحة تامين .

ويهمل بعض الأهل نواحي الاستشارة عند الأطفال لتشجيعهم على النطق السليم ، أو لا يتحدثون مع الطفل ويستمعون له ، ويحاورونه ، ويشعرونه بالإصغاء إلى حديثه ويفهمون ما يقوله ويتحسسونه . ثم إن تدليل الأطفال ، أو تلبية كل رغبة من رغباتهم ، تجعل الطفل في حالة لا يشعر معها بضرورة الإكثار من الكلام ، وغالباً ما يبدو ذلك في حالة الطفل المصاب بمرض لمدة طويلة . ولا شك بأن بناء ثقة الطفل بنفسه له تأثير كبير وخاصة أثناء الكلام في الأمور الهامة ، فعليك أن تؤكد له أنه يتكلم جيداً وأنك تتابع حديثه نقطة فنقطة «وعندما يتكلم الطفل يجب الامتناع عن التهديد والتصحيح والزجر ، واحذر من أن يتبين الطفل عدم اهتمامك بالإصغاء إلى ما يقول ، إذ يجب إشعاره بأهمية ما يقول»[1] . ودعه يسترسل في كلامه واترك له الفرصة لإعداد الكلمات التي سيجيب بها على سؤالك له . ومن المفيد كذلك أن يرتفع صوت الطفل في القراءة ، وأنت تسمع له ليتعود على وجود مستمع ، أو لا ترى كيف يغير الطفل من قراءته ويرتبك عندما يكون في قراءته منفرداً ثم يفاجأ بإصغائك له من طرف خفي فيغير من لهجته ومن قراءته ، فيتعلثم ويضطرب قليلاً !! .

---

(1) م. سترن ، الزا كاستنديك ، الطفل العاجز ، ص 223 .

- ج -

الكـذب

الأطفال يكذبون ، لتهرب من مسؤولية ، كما هو شائع ، أو تجنباً للعقاب ، أو للحصول على العطف والمحبة من الكبار ، أو طمعاً بتحقيق غرض آخر ، وقد يميل الطفل إلى الزهو ولفت الأنظار فلا يجد غير الكذب ، أو يقلد والديه حين يستمع إلى كذبهم ، فقد يكذب الأهل أمام أطفالهم على غير شعور منهم فيمتدحون شخصاً في حضوره فما أن يغادرهم حتى يذمونه ويظهرون سيئاته ، فيفهم الطفل من ذلك أن أهله كاذبون «وتكون أحياناً بعض الأكاذيب الظاهرية صورة من المبالغة ، فكثيراً ما يبالغ الكبار عند سرد بعض الحكايات مما يبرر تسميتهم بكاذبين»[1] .

إن مبالغة الوالدين في حث الطفل على ضرورة اتباع الصدق ، وحرصهم الشديد على محاسبته على كل صغيرة وكبيرة ، في الأمر الهام أو التافه ، وبأسلوب صارم ، لا يجدي نفعاً بل يكون أحيانا بمثابة رد فعل معاكس ، والأفضل تهيئة الطفل للقيام بالرقابة الذاتية وتكوين الرادع الداخلي . «والطفل يصنع مختلف الأشياء من مادة أو أصل عاطفي لتعويض ما يفتقر إليه أو ما يتخيل أنه يفتقر إليه»[2] ، بعض الأطفال يتوهمون أنهم رأوا شيئاً أو سمعوا شيئاً

(1) د. عبد المنعم المليجي ، د. حلمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 414 .
(2) أندريه آرتوس ، طفلك ذلك المجهول ، ترجمة عبد المنعم الزيادي ، ص 80 .

وهم في الحقيقة قد رأوا ذلك في أحلامهم ، وهم لا يميزون بين الحلم والواقع فنظن نحن الكبار أن في الأمر نوعاً من الكذب ، وعلى الكبار ألا يتشددوا كثيراً في موضوع المعاقبة على الكذب مع أطفالهم ، فقد يكون لبعض هذا الكذب أحياناً ما يبرره ، وحتى نحن الكبار ، قد تدفعنا متاعب الحياة أحياناً للكذب ، بكذبة بيضاء أو سوداء . فالتعلق الشديد بالمُثُل العليا من قبل الآباء يجعلهم يفرضونها بقسوة على أطفالهم كمكافحة الكذب فإذا بنتائج هذا الأسلوب التربويّ تنعكس تماماً على نفسية وشخصية الطفل . ثم إن هناك أنواعاً من الكذب يختلقها الطفل لإبراز ذاته وتنمية شخصيته ، وهي تزول تدريجياً عند مرحلة النضوج ، وعلى الكبار ألا يبالغوا في الكذب وهم يقصون القصص الخيالية على أطفالهم بغاية الإثارة والتشويق ، والطفل بطبيعته كمقلّد يهتم كثيراً بمثل هذه القصص فإذا به ينسج على منوالها .

تشغل ظاهرة الكذب ، بال الكثيرين من الآباء الحريصين على إكساب أطفالهم القيم الأخلاقية الحسنة وإبعادهم عن العادات السيئة ومنها الكذب ، وأول ما يجب على هؤلاء الأهل معرفته أن القدوة تلعب دوراً هاماً في هذا الموضوع ، فإذا سمع الطفل من والديه أقوالاً وثبت كذبها أصبح الكذب عنده وسيلة يستخدمها بشكل عادي عند اللزوم بنفس الطريقة التي استخدمها الوالدان ومن هنا بات لزاماً على الأهل أن يحرصوا على أن يكونوا القدوة ، حتى في الأحاديث مع الطفل نفسه ، فإذا وعدناه فعلينا أن نفي بالوعد ، وإذا قطعنا عهداً صدقنا فيه ، وإلاّ اعتبرنا كذابين دون أن ندري ، وغالبية الأطفال يستعملون ببراءة وصراحة في ردهم على أهلهم عبارات ـ أنتم تكذبون علينا ـ أنتِ تكذبين يا ماما ، أو أنت تكذب يا بابا إن استعمالات هذه التعابير لهي خير دلالة على أن الكذب هو وسيلة عادية مألوفة بالنسبة للطفل ويمكن أن يوصف بها أي إنسان حتى الأم والأب ؟!

ويبدو الكذب عند الأطفال بمظاهر عديدة ، فقد يكون ادعائياً ، أو

لتعويض نقص ، أو للانتقام والكراهية ، أو كردة فعل على القسوة وتجنب القصاص «ويميل بعض الأطفال للكذب على سبيل اللعب ، وذلك رغبة منهم في رؤية تأثير كذبهم على المستمعين»[1] وعلى الأهل هنا أن يردوا بابتسامة ، فالطفل بدوره لم يتوقع منا أن نصدقه فغايته هي انتزاع الابتسامة ولفت الأنظار ، وقد حصل له ذلك . ثم يجب التحذير من اتخاذ القصاصات الصارمة والمتشددة بحق الأطفال الذين يمارسون الكذب ، وإن كان هدف الأهل الأساسي هو الردع عن هذه الآفة السيئة وإحلال الصدق كقيمة أخلاقية بدلاً منها ، لكن ذلك يقود إلى آفة بديلة ، لا تقل خطورة عن الكذب وهي العصبية الشديدة ، وقد تؤدي بالطفل إلى التفنن في وسائل الهروب وإخفاء الحقيقة .

ومن الوجهة الفلسفية والتحليلية فالكذب لا يعتبر كذباً إلّا إذا توافرت النية والقصد في الموضوع ، فالذين يقولون أموراً علمية يتوهمون أنها صحيحة وهي في الحقيقة خلاف ذلك ، لا يمكن أن نعتبرهم كاذبين ، أو أن الذي ينقل خبراً على أنه صحيح متوهماً الصدق فيما يقول ، ويكون الخبر كاذباً فهذا ينطبق عليه القول المتعارف عليه ـ ناقل الكفر ليس بكافر ـ من أجل ذلك قامت في الأوساط الفكرية والاجتماعية والفلسفية دراسات حول طريقة استقصاء الأخبار وغربلتها حتى لا يقع الناقلون بالكذب على غير رغبة منهم في ذلك .

والكذب عند الأطفال يتأثر بأمرين اثنين هما : طلاقة اللسان ، والمهارة في عرض الحجج وخصوبة الخيال ، التي تصل أحياناً إلى حد الأساطير الخارقة ، وبالنسبة للأطفال ، لا يجب أن يُفهم كذبهم بنفس المستوى والمفهوم اللذين يُعرفان عند البالغين ، فقد يكون الكذب عند الأطفال وسيلة من وسائل بناء الذات ومن أمثلة هذه الأنواع من الكذب :

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 73 .

ـ الكذب الإيهامي أو الخيالي :

قبل الحديث عن هذا النوع من الكذب ، أعرض حالة واقعية من هذه الحالات : الطفل في الخامسة من عمره ، استمعت إليه وهو يقص على أخوته الكبار أحدوثة فيها من الغرابة ما يضحكهم ويتهمونه بالكذب (تحبباً) يقول :

«. . . أملك مئات الكلاب المدربة والشّرسة ، في مزرعة من ضواحي البلدة أستخدمها ضد كل الذين يزعجونني ، أو يخالفونني الرأي ، وهذه الكلاب مطيعة لي تأتمر بأمري» حاولت أن أماشيه في سرحانه الخيالي وأنا أتظاهر بالإعجاب وبتصديق ما يقول ، وبينما هو مسترسل بالحديث بفخر واعتزاز استأذنته في طرح بعض الاستفسارات ، وكأننا في ندوة أو حوار مع مسؤول ، وسر لاهتمامي وسمح لي بإجراء الحوار وكان على الشكل التالي :

ـ من يشرف على هذه المزرعة ويعتني بالكلاب ؟

● عندي ثلاثة رجال أشداء يحرسون المزرعة ويعتنون بالكلاب .

ـ من أين تأتي لهم بالطعام ؟

● الرجال يحضرون لهم طعاماً خاصاً .

ـ من دفع لهؤلاء الرجال بدل أتعابهم وخدمتهم هذه ؟

● أنا .

ـ ومن أين تأتي بالأموال ؟

● من «القِجّة» حيث جمعت مبلغاً يكفيني للإنفاق عليهم .

ـ لكن وماذا تستفيد من هذه الكلاب ؟

● قلت لك لحراستي ، والانتقام من كل الذين يحاولون إيذائي .

ـ هل ستسمح لنا برؤية هذه المزرعة ورؤية الكلاب ؟

● كلا ، بل أدعكم ترون بعض هذه الكلاب ، ونظر إلى النافذة فرأى

كلباً يسير على الطريق ، فقال : هذا واحد من كلابي ، وهو في نزهة وسيعود إلى المزرعة .

كان الحوار يدور بجدية مصطنعة مني ، وبملاحظة هادفة وإصغاء لما يقوله ، وسط شعوره بالزهو ، واستهجان أمه التي لم توافق على استرساله في (هذا الوهم) الذي يقوده ـ حسب تعبيرها ـ إلى الانتقال من عالم الواقع والعيش في أحلام اليقظة الوهمية الخيالية في نفس الوقت كان الآخرون من الأخوة الكبار يضحكون لهذه الدعابة اللطيفة . وهذه في الواقع حالة (كذب إيهامي) يراد بها إظهار النزعة القيادية ولو على كلاب شرسة وإظهار الثقة بالنفس ومحاولة انتزاع إعجاب الآخرين من أخوته الكبار وإيهامهم بأنه يمتلك قوة كافية لردعهم إذا ما حاولوا النيل منه بالإضافة إلى التعبير عن خياله الخصب الذي يستخدمه لخلق البطولة الوهمية والصورة التي يتمنى أن يكونها ، ولكنها لا تزال بدائية ومشوشة .

إن هذه المرحلة ضرورية ، وستسقط هذه الأكاذيب الإيهامية بعد أن تزول الدوافع وتستبدل عن طريق الانتقال من المرحلة الوهمية إلى المرحلة الواقعية ، ستستبدل بعمل جدي ، واقعي ، ربما يتمثل بقيادته لمجموعة كرة القدة أو ما شابه ذلك .

أما الرد على الأم التي خشيت من تعوده الكذب ، أو الاستغراق في الخيال على حساب الواقع المعاش فكان من الطفل نفسه ، بعد مرور بضعة سنوات ، حيث أصبح الطفل في الرابعة عشرة من عمره يقوم بالتمثيل على مسرح المدرسة ، وكان من البارعين في أداء الأدوار التي تُسند إليه وكان يتميز بروح مرحة ، وميل إلى الفكاهة الظريفة .

الكذب الالتباسي :

تلتبس فيه الحقيقة بالخرافة ، أو الواقع باللاواقع ، من ذلك النوع من الكذب الحالة التالية : يشاهد الطفل أحد المسلسلات التلفزيونية المصرية

فيجذب انتباهه الممثل (سمير غانم) ويعجب به ، وفي اليوم التالي يأتي لزيارتنا أحد الزملاء ليسأله عن والده ، فيهرع مسرعاً إليَّ ليقول : إن سمير غانم قد جاء لزيارتنا وهو شبه متأكد من كلامه ، نتيجة التشابه الظاهري الذي لم يجعله يميز بدقة كبيرة أو أن يفكر في كيفية وسبب مجيء سمير غانم من مصر إلى لبنان وإلى بيتنا بالذات .

الكذب الادعائي :

هذا النوع من الكذب موجه لتعظيم الذات ، وقد يكون أحياناً بمثابة مظهر للشعور بالنقص ، من أمثال هذا النوع من الكذب ، مفاخرة ومبالغة بعض الأطفال بمراكز آبائهم أو بمقتنياتهم ، وغلاء أثمانها ، ومن هذا النوع أيضاً ادعاء المرض ، نتيجة شعور الطفل بعدم الحنان والحاجة إلى الحماية .

وغالباً ما يكون الكذب تغطية لعيوب كثيرة ، وقد كشف الباحثون في الأدلة الجنائية للأحداث أن معظم الكاذبين كانوا في نفس الوقت سارقين أو جانحين بشكل عام ، وليس هناك أجمل من قول أحدهم وإن كان فيه نوع من المغالاة وهو (الصدق رأس الفضائل ، والكذب رأس الرذائل . وانتشار الكذب في المراحل الأولى من الطفولة ، لا يشكل خطورة كبيرة ، بل ربما يعتبر ظاهرة شبه عادية ، لكن استمراره وتطوره إلى ما بعد الطفولة الأخيرة يشكل مشكلة تربوية صعبة. فهناك أنواع من الكذب تستلزمها مرحلة النمو عند الطفل (الخيالي أو الإيهامي) وأكثر ما يبدو ذلك في (4-5) سنوات من العمر ، وهما ضروريان لتنمية الخيال ، ثم الكذب الالتباسي أو الخرافي ، وهو تعبير عن أحاسيس يدركها العقل بنفسه «وهذان النوعان من الكذب يسميان بالكذب البريء ، وهما يزولان عندما يكبر الطفل»[1] . ويأتي بعدها الكذب الدفاعي ، وهو أكثر أنواع الكذب شيوعاً ، فالكذب الادعائي ، والانتقامي ، والكذب

(1) محمد السيد الهابط ، حول صحتك النفسية ، ص 158 .

بالعدوى وهذا ينشأ عن محاكاة الكذابين الآخرين من الأهل أو الأقارب .

أما أسباب الكذب فقد اتفقت معظم الآراء على حصرها بالتالي :

أ ـ اضطراب الحياة الأسرية ، وتفكك الأسرة ، وعدم الشعور بالأمن في داخلها .

ب ـ الشعور بالنقص ومحاولة التعويض عن طريق الكذب .

ج ـ تمييز الأهل بين الأولاد (الأخوة) وتفضيل بعضهم على بعض .

د ـ ظلم المدرس الذي يدفع الطفل إلى الكذب بقصد الخلاص من القصاص .

هـ ـ المدرس الذي يحدد موعداً للامتحان ثم لا يجريه .

والطفل الذي ينشأ في بيئة شعارها الصدق ، وجميع المدرسين فيها ومعهم الوالدان يسلكون مسلك صدق ، فلن يكذب الأطفال ، فإذا ما أعطوا الثقة بأنفسهم وأحسنت تربيتهم فهم لن يحتاجوا إلى الكذب كوسيلة دفاعية أو تعويضية .

علاج ظاهرة الكذب :

1 ـ أن تكون البيئة المحيطة بالطفل بيئة صالحة ، والجميع فيها صادقون ، يشكلون قدوة حسنة ، ويصدقون مع أطفالهم وأن يفعلوا ما يقولونه مستذكرين الآية الكريمة ﴿**كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[1] ، ثم تهيئة الأجواء النفسية المريحة في الأسرة «فالشخص المطمئن لا يكذب أما الشخص الخائف فيلجأ إلى الكذب كوسيلة للهروب من العقاب»[2] .

2 ـ إذا اعترف الطفل بذنبه ، فلا داعي لقصاص ، لأن من اعترف يجب

---

(1) القرآن الكريم . سورة الصف ، الآية (3) .

(2) د . محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ، ص 105 .

أن يكافأ على هذا الاعتراف مع التوجيه الرقيق شرط ألا يستمر الوقوع في الكذب .

3 ـ القيام بتشجيع الطفل على قول الصدق . وتزيين ذلك شعراً ونثراً وتذكيره بقوله الشاعر العربي :

ـ الصدق في أقوالنا أقوى لنا والكذب في أفعالنا أفعى لنا

وليس دورنا كشف الوجوه البلاغية والمحسنات اللفظية في هذا البيت ، فذلك سيدرسه الطفل في مراحل لاحقة ، وأن نزوده بالمثل القائل أيضاً (الكذاب كذاب ولو صدقْ) .

4 ـ التروي في إلصاق تهمة الكذب بالطفل قبل التأكد لئلا يألف اللفظة ويستهين بإطلاقها . كأن نتهمه بالكذب ثم نسحب هذا الاتهام بعد ذلك ، ثم إن هذا يضعف من موقفنا التربوي ، ومن قيمة أحكامنا القابلة للنقض منا نحن أنفسنا في برهة وجيزة . وحري بالآباء والمدرسين التنبه إلى هذه المسألة . أضف إلى ذلك أن الاتهام العشوائي ، والذي لم يثبت صدقه يشعر الطفل بروح العداء والكراهية نحونا ، وليكن شعارنا ـ كل إنسان بريء حتى تثبت إدانته ـ وليس العكس .

5 ـ بعض الآراء التربوية في هذا المجال تشير ، أنه من القواعد المتبعة في مكافحة الكذب ، ألا نترك الطفل يمرر كذبته على الأهل أو المدرسين ، لأن ذلك يشجعه ويعطيه الثقة بقدرته على ممارسة الكذب دائماً ، فبمجرد إشعارنا له أننا اكتشفنا كذبه فهو سوف يحجم في المرات التالية عن الكذب ، وللتذكر بأن إنزال العقوبة بعد الاعتراف بذنبه ، تعتبر كأنها عقوبة على قول الصدق ، فيجب التسليم ولو لمرات قليلة بأن الاعتراف بالخطأ فضيلة .

6 ـ العدالة والمساواة بين الأخوة .

7 ـ تنمية ثقة الطفل بنفسه .

8 ـ المعالجة النفسية للمصابين بالعقد .

9 ـ التزود بالقيم الدينية ، **﴿وقلْ ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾**[1] .

* * *

(1) القران الكريم ، سورة الإسراء ، الآية (80) .

ـ د ـ

السرقة

الأسس الطبيعية لظاهرة السرقة بشكل عام هي أن في الإنسان غريزة تدعى : الميل إلى التملك ، والميل إلى التملك أمر مشروع عند كل إنسان ، بيد أن السرقة هي الاستحواذ على ما يملكه الآخرون بطريقة شاذة وغير سليمة ، أو بدون وجه حق ، ونظراً لأنها تلحق الضرر بالمجتمع لأنها تمس بتملك الأشخاص والجماعات ، فإن القانون يعاقب عليها ، كذلك المجتمع ، وحتى الأديان السماوية ، فقد تشددت في معاملة السارقين ، فكانت من بين الوصايا العشر في العهد القديم ـ لا تسرقْ ـ وجاء التهديد بقطع أيدي السارقين في الإسلام جزاء على فعلة السرقة .

والمؤسف أن هناك مهارات تستخدم في عملية السرقة ، تستلزم في غالب الأحيان قدراً من الذكاء ، والخفة والرشاقة في استعمال الأيدي والأصابع ، والتأنق والتصنع وإظهار المودة والاحتشام .

فالطفل يشعر بميل شديد إلى الملكية ، حتى ولو كانت ملكية الأشياء تافهة ، وعلى الأهل أن ينموا هذا الشعور عند الطفل لأنه حق طبيعي ، فيجب أن يكون هناك أشياء خاصة به ، وأن تكون لعبه له ، يتصرف فيها تصرف المالك في ملكه ، وذلك لإشباع هذه الغريزة الفطرية . والأسرة بما لديها من أنظمة أسرية عليها أن تحافظ على ملكيته ، ليفهم هو بدوره كيف يجب أن يحافظ على ملكية غيره ولا يسرقها . ونحن لا نقول بتشجيع وتنمية الشعور

بالملكية إلى درجة الأنانية ، إذ من المستحب أن يتبادل - رضائياً - اللعب والمقتنيات مع إخوته وأصدقائه عن طيب نفس .

والذي يراقب مقتنيات الأطفال التي يحتفظون بها في خزائنهم وأدراجهم يراها سخيفة ، وغير ذات أهمية (صور ، علب فارغة ، أقلام قديمة) لكنها عزيزة جداً على قلب الطفل يحافظ عليها محافظته على المعادن الثمينة أو العملة الصعبة (في مفهوم الكبار) .

وعملية التفريق بين الملكية الشخصية وملكية الغير تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة فالمنزل هو المؤسسة الأولى لتعليم الأمانة ، إلى جانب الكثير من القيم الإنسانية الأخرى والدافع إلى السرقة قد يكون صادراً عن حاجة ماسة لسدّ رمق ، أو لاقتناء حاجة ، والأهل لا يستطيعون إشباع هذه الحاجة ، فيضعف الطفل أمام الإغراء ، وتحدث السرقة ، أو قد يبخل الأهل عليه بشرائها غير مقدرين لمرحلة الطفولة ، والقيمة الكبيرة للأشياء التي يرونها تافهة ولا لزوم لها ، بينما هي هامة وضرورية للطفل .

والسرقة سلوك اجتماعي يمكن اكتسابه عن طريق التعلم ثم إن الطفل «الذي لم يتدرب على أن يفرق بين خصوصياته وخصوصيات الغير وملكيته وملكية الغير في محيط أسرته ، يصعب عليه بعد ذلك أن يفرق بين حقوقه وحقوق الغير»[1] .

وقد أشرنا إلى أن فكرة الأمانة كقيمة اجتماعية وأخلاقية ودينية تبدأ بالتكوين داخل الأسرة . وفيها يجب أن يدرب على التبادل المشروع واحترام الملكية .

«ومن الأساليب التي تساعد في تكوين اتجاه سلبي نحو السرقة ، وعلى تكوين اتجاه إيجابي نحو الأمانة ، تبصير الطفل بقواعد الأخلاق والتقاليد

(1) د. محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ، ص 97 .

الاجتماعية الواجب مراعاتها وذلك باحترام حقوق الطفل فيما يملك من أدوات خاصة وتخويله حق التصرف في ذلك»[1] .

ويأخذ الأطفال عن آبائهم نظرتهم واحترامهم لحقوق الآخرين فيقلدونهم فيها تماماً كما يقلدونهم في العادات والتقاليد الاجتماعية الأخرى .

«وقد يسرق الأطفال وهم لا يزالون صغاراً ، بعض الأطعمة أو الحلوى ويضعونها في جيوبهم أو مختلف الأشياء التي تروق لهم كبعض اللعب وغيرها ، ويرجع السبب في ذلك إلى نقص في فكرتهم عن الملكية»[2] ، وقد لا تعنيهم نظرة المجتمع الذي يعيشون فيه إلى السرقة ، وقد يرتدعون إذا ما أحسوا أنهم سيعاقبون عقاباً شديداً ، إذا تكررت سرقاتهم ، وهنا تبدأ مرحلة التدريب والتهذيب ، حتى ولو أدىٰ الأمر إلى التهديد بالسجن وبالشرطي ، والأفضل من ذلك كله زرع القيم والمعايير الأخلاقية في نفسه ، والرقابة الذاتية ، وإفهامه بأن الله هو الذي يراقب كل شيء ، وكذلك ضميره الذي يجب أن نساعده على تكوينه بالتدريج .

أسباب السرقة :

يمكن إيجاز أسباب السرقة من خلال ما تقدم ذكره بما يلي :

1 ـ لدوافع جسمية وحاجات لم تشبع في المنزل .

2 ـ لإشباع هواية ، كسرقة دراجة ، أو كرة ، أو لعبة .

3 ـ بدافع الانتقام وكردة فعل على القسوة الزائدة .

4 ـ نتيجة التدليل الزائد ، حيث يفهم الطفل أن الحياة أخذ فقط وليست مزدوجة الحدين (أخذ وعطاء) .

(1) د. مصطفى فهمي ، مجالات علم النفس ، ص 306 .

(2) أندريه آرتوس ، طفلك.. ذلك المجهول ، 115 .

5 ـ قد تكون بدافع الغيرة ، من صاحب المسروقات .

6 ـ الشعور بالنقص ، وبأنه أقل من زملائه ، فيلجأ إلى التعويض .

7 ـ «السكوت على ما يأخذه الطفل بحجة أن ما استولى عليه هو من داخل ممتلكات الأسرة وليس لأحد من خارجها»[1] .

وهذا السبب نعتبره من الأسباب الأساسية والجوهرية ، فالمفهوم العام والكلي للسرقة لا يتجزأ ، بين ما هو ملك لمن هو داخل الأسرة أو خارجها ، لذلك يقتضي التشدد من الوجهة التربوية في هذه النقطة بالذات ، لأنه عملاً بالقول الشعبي المتداول : «من سرق بيضة سرق جملاً» ثم إنه من سرق مال أخيه ، سرق مال الآخرين جميعاً والتساهل في هذه المسألة يعتبر نوعاً من التشجيع على امتداد السرقة إلى خارج إطار المنزل والأسرة .

8 ـ انخفاض مستوى الذكاء ، وتدني نسبة التكيف الاجتماعي .

9 ـ عدم اكتراث الأهل بحقوق الآخرين ، والطفل مراقب ذكي فإذا أقدم على السرقة ، فهو يشابه والديه . . .

علاج السرقة :

متى عرفت الأسباب سهل العلاج . وجلُّ العلاجات تقوم على الوسائل التربوية السليمة والمدروسة . أبرز هذه الوسائل :

أ ـ أن تحترم ملكيته ليحترم ملكية غيره بدوره .

ب ـ خلق أجواء العطف والحنان وإبعاد جو الإرهاب والانتقام .

ج ـ تعويده طلب الاستئذان إذا ما أراد تناول شيء .

د ـ عدم التشهير به أمام رفاقه إذا ما ضبط سارقاً ، بل معالجة مشكلته

---

(1) محمد السيد الهابط ، حول صحتك النفسية ، ص 163 .

على حِدة وبهدوء واتزان حتى لا نخلق منه سارقاً حقيقياً .

هـ ـ زرع القيم الدينية والأخلاقية في الأسرة .

و ـ عدم التمييز والتفضيل بين الأخوة .

ز ـ اختيار القصص ، والأفلام التربوية المناسبة للطفل ، لأن هناك بعض وسائل التسلية المرئية والمقروءة تحرض الطفل على السرقة ، وتظهر بمظهر بطولي فتظهر السارق إنساناً خارقاً يجذب أنظار الآخرين ، ويمكن أن يوصف بالمهارة والحنكة والذكاء . والأطفال في مرحلة من مراحل الطفولة يتوقون أن يكونوا في هذه المواصفات ، فيقعون ضحية السرقة . يحدث هذا طبعاً في غياب التربية الخلقية والدينية ، وغياب عملية الضبط الأسري والاجتماعي .

ح ـ ضرورة مراقبة الوالدين لأموالهم قبل تكون عادة السرقة عند الطفل عملاً بالمثل الشعبي المعروف ـ المال السائب يعلم الناس الحرام ـ وحتى لو كانت التربية سليمة وحكيمة ، فوضع المال في مكان محافظ عليه ، كي تكون له حرمته ومهابته أمر ضروري . وادعاء بعض الأهل أنهم «يرمون بالنقود تحت أرجل أطفالهم» أمر غير مستحب تربوياً لعدة أسباب منها : انعدام الدافعية في تحصيله والاستهانة بصرفه كيفما اتفق بالإضافة إلى ما توسوس للطفل نفسه بالإقدام على السرقة تدريجياً ، وحجة بعض هؤلاء الناس»، الذين يرون في هذه الطريقة تحصيناً ضد السرقة فتشبع نفس الطفل ، قول يحتاج إلى نقاش .

ط ـ لا تصف الولد بصفات اللصوصية ، (أنت لص. . . سارق) ولو تهكماً ، فقد يستسيغ اللقب فيسعى إليه ، ولا سيما وأن فيه نوع من الانتصار على الكبار ، وهذه أمنية تدغدغ أحلام الصغار .

ي ـ إعطاء مصروف الجيب للأطفال بين الحين والآخر ومراقبة كيفية إنفاقهم بطريقة عفوية ، دون إشعارهم بأننا نقوم بعملية مراقبة .

ك ـ تعويد الطفل على عدم الغش في الحياة اليومية ، أو الامتحانات . بعض الأهل يمتدحون (شطارة) أولادهم في هذا المجال فيكونوا على غير رغبة متهم قد دفعوا بهم إلى السرقة . وتوضيح مضار السرقة أمر ضروري وكذلك التذكير بآيات القرآن الكريم وتعاليم الأديان الأخرى .

ل ـ الابتعاد عن رفقة السوء ، وخلق الهوايات النافعة لإملاء الفراغ وإلا فإن هذا الفراغ يُملأ من قبل رفقة السوء .

وتجدر الإشارة إلى أن السرقة تبدأ بمسروقات بسيطة وتافهة لتنتهي بعد ذلك بالمسروقات الكبيرة والثمينة ، فعلى الأهل التنبه لمظاهرها الأولى حتى لا يستفحل الأمر ، ويجب معالجتها بالقضاء على الدوافع الكامنة وراءها ، وليس أن يكون ذلك بالقصاص الجسدي أو الضرب المبرّح ـ كما تجري العادة في معظم الأسر ـ .

والأهل يزرعون نواة (ايديولوجية السرقة) على غير قصد منهم في نفوس أطفالهم كأن تقوم الأم بإخفاء الحلوى عن الطفل في مكان لا يعرفه ، وكم من الأطفال هم الذين يبذلون جهداً في البحث والتنقيب عن الحلوى المخبوءة ويجدون لذة عارمة في اكتشافها وتسجيل الانتصار على الأم . وقد يكون ذلك مقدمة لسرقات منظمة لأغراض ذات قيمة أكبر .

فلنترك هذه حرة للطفل ، على أن يمارس الرقابة الذاتية في ضبط النفس ، أو أن يُحاط علماً على الأقل بأماكن وجودها ، حتى لا يضطر الأطفال إلى سلوك الطرق البوليسية في اكتشافها ، ويكتفي بأن يطلب إليه الاستئذان فقط عندما يريد نيل قسط منها .

وفي كل مرة تواجه الأسرة أو المدرسة ـ مشكلة سرقة ـ يقوم بها أحد الأطفال يجب التنبه إلى طبيعة هذه السرقة ، والتمييز بين السرقة كنزوة عابرة

فريدة ، أو هي متكررة (بداية احتراف) والتمييز بين نوع وحجم المسروقات وعدد المشاركين ، وهل هي إفرادية ، أم هناك عصبة ؟ وما هو دور الطفل السارق فيها ، فهل هو عضو أم قائد ؟ والإجابة على هذه الأسئلة ضرورية لمعالجة هذه المشكلة الانحرافية في حال حدوثها .

* * *

ـ هـ ـ

التخريب

قد يكون وراء ما يسمى (بالتخريب) غريزة حب الاستطلاع والكشف والتحليل والتركيب لذا يكثر الطفل من الأسئلة الموجهة إلى الكبار ولا نكتفي أحياناً بالإجابات النظرية فيعمد إلى الاختبار العملي بنفسه فيحصل (التخريب) .

ويركز الأطفال اهتمامهم في المراحل الأولى من الطفولة نحو العالم المحسوس ليكتشفوا ما به . إنه الشوق الفطري عند الإنسان إلى المعرفة وكشف المجهول ، وهذه النزعة هي النواة الأولى لكثير من الاختراعات والاكتشافات إذ لولاها ما تطور علم أو تقدم أو حصل اختراع أو اكتشاف . والطفل الذي يجرب ويجرب ويحاول عدة مرات ، شبيه إلى حد ما ، ولو من ناحية الشكل على الأقل بالعالم الذي يجري التجربة مرات عدة ليتوصل إلى قانون علمي أو معرفة يقينية .

وهذه المحاولات الحسية التي يبذلها الطفل تشكل الطريق الأول إلى اكتشاف ما يحيط به في هذا الكون . والمتأمل في لعب الأطفال ، وخلال قيامهم باللعب يتحسس هذه الحقيقة عملياً .

والطفل الذي حوّل القطعة الواحدة من (البورسلين) إلى عدة قطع بعد أن رسى بها إلى الأرض ، هو سعيد بهذا الاكتشاف وإن كان يقترن أحياناً بالخوف

من عواقبه التي تتلخص في القصاص أو اللوم الشديد من والديه . فهو ينظر إلى الكثير من الأواني ولا يستطيع اكتشافها لأنه مقيد بقوانين العائلة وتقاليدها لجهة الحفاظ عليها أو النظر فقط وبشكل محدود ، فإذا ما انفرد بها بعيداً عن أعين الرقباء أراد اكتشاف ما كان مغلقاً ومحظوراً عليه ، فإذا ما حصل (التخريب) حسب مفهومنا فهو بالنسبة له (متعة اكتشاف) وإن كانت بالنسبة لنا غالية الثمن .

والطفل أيضاً وهو ينظر إلى والده أثناء الكتابة المنظمة الأنيقة ، يريد تقليده نتيجة الإعجاب بهذا العمل الرائع الذي يشبه نقوش الفسيفساء في نظره ، ولكنه لا يستطيعه ولا يمتلك المقدرة على الإتيان بمثله فيلجأ إلى القلم محاولاً التقليد فيخط كيفما اتفق ، وحيثما وصلت إليه يده ، فيشوه الكتب ودفاتر الآخرين . إنّه يعبر عن ميل طبيعي ، وهنا يأتي دور الأهل في إشباع هذه الرغبة بعيداً عن التخريب فيؤتى له بدفتر وقلم ، وليخط ما يشاء ، أو بلوح حجري وطبشور أبيض وملون ، وليمارس كتابة الخطوط أو رسمها بطريقة عشوائية كما يحلو له .

والحقيقة هي ، أن ما نطلق عليه تخريباً ليس سوى تحقيق لغايات حيوية للطفل ، يؤكد فيها نموه وتعلمه ، فهو لم يدرك قيم الأشياء بعد كما يدركها البالغون .

وبدأت تظهر أمام الأطفال اليوم ـ المشكلة السكنية ـ التي يدفعون ثمنها هم أكثر من غيرهم ، فقد ضاق المنزل في المدينة وأصبحت الشقق مليئة بالأثاث الذي يُمنع الطفل من لمسه ، فلا فسحات ، ولا أماكن مخصصة للعب واللهو (إلاّ في شقق الطبقات الميسورة) ولا حيوانات أليفة يلهو بها ويلعب معها . كل ذلك ضيّق عالم الطفولة في المدينة . لذلك ينصح الأهل أن يوفروا لأطفالهم غرفة خاصة ليلعبوا ويلهوا بالطريقة التي يشاءون ، والإكثار من الألعاب التي تتناسب مع أعمارهم وقدراتهم ومع قواهم العقلية ، وذلك من

شأنه أن يعمل على تصريف نشاطهم تصريفاً جدياً ، ويشعرهم بالغبطة ، ويقلل من فرص التخريب «ولوحظ من إحصاءات أجريت في لندن أن جرائم الأحداث تزيد حيث تقل مساحات الحدائق العامة التي يسمح للأطفال فيها باللعب ، وتكثر حيث تقل هذه الحدائق»(1) .

لذلك تقام اليوم في معظم الدول مشاريع رياض الأطفال والحدائق العامة ، وأمكنة اللهو للأطفال ، وذلك لتصريف النشاط الطفولي .

فالتخريب إذن ينتج إما عن عوارض جسمية غددية ، أو نتيجة عوامل انفعالية مكبوتة لم تعمل الأسرة على إيجاد تصريف لها ، أو نتيجة الغيرة أو الرغبة في الانتقام نتيجة الشعور بالاضطهاد ، وقد يحدث الإتلاف أو التخريب نتيجة لكراهية موجهة نحو الوالدين ، شعورية ، أو لا شعورية .

وهناك نوع من التخريب يوجهه الطفل لنفسه ، بقصد تعذيب الذات، وسببه الشعور بالخطيئة أو كراهية الذات .

التدمير والتخريب :

نحاول أن نميز بين نوع من أنواع اللعب في مراحل الطفولة الأولى ، والذي يقصد فيه تنمية ملكات العمل ، والفضولية ، والتفاعل مع العالم الخارجي بطريقة عبثيّة ، وبين ما نطلق عليه في مرحلة أخرى ، التدمير أو تلف الأشياء التي يرتكبها الطفل عن قصد مع التلذذ في إحداث الأذى ، فالطفل الذي يحطم لعبته ليعرف ما بداخلها ، فذلك نوع من الرغبة في الحل والتركيب واستكشاف الأشياء واختبارها وهذه ليست عملية تخريبية باللغة والمفهوم اللذين نصف بهما العمل .

ونشير هنا على المربين أن يستفيدوا من هذه الفرصة لتنمية هذه السمة في

(1) د. عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص 392 .

الأطفال لإشباع حاجتهم إلى الاكتشاف والمعرفة . وتكون بالتالي مجالاً للخلق والإبداع وقد يكون التدمير عن قصد ناتجاً عن :

- النشاط الزائد والحيوية ، حيث لا تتوافر له سبل تصريف النشاط .
- نتيجة للعوامل الانفعالية ، مثل الغيرة أو الكراهية للوالدين(*) أو السلطة المدرسية .
- نتيجة الإهمال أو الشعور بالنقص ، أو الشعور بالدونية .
- نتيجة الظروف البيئية الصعبة الخالية من وجود العوامل المساعدة على اللعب كما في المدن ، حيث تزدحم الشوارع بالسيارات ، وحيث لا حدائق عامة يجد الطفل فيها متنفساً لرغباته فيرتكب أعمال التدمير .

العـلاج :

يكون العلاج بالطرق التالية :

- العمل على إيجاد وسائل تصريف الطاقة بطريقة منظمة عن طريق توفير الألعاب للطفل ، وتوفير فرص اللعب المناسبة ، ولو أدى ذلك إلى تلويث جسده وثيابه .
- خلق الأجواء النفسية المريحة الخالية من الاضطرابات المنزلية .
- الكشف بوعي ودقة عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء عمل التخريب أو التدمير وذلك قبل التسرع في إنزال العقوبة بطريقة غضبية شديدة .

* * *

(*) يشير (فرويد) إلى هذه المسألة فيصنفها في جملة الدوافع اللاشعورية ويورد الحادثة التالية للتدليل عليها يقول : زارتني أختي حيث اطلعت على معظم أدوات المكتب فأعجبها إلاَّ أنها رأت أن المحبرة غير متناسبة مع بقية الأدوات . ويقول : وبعد نزهة قصيرة نفذ القضاء في هذه المحبرة دون غيرها ، حيث كسرت بحركة طائشة من يده . ويعلق فرويد على ذلك فيقول بأن هذه الحركة لم تكن طائشة ، بل كانت حركة ماهرة مقصودة - لا شعورياً - وهو يجد تفسيراً مشابهاً لإسراف بعض الخدم في كسر الأواني وتحطيم الأثاث .

- و -

العناد والتمرد

هذه ظاهرة طفلية عادية ، مألوفة في المراحل الأولى من الطفولة ، ومن مستلزماتها الأساسية . فهي وسيلة لإثبات الذات وبنائها وشد أنظار الآخرين والتأثير عليهم . سواء كانوا من الأهل أو من غير الأهل ، أما استمرار هذه الظاهرة بشكل قوي وسلبي ، فإنها تصبح مَرَضية ، تسيء إلى علاقة الطفل بالآخرين ، فيسوء تكيفه الاجتماعي ، وفي هذه الحالة تستدعي المسألة عِلاجاً نفسياً يقوم بالبحث عن الأسباب الجوهرية لهذا العناد .

وتكاد تكون هذه المشكلة من أهم المشاكل التي تواجه الآباء والمدرسين ، وبصورة يومية «وهناك مرحلة يطلق عليها العالم الألماني (كرون) مرحلة العناد أو سن المقاومة وهي مرحلة العناد الأولى وتمتد من الميلاد إلى العام الثالث أو الرابع»[1] .

وتتطور أشكال العناد من مرحلة إلى أخرى ، ويتخلص منه الطفل تدريجياً إذا أحسنت تربيته ، ونفذت طلباته المشروعة ، وأشبعت حاجاته ، وأهمها إشباع حاجته إلى العطف والحنان «وتؤكد الدراسات أن خلو هذه المرحلة من مراحل نمو الطفل من سلوك العناد قد يؤدي إلى ضعف الإرادة

(1) د. محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ، ص 126 .

والخضوع والخنوع في المراحل التالية من العمر»[1] ويشير بعض علماء التربية إلى أن مرحلة ما قبل دخول المدرسة هي المرآة التي تعكس شخصية الطفل المستقبلية ، والخطوط العريضة لهذه الشخصية ، التي تنمو وتتطور في المستقبل ضمن هذا الإطار العام . وفي هذه المرحلة تبدأ مظاهر الخلاف مع الوالدين بالظهور بشكل واضح . من أجل ذلك ينبغي الاهتمام في هذه المرحلة بمسألة التعاون بين البيت ودور الحضانة لترويض الطفل وامتصاص مظاهر العناد .

ويمكن تلخيص أسباب العناد والتمرد بما يلي :

أ ـ الرغبة في تأكيد الذات ـ وهذا دليل عافية ـ من الوجهة النفسية .

ب ـ نتيجة فرض قيود مشددة على سلوكيات الطفل ، وأكله ، وملبسه . . . الخ .

ج ـ وضع قيود ضد رغبات الطفل في ممارسة اللعب وتدخل الأهل في حياته الطفولية وإفسادها ، حيث يريدون رسمها على طريقتهم الراشدة ، وذلك يعتبر خطأً تربوياً ، فما يزال الشعار المعروف ـ دعوا الأطفال يعيشون طفولتهم ـ ماثلاً في أذهان المربين من آباء ومدرسين . فهذا الخوف المتزايد والذي لا مبرر له وذلك الحرص الذي يكون غالباً في غير محله على صحة الطفل وحياته يؤدي به في غالب الأحيان إلى العناد والتمرد والرفض . فلا يطلب من الأهل أكثر من الرعاية والتوجيه والتدخل الرقيق عند اللزوم أي عندما تتهدد بالفعل صحة أو حياة الطفل بالخطر .

د ـ إهمال الوالدين للطفل وتركه في البيت وحيداً أو مع آخرين ، وعدم اصطحابه معهم في الزيارات والنزهات ، فيكون رد فعله عناداً وتمرداً وغالباً ما تظهر ردود الفعل هذه على صورة التبول اللاإرادي .

---

(1) المرجع نفسه ، ص 127 .

هـ ـ الأسلوب المتذبذب بين اللين والقسوة المتبع من قبل الوالدين ، مما يجعل الطفل في حيرة من أمره ، فلا يعد يستطيع التمييز بين ما هو حق له ، وما ليس له به حق . فيعبر عن عدم هذا الاستقرار النفسي بالعناد والرفض .

العلاج :

أكثر ما يكون ذلك بالتعاون بين البيت ودور الحضانة ، من أجل إشباع حاجات الطفل واحتواء مطالبه الأساسية ، لقطع الطريق على عمليات الرفض والعناد والتمرد . وعلى المربين أن يدركوا أن هناك مرحلة عابرة لا بد من اجتيازها تتمثل فيها مسألة الرفض والعناد .

ـ يجب التخفيف من أساليب القسوة المتبعة في تربية الأطفال .

ـ يقول المبدأ العام : العناد لا يقاوم بالعناد وعلى الأهل ألا يضعوا أنفسهم في مجابهة مباشرة مع الطفل ، ويتلذذون بنشوة الانتصار عليه ، إذ هم نفذوا ما يريدونه بحقه وأرغموه على الطاعة ، وهم يرون في ذلك إحدى الوسائل الترويضية ـ وهذا من الاخطاء التربوية ـ والمفضل هو محاولة الإقناع باللطف واللين لامتصاص العناد ، وذلك يحتاج إلى هدوء أعصاب وقليل من الصبر يبذله الأهل والمربون .

ـ عدم تعريض الطفل لمواقف إحباطية أو مؤثرة ، تخلق لديه ردود فعل متمثلة بالعناد والتمرد .

ـ آخر العلاجات وأهمها ، وهو المبدأ الأساسي الصالح لجميع الحالات ، ولتصحيح معظم المشكلات الطفولية نكرره لعل في الإعادة إفادة ـ خلق الأجواء الأسرية السليمة الخالية من الاضطراب ، لأن هذا يقود إلى ردود فعل سلبية تتمثل تارة بالعناد والتمرد ، وطوراً بالكذب والسرقة ، أو بالتخريب ، وأحياناً أخرى بالتبول اللاإرادي وما شاكل ذلك .

وكنتيجة للعناد الذي يتحول إلى سلوك متهور فقد «قامت منظمة

الصحة العالمية حول موضوع الحوادث المرتكبة من قبل الأولاد فتبين أن نسبة القتلى والجرحى في الاصطدامات بين الأولاد مرتفعة جداً ، وهي غالباً عند الصبيان أكثر منها عند البنات ، وتشير الإحصاءات أن عدد الأولاد الذين يموتون في فرنسا مثلاً بين (11 - 15) سنة من جراء الحوادث يبلغ حوالى (2000) ولداً»[1] وأرفقت الدراسة بجدول للحوادث التي سجلت بالنسبة للأولاد في فرنسا في سنة 1962 فكانت كالتالي[2] :

الحوادث	من عُمر 1 - 2 سنة	من عُمر 3 - 9 سنة	من عُمر 12 - 14 سنة
حوادث السير			
أ ـ مشاة	124	157	50
ب ـ دراجات	4	25	56
الفرق	213	71	113
الاحتراق	88	12	9
الاختناق	37	13	9
التردي والسقوط	51	21	21

ويُحمِّل المحللون في هذه الدراسة المسؤولية للأم ، فهي لم تعد موجودة في منزلها بطريقة متواصلة حيث انصرفت للعمل ، فهي لم تعد تستطيع حتى تغذية ولدها بحليبها وبحنانها إلاّ في ساعات قليلة ، فبدأت تظهر أثر ذلك الحالات الشاذة ، ومظاهر العناد والتمرد ، وبدأت تظهر فئة من الأطفال العصاة ، الذين «يصممون على أخذ بعض الأشياء مدفوعين برغبة لا شعورية تؤكد لهم أنهم يستطيعون أخذها فعلاً»[3] والحقيقة أن رضوخ الكبار لرغبات الأطفال بعد رفض متكرّر لطلباتهم هو ما يشجع الأطفال على اعتماد العناد والإصرار ، لينتزعوا ما

(1) Géorgeos Heuger, L'enfance, page 83

(2) Gérgeos Heuger, L'enfance, Page 83

(3) أندريه آرتوس ، طفلك . . . ذلك المجهول ، ص 86 .

يريدون ، وبذلك نكون كمن يمنحهم ثمن عنادهم أو المكافأة عليه ، وهذا أمر يتعلق بحسن القيادة ،فالذي يعطي أمراً (من موقع قيادي ، الأب والمدرس) يجب أن ينفذ أمره ويطاع وإلاَّ ماذا يعني هذا الأمر ؟! ذلك طبعاً مع الأخذ بالاعتبار لمسألة واقعية هذا الأمر ، وملاءمة محتواه للطفل ، وإمكانية تنفيذه ، وعدم طلب تطبيق هذه الأوامر بحزم حتى في الأمور التافهة والبسيطة ، وهي أمور يمكن التساهل فيها وتترك حرية الاختيار للطفل .

والأهل الذين يشكون من عدم تطبيق أولادهم للأوامر التي يوجهونها لهم هم في حقيقتهم ممن يتسمون بالضعف وعدم التصميم ، وإن كانت تبدو عليهم في الظّاهر مظاهر القوة والشدة «وبعض مظاهر العصيان الحاد ترجع بالحقيقة إلى سوء استعمال السلطة»[1] .

الاعتداء والمشاجرة :

إلحاقاً بالعناد والتمرد ، يأتي الاعتداء والمشاجرة نتيجة لتصادم رغبتين متناقضتين عند الأطفال «والشجار أو العراك شيء طبيعي مشترك بين مجتمع الأطفال ، وهو عبارة عن استجابة لإحباط تعرض له الطفل أو رغبة جامحة للسيطرة على طفل آخر»[2] وغالباً ما يجري العراك بين الطفلين المتقاربين في السن .

هذه المشكلة ليست وقفاً على الأطفال ، فهي تظهر في مختلف الأعمار ، منذ السنة الأولى فهي أول ما تبدأ عند الفطام ، ثم عند الانتقال من جو البيت إلى المدرسة ، أو على أثر ولادة مولود جديد ، ويرى الباحثون أن استعداد الإنسان للغضب في مواقف معينة هو استعداد فطري الأصل موجود في

---

(1) أندريه آرتوس ، طفلك. . . ذلك المجهول ، ص 95 .

(2) د. عبد اللطيف فرج ، مفاهيم أساسية لتربية الأطفال ، ص 143 .

الطبيعة ، لذلك يقتضي منا التوجيه والإنماء في الاتجاه الأصلح والأمثل ، إذ لا يمكن استئصال هذا الميل والقضاء عليه ، ونظراً لكونه فطري فهو يخضع لقانون الوراثة ، ويخضع كذلك لأثر البيئة ، ويعتقد البعض أن الاعتداء والمشاجرة صفة ذكرية لأنها تحدث بين البنين أكثر مما تحدث بين البنات .

وغريزة الاعتداء والمشاجرة توضع في خدمة الغرائز الأخرى كالملكية والجنس والسيطرة وغيرها ، وتعتمد أحياناً لصون الكرامة والحفاظ على الذات والشرف ، ويمكن أن نقول كذلك «إن النزعات الاعتدائية بمختلف أنواعها صادرة عن استعداد راسخ في طبيعة الإنسان . ويمكن أن يتجه نشاطها اتجاهاً هدمياً ضاراً ، ويمكن أن يتجه اتجاهاً مقيداً لكل من الفرد والمجتمع»[1] .

ويرى (ماكدوجال) أن غريزة المقاتلة لعبت دوراً أكبر مما لعبته أية غريزة أخرى في تطور التنظيم الاجتماعي . ويمكن القول إن البيئة الاجتماعية غير السليمة تساعد على تنمية الاعتداءات وتطورها نحو السلبية ، وكذلك فإن الضغط الزائد وتقييد الحرية قد يقود إلى الاعتداء والمشاجرة . ولا نعني بعدم تقييد الحرية ، ترك الأمور على عواهنها (الانفلات ، والتسيب) بل نعني الأمر الأوسط بين الشِدة واللين . ويمكن لهذه الصفات أن تنتقل عن طريق التقليد ، فالطفل الذي يجد أن والده يغضب ويثور ويقاتل لأتفه الأسباب ، وأحياناً لسبب تأخر إعداد وجبة الطعام فإنه يأخذ عنه (بالتقليد والتأثر) هذه الصفة ، كما تأخذ البنت عن أمها كثيراً من الصفات ، ومنها المقاتلة والشجار ، وإن كانت هذه النسبة ـ كما ألمحنا ـ عند البنات أقل مما هي عند الذكور .

والشجار الذي يجري بين الأب والأم على مرأى ومسمع الأطفال حيث يجد الطفل نفسه محرجاً في الانضمام إلى «أحد المعسكرين» فهو يعاني من

---

(1) د. عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص 372 .

الحيرة التي تجر إلى الصراع والقلق وهو ينقم على الجو المنزلي ، وتتحول نقمته بعد ذلك إلى المجتمع الخارجي .

النزاع والمشاجرة بين الأخوة :

لا تكاد تخلو أسرة من الأسر التي يجتمع فيها أكثر من طفلين من المشاجرة بين الأخوة هذه المشاجرة التي تعد أمراً طبيعياً ، يعود في الغالب إلى عدة أسباب هي في معظمها تافهة في نظر الأهل ، فهو إما خلاف على ملكية لعبة من الألعاب أو غرض من الأغراض الشخصية أو أن يُعيِّر الواحد منهم الآخر لتقصيره في دروسه أو لصفة فيه يثيره ويستفضيه فيكون رد الفعل بالمشاجرة والنزاع ، أو قد يكون النزاع لفرض سلطة ، وخاصة فإن (البكر) يريد أن تكون له سلطة الأب وعلى باقي الأخوة إطاعته والامتثال لأمره ، والأخذ بآرائه .

وغالباً ما يكون الوالدان هما سبب هذا الشجار بتفضيل أحد الأطفال على الآخرين لاعتبارات معينة ، لمرضه ، لذكائه ، ونشاطه الدراسي ، لكونه الأصغر ، لجماله فيثير ذلك حفيظة الباقين ﴿**فيكيدون له كيداً**﴾ .

ويتألم الأهل لذلك ، وأكثر ما يزعجهم أن يسمع الجيران أصوات أولادهم ، فيتهمون بالفشل في تربية الأولاد ، أو يظن الآباء أن الأولاد عندما يكبرون سيكبر معهم الخصام وتتسع شقة الخلاف ، وبالتالي فإن هؤلاء الأولاد لن يكونوا متكيفين مع بعضهم ومع الآخرين . فالذي يتشاجر مع أخوته لن يصفو له عيش مع الآخرين ـ هذا هو الاعتقاد الواهم عند الأهل ـ والواقع أنه لا داعي للخوف ، فعندما يكبر الأولاد سيضمحل الخلاف ، وسيتذكرون ذلك بذكريات مقرونة بالدعابة والسخرية من أنفسهم ، حتى إنه في بعض الأوساط العائلية يتردد قول عند بعض الأهل ـ إن الخلاف والمشاحنة بين الأطفال الصغار تنقلب إلى محبة ومودة في الكِبر ـ .

إذن هي ظاهرة طبيعية لا مجال للتخوف من عواقبها طالما أنها لا تزال في الإطار المعقول والمحدود والمتعارف عليه في معظم العائلات ، لكن في حالات استفحال هذا الأمر واتخاذه أشكالاً غير مألوفة ومستهجنة تصل في مداها إلى خد الخروج عن الواقع أو قل إلى حد الجنوح . عند ذلك يقتضي دراسة الحالة والبحث على ضوئها في سبل المعالجة .

ومن خلال الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع تبين التالي :

1 ـ الشجار يخف تدريجياً كلما تقدم الأطفال في السن .

2 ـ غالباً ما يحدث الشجار بين الأخوين المتعاقبين (وُلدا على التوالي) .

3 ـ البنات أقل ميلاً للمشاجرة من الصبيان .

ويعد بعض الباحثين أن الشجار دليل الحيوية ، بينما يرى آخرون أنه دليل على عدم التطبع الاجتماعي الذي يمكن للأهل التوصل إليه بتوجيهاتهم الرشيدة ، ويشير هذا الفريق من العلماء وفي حال تكرار الشجار من قبل أحد الأطفال بوجوب مراجعة طبيب الغدد ، فغالباً ما تكون الغدة الدرقية سبباً في ذلك ، أو سوء التغذية ، أو الأرق وقلة النوم أو أي سبب جسماني آخر ، وفي هذه الأحوال يبدو الشجار وسيلة سلبية لتصريف الانفعال .

وأحياناً تعود أسباب المشاجرة إلى سوء تكيف الطفل مع المدرسة (المدرسين ، والرفاق) وبما أنه محكوم بنظام مدرسي ويخشى العقاب إذا ما خرج على هذا النظام فهو يقوم بتفريغ هذه الشحنات الانفعالية في البيت ومع الأخوة بالذات ، لأن فرص الخلاص من القصاص هي أوفر . ويُحسن أن يتنبه الأهل إلى بعض الوسائل الوقائية في موضوع المشاجرة ، وهذه أبرزها :

1 ـ إملاء وقت الطفل بالعمل المفيد ، والنافع ، سواء كان هذا العمل دراسياً أو ممارسة هواية (لأن البطالة أم الرذيلة) .

2 ـ أن يكون جو المنزل مليئا بالعطف والحنان والحب .

3 ـ أن تكون اللهجة التي يتخاطب بها الوالدان ودية ، وبصوت هادىء .

4 ـ عدم تفضيل طفل على آخر منعاً للحسد والغيرة .

5 ـ الابتعاد عن السخرية والاستخفاف بواحد من الأطفال من قبل والديه أو من باقي أخوته .

6 ـ المحافظة على ملكية الأطفال الخاصة ، وعدم التدخل في أعمالهم أو إرغامهم عليها .

7 ـ على الأهل ألا يبدو قلقهم وتبرمهم من الحياة والوضع الاجتماعي والاقتصادي أمام أطفالهم ، وعدم الإكثار من الصور السوداوية التشاؤمية ، لأن ذلك ينعكس سلباً على الأطفال .

ويُنصح الأهل بالإضافة إلى ذلك ، وفي حال تشاجر الأطفال أن يُترك هؤلاء الأطفال أو يعوَّدون على الأقل على حل مشاكلهم بأنفسهم في جو هادىء بإشراف الوالدين ، وإذا تدخل الأهل أو المعلمون فليكن تدخلهم ، من غير عنف ، وعليهم ألا يقابلوا الانفعال الغضبي بانفعال مثله أو أقوى ، وإلاَّ أصبحوا هم المشكلة . وفي هذه الحال يتعذر عليهم إصلاح أبنائهم وإعادتهم إلى هدوئهم واتزانهم ، لأن ـ فاقد الشيء لا يعطيه ـ ونلفت نظر الأهل إلى أنه «يجب ألا يركزوا على من هو المخطىء في تلك المشاجرات لأنه من النادر أن نجد أو نعثر على الحقيقة ، لذلك فالأجدر عدم عقد محكمة داخل البيت للقضاء بين الأطفال»(1) .

والأولى بالأهل أن يوقفوا المشاجرة أولاً ، وبدون انفعال شديد ، ويُوجه الأطفال إلى النشاطات النافعة ، أو الواجبات المدرسية ، ثم ينظر في الأمر الذي تشاجرا من أجله باقتضاب ، ويُحكم للبريء ويلام المذنب ، دون إسهاب في الشرح والتحليل لأن ذلك يعتبر فوق مستوى الأطفال .

(1) د. عبد اللطيف فرج ، مفاهيم أساسية لتربية الأطفال ، ص 144 .

الفصل الثاني
المشكلات الطفولية المنزلية

- مقدمة في مشكلات الطفولة

أ - الخوف

ب - التبول اللاإرادي

ج - مص الأصابع وقرض الأظافر

د - النوم

هـ - مشكلة الأكل أو فقدان الشهية

و - الغيرة

ز - العُصَاب

ح - العبثية والعصبية

ط - الطفل المتواكل

ي - الطفل العاجز

ك - فشل الأطفال

مقدمة في مشكلات الطفولة

كل أبوين يخيل لهما لأول وهلة ، أن ابنهما ينفرد ويتصف ببعض الصفات ويتميز بها عن الآخرين من الأطفال ، ويعتريهما الخوف من أن ينحرف فيميل إلى الجنوح أو إلى اضطراب الشخصية ، وفساد الخلق .

من هذه المشكلات : فقدان الشهية إلى الطعام ، عدم تنظيم النوم ، مسألة الكذب والعناد وعصيان الأوامر ، وغيرها .

هذه المشكلات تكاد تكون مشتركة تقريباً عند الغالبية العظمى من الأطفال وبنسب متفاوتة طبعاً ، وغالباً ما تنجم عن التعارض بين شخصية الطفل ومتطلبات نموها ، وشخصية الأهل . وتبقى المسؤولية دائماً هي مسؤولية الوالدين اللذين لا يفتشان عن حلول، إما لادعائهما بأنهما ليسا بحاجة إليها، أو إهمالاً لأقدس واجب ملقى على عاتقيهما . وينسى الأهل دائماً أنه لا يوجد أطفال سيئون ولكن يوجد أهل سيئون ، والأهل هم في الغالب بحاجة إلى توجيه .

من أبرز المشكلات الطفولية ، تفضيل الأهل لأحد الأولاد على إخوته الباقين وفي حديث نبوي شريف يقول ﷺ : «**سووا بين أولادكم حتى في القُبل**» ويتصرف الأهل بذلك بطريقة لا شعورية «والتمييز يكون ظاهراً لكل الناس

وخافياً على الأهل أنفسهم»[1] . وقد يرتدي هذا التفضيل عدة وجوه ويعود إلى عدة أسباب منها : كونه الوحيد بين البنات ، أو يكون جميلاً جذاباً أو أكثر أخوته ذكاء ، وفي هذا المجال سئل الرسول عليه السلام عن أحب أولاده إليه ، فأجاب بحديثه المشهور والمتداول كقاعدة تربوية ـ اجتماعية : «**صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يشفى وغائبهم حتى يعود**» . فبرر عليه السلام هذا التفضيل الآني الناتج عن عاطفة إنسانية تمليها ظروف معينة .

ونحن ندعو لمزيد من الفهم لطبيعة مرحلة الطفولة لنتمكن من التعاطي مع الأطفال في البيت والمدرسة . يقول (روبرت فروست) «إنني أتجه إلى الصغار لأتعلم على أيديهم المستقبل»[2] ، وكان فروست هذا يرافق أحفاده إلى الغابة ليس فقط لتعليمهم ، بل ليتعلم منهم . وهو يقول إنهم كانوا يلفتون نظره إلى أمور لم يكن ليتنبه لها . أحد الموسيقيين كان يشعر بنوع من الارتياح والتجدد الدائم عندما كان يقود جوقة للأطفال ، كما أن أحد علماء النفس كان يلذ له أن يجلس مع المراهقين وهم يتحدثون عن مشاكلهم ، عن المواعيد بين الجنسين ، عن المعتقدات الدينية . . . الخ .

ويقول أحد علماء النفس «إن الطفل السعيد يظل يعيش في الراشد السعيد المبدع ، كما يظل الطفل الكثير المطالب الفاقد الشعور بالأمن ، يعيش في الراشد العنيد الحاصر اهتمامه بذاته»[3] .

ومن أهم الأشياء التي يكتسبها الطفل أثناء نموه ، ترسيخ ما يسمى (بالثواب الرمزي) فبعض جوانب البيئة الخاصة بالطفل ، كابتسامة الأم ، وصوتها ، وجسمها ، والتي لم تكن تعني له شيئاً في السابق ، تكتسب اليوم

---

(1) د. نبيه الغبرة ، المشكلات السلوكية عند الأطفال ، ص 45 .
(2) هاري وبونارو افرستريت ، العقل المنطلق ، ترجمة عبد الحميد ياسين ، ص 298 .
(3) هاري وبونارو افرستريت ، العقل المنطلق ، ترجمة عبد الحميد ياسين ، ص 282 .

خصائص تجعلها قادرة على تقوية سلوك الطفل أو إضعافه ، فكلمات الثناء والتشجيع ، والإيماءة ، والابتسامة المعبرة عن الرضا والقبول كلها لها تأثيرات بالغة في نفسه . ويقول (واطسن) : «أعطني اثني عشر طفلاً يتمتعون ببنية جيدة ، وأنا كفيل بأن أجعل كلاً منهم من خلال التدريب اختصاصياً في الميدان الذي أشاء ، فقد اختار أن يكون طبيباً أو محامياً أو فناناً أو صاحب متجر أو متسولاً ، وذلك بغض النظر عن مواهبه وميوله ونزعاته ، وقدراته وكفاءته وجنس أسلافه»[1] ويبدو أن واطسن في غمرة تفاؤله وثقته العارمة بقدرة التربية والتطبيع على التأثير في توجيه الأطفال ، قد استخف بباقي المؤثرات ، وتفاؤله في أثر التدريب أوصله إلى درجة الاعتداد بالنفس والمبالغة .

وملازمة الأطفال في فترة طفولتهم ومشاركتهم بين الحين والآخر نشاطاتهم وهواياتهم مظهر من مظاهر النضج التربوي ، والانفعالي ، والرجل الناجح هو الذي تسعده صحبة الأطفال مثلما تسعدهم صحبته وكما عبر عن ذلك أحد المربين «الراشد يظل يعيش فيه طفل ، ذلك هو الطفل المتشوق لاستكشاف العالم المليء بالأسئلة»[2] . إن عالم الكيمياء العضوية يثير في نفس رائيه ، وهو في المختبر هذا السؤال : هل هو يعمل أم يلعب ؟ وهل هو ولد أم رجل ؟ والجواب على السؤال : ـ (كلاهما) . والحقيقة أن الّذين يؤثرون على جميع رفاقهم من الناضجين هم أولئك الذين نشعر أن فيهم يمتزج الطفل بالراشد .

---

(1) مارتين هربرت ، مشكلات الطفولة ، ترجمة عبد المجيد نشواتي ، ص 110 .

(2) هاري وبونارو أفرستريت ، العقل المنطلق ، ترجمة عبد الحميد ياسين ، ص 283 .

ـ أ ـ
الخوف

مخاوف الأطفال ظاهرة تقلق الآباء والأمهات ، وكان العلماء يعتقدون أن الطفل يولد مزوداً بغريزة الخوف ، لكن الدراسات الحديثة تشير إلى أن الخوف عند الطفل لا يبدأ قبل الشهر السادس ، ولا يكون في هذا السن واضحاً أو محدداً ، وأكثر ما يبدو ذلك بتأثير الأصوات العالية ، وإضاعة التوازن .

فالطفل الذي يعيش في الريف ، لا يخشى الحيوانات الأليفة ، كالكلب أو البقرة أو النعجة ، لكن الطفل الذي يتربى في المدن يخافها ، وهذه إشارة إلى تأثير البيئة «ومخاوف الأطفال تتكون أثناء الطفولة الباكرة ، ونتيجة لتعاملهم مع البيئة ، وتأثرهم بالنمط الحضاري لهذه البيئة ، وما فيها من مفاهيم وعادات وأساطير ومواقف»[1] .

وقد أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت حول مخاوف الأطفال أن الخوف يتراوح بين النسب التالية : «الخوف من الأمور الخارقة في الطبيعة كالسحر والشياطين 19,5 % ، بقاء الطفل وحيداً 14,5 % ، الخوف من هجوم بعض الحيوانات بشكل مفاجىء 13,5 % ، الخوف من الجروح والوقوع والعمليات الجراحية 13 %»[2] .

(1) د. فاخر عاقل ، أصول علم النفس وتطبيقاته ، ص 217 .
(2) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، أمراض العصر النفسية والعقلية والسيكوسوماتية ، ص 145 .

أما العالم (واطسن) فيرى «أن الأصوات العالية أو السقوط ما هي إلاَّ منبهات طبيعية لشعور الولد بالخوف ، وإن باقي مصادر الخوف ما هي إلاّ مثيرات شرطية ، ارتبطت بالمثير الأصلي الطبيعي فاكتسبت صفته»[3] . ولكننا نجد في الواقع ما يخالف رأي واطسن في هذا الموضوع ، فالطفل عندما يكبر يخاف من أي موقف غير متوقع ، وفيه غرابة ، وهذا يشير إلى أنه ليس هناك مثير واحد يُحدث الخوف في الطفولة الأولى .

أما ما يعتقده بعض الأهل بأن إزالة المخاوف من ذهن الطفل تكون بإبعاده عن مصادر الخوف ، فهي مسألة غير واقعية ، وقد تعمل على تأجيج الشعور بالخوف ، ويرى بعض المربين أن خير وسيلة هي أن نعوّد الطفل على مواجهة مواقف الخوف فيصبح من الممكن التحكم بها . وتشكل المخاوف جزءاً هاماً من نمو الأطفال وحياتهم ، تنمو معهم حتى مرحلة النضج ، لذا يجب مساعدة الأطفال على تخطي مخاوفهم منذ الطفولة ، حتى لا ترافقهم وتشكل لهم العُقد والمخاوف المرضية تختلف عن المخاوف العقلانية المشروعة التي يحسها الراشدون ، ومخاوف الأطفال هي في منزلة بين المنزلتين ، مخاوف مؤقتة ، تزول مع نموهم إذا عولجت وتتحول إلى دائمة وإلى عقد إن هي أهملت .

إن نزعة حفظ البقاء عند الكائن الحي تدفعه للنضال من أجل ذلك، لتنمية هذه النزعة والابتعاد عن كل ما يهددها ، ويعد لذلك انفعال الخوف أحد مظاهر الحفاظ على البقاء ، والخوف هو الذي يحفز المرء على الحرص والتروي والحذر ، من أجل الحفاظ على البقاء «فالخوف إشارة تهدف إلى

---

(1) د. مصطفى فهمي ، سيكولوجية الأطفال غير العاديين ، ص 319 .

الحفاظ على الذات وذلك بتعبئة الإمكانات الفيسيولوجية للكائن الحي»[1] ثم إن إفرازات الأدرينالين الناتجة عن الخوف والمتمثلة بمظاهر فسيولوجية عدة تزيد من قدرة الفرد وقوته وسرعة حركته في المواجهة أو الهرب ، ولم يثبت للعلماء الباحثين أن هذه الإفرازات تزيد من القدرة العقلانية بل ثبت العكس أي أنها تحد من هذه القدرة أو تشلها . «والفرد المدرك لقوته وقوة حلفائه لا يعاني من أية مخاوف غير عقلانية ، ويتمتع باستعداد أفضل لمجابهة التهديدات التي يلزم الخوف منها»[2] . ولاشك بأن الخوف إلى جانب كونه أحد مظاهر حفظ البقاء فهو يحمي الفرد من التهور ، لكن شرط أن يقوم هذا الخوف على تقييم دقيق للمدقق ويكون واقعياً ، فالخوف من الوحوش المفترسة ، والأعاصير الشديدة أمر سوي ، أما الخوف من الفراشة والنملة ، فهو خوف مرضي ، وهو بالتالي سلوك غير سوي ، وغير عقلاني . ثم إن المرء عندما يكون أقوى من التهديد لا يعد هناك مبرر للخوف . وقد ثبت كذلك أن هناك ارتباط بين المخاوف الواقعية والذكاء . فالأطفال الأكثر ذكاءً ، هم أقدر من غيرهم في تقدير العواقب السيئة ، فالخوف منها واتخاذ الحذر والوقاية ، وهم يتغلبون على مخاوفهم غير العقلانية بطريقة أفضل من رفاقهم (من متوسطي الذكاء) . «فكلما زاد ذكاء الطفل كلما أصبح أسرع وعياً بالأخطار الحقيقية وقدرة على التمييز بينها وبين الأخطار الوهمية المتخيلة»[3] .

فالطفل الذكي لا يمكنه أن يعتقد بالعفاريت وبوجودها ، وذلك بفضل قدرته على التفكير المنطقي ، والمخاوف التي لا مبرر لها من شأنها أن تصيب صاحبها بعدم التكيف وبالاضطرابات السلوكية .

---

(1) ب. ب وولمان ، مخاوف الأطفال ، تقديم عبد العزيز القوصي ومحمد الطيب ، ص 15 .
(2) المرجع نفسه ، ص 18 .
(3) المرجع نفسه ، ص 20 .

بعض الأهل لا يسمحون لأطفالهم بمواجهة الصعاب خوفاً عليهم وحباً بهم فيقيمون حولهم أسباب العناية الكاملة ، والحرص الشديد المبالغ به ، فيعملون على غير رغبة منهم على زرع المخاوف في نفوس أبنائهم . وترداد عبارات التحذير المبالغ به حول الوقوع في المخاطر ، يهدد الثقة بالنفس ، ويعمل على إنشاء المخاوف .

وهناك فروق فردية كبيرة في درجة قابلية وإصابة الأطفال بالمخاوف ناتجة عن الأسباب الوراثية ، وغالباً ما تبدأ منذ فترة الحمل ، وتكوين الجنين ، وعن أسباب تربوية مردها إلى الطريقة التي يتعامل فيها الآباء مع أطفالهم .

والمقولة التي ذهبت إلى أن البنات أكثر تخوفاً من البنين ، فقدت مصداقيتها ولم تعد الشجاعة إمتيازاً ذكرياً أو حكراً على جنس الرجال . نقول هذا بعد سماعنا الكثير عن الفتيات اللواتي عرفن بشجاعتهن النادرة .

أبرز المخاوف عند الأطفال :

أ ـ الخوف من البقاء منفرداً في البيت :

أو خوف الطفل من أن يترك وحده في البيت وبالتعمق في أسباب هذه المخاوف ، نرى أن معظم الكائنات الحية تستمد الإحساس بالأمان من مصدرين هما : القوة الشخصية ، وولاء وقوة الحلفاء .

والحقيقة فإن هذه هي حالة الطفل الصغير الذي لا حول ولا قوة له ، فهو يستمد قوته من حلفائه ، وهم الأهل طبعاً في هذا المجال . ومن الطبيعي فإن تركه وحيداً ، ولو لوقت قصير يجعله محروماً من هاتين القوتين ، فهو غير قادر حتى على الحصول على طعامه . ويعتبر أحد علماء النفس الأميركيين «إن العزلة هي المصدر الأكبر للرعب في الطفولة المبكرة»[1] .

---

(1) ب. ب. وولمان ، مخاوف الأطفال ، ص 49 .

أما عن ترك الطفل من قبل أمه بداعي ظروف عملها خارج المنزل ، فلا خوف من ذلك بشرط أن تمنحه المحبة الكافية ، وتشعره فعلاً بأنها تحبه ، حتى يشق شخصياً بهذا الحب ، وألا تعامله كأمر واقع مفروض عليها ، وأن كل ما يطلب منها هو تأمين مأكله ونظافته وملبسه وتأمين وسائل التسلية ، ووسائل الراحة الأخرى ، إن منح المحبة قد يكون أهم من ذلك كله ، فإذا مُنحت هذه المحبة بطريقة موضوعية ومعتدلة دون إفراط ، ثم استكملت بترك الولد مع أناس موثوقين محبوبين من قبله فإن ذلك لن يتسبب في مخاوفه طالما أنه متأكد بأن أمه سوف تعود إليه في وقت محدد .

بعض الأهل يزرعون المخاوف في نفوس أطفالهم على غير علم بذلك ، فهم يلوحون بمسألة إبقاء الطفل وحيداً في البيت وكأنها قصاص للطفل ، كأن يقول أحد الوالدين للطفل : (إن فعلت ذلك . أو إن لم تكف عن عمل ذلك) سوف أتركك وحدك في البيت . وفي هذه الحالة تصبح مسألة الترك وحيداً في البيت ، بالنسبة للطفل بمثابة التهديد المرعب ، الذي ينطوي في طياته على القصاص ، والقصاص ما كان يوماً بمحبب ، بل يقصد منه الإيذاء والإيلام للشخص المقاصَص . من هنا يعلو صراخ الطفل وانصياعه القسري للأوامر الصادرة إليه لمجرد تهديده بهذا (الأمر المرعب) وهو البقاء وحده في البيت .

ب ـ الخوف من الحيوانات :

هذه المخاوف مشتركة عند معظم الأطفال ، وتتضاءل مع نمو عقل الطفل ومع فهمه لطبيعة بعض الحيوانات وخاصة الأليفة منها ، وتوطيد العلاقة بها ، لكن قسماً كبيراً منهم ترافقهم هذه المخاوف حتى مرحلة النضج والرشد ، فسيبقون على خوفهم من الحيوانات صغيرها وكبيرها ، المتوحشة منها والأليفة .

وقد ثبت من التجارب أن تعويد الطفل على ملاطفة وإطعام القطط

والكلاب بصورة تدريجية والتعاطي معها كمخلوقات ضعيفة ، وهو القوي الذي يقدم لها العون لما في قلبه من الحب والرحمة للضعفاء . إن هاتين الطريقتين : النظرية والعملية أي التعاطي العملي ، وزرع مشاعر الشفقة من شأنه أن يخلق الألفة المطلوبة بين الطفل والحيوانات ، ومن ثم يزيل من نفسه الخوف منها ، وتستبدل هذه المشاعر بنقيضها .

ج ـ الخوف من الظلام :

يرتبط الظلام في ذهن الأطفال بالعفاريت والشياطين ، واللصوص ـ وهذا أمر طبيعي في مرحلة الطفولة ـ لكن إذا تعدى هذا الخوف الحدود المعروفة يصبح أمراً شاذاً ، وفي جميع الأحوال ، فإنه في المراحل الأولى لا بأس من أن ينام الطفل في مكان مضاء ، ونتيجة لخياله الواسع ، فقد يرى الطفل من الأشكال أشباحاً فيخاف منها . والأدهى من ذلك أن يكون الأهل ممن يخافون الظلام ، وفي هذه الحالة تنتقل العدوى عن طريق الإيحاء ، يضاف إلى ذلك عملية التخويف التي يمارسها الأهل والأخوة الكبار بطريقة المداعبة ، وخاصة أثناء الظلام ، فالطفل في هذه الحالة شديد التهيؤ لاستقبال أية فكرة عن الأشياء المخيفة والاقتناع بها . ويُستحسن ألا تروى القصص المفزعة أو الأفلام المرعبة قبل النوم ، وذلك لما يبقي في لا وعيه منها ، فتظهر ليلاً بصورة الأحلام . «والطفل يخشى قدوم الليل لأنه مرتبط في ذهنه بقوى فوق الطبيعة لا يقوى عقله على تفهمها»[1] . والواقع أن معظم الأطفال يخشون الظلام ، لكن بعضهم يكبت هذه المخاوف خشية تهكم الكبار وسخريتهم وتقريعهم له على هذا الخوف الذي لا مبرر له في نظرهم ، وبعضهم يلجأ إلى الغناء أثناء الخوف ليرفع من روحه المعنوية وقسم كبير من هذه المخاوف تكون نتيجة القصص الأسطورية المفزعة التي تقص على الطفل . والطفل يشبه الإنسان البدائي الذي

(1) أندريه آرتوس ، طفلك . . ذلك المجهول ، ص 26 .

يخشى قدوم الليل لارتباطه بالحيوانات الأسطورية والأمور الوهمية . ومن الأخطاء التربوية في هذا المجال ، أن بعض الآباء اتخذوا من الظلام أداة لتأديب أطفالهم كوضعهم في غرفة مظلمة أثناء القصاص مما يعزز مخاوفهم ويثبتها، ويؤكد وهمهم أن الظلام فعلاً مخيف ، ولولا ذلك لما استعمل أسلوباً للتهديد والقصاص . حتى عملية المزاح التي تجرى لاختبار الطفل ومخاوفه فيوضع في مكان مظلم لوقتٍ قصير جداً هي مرفوضة ، كأن يلجأ بعض الوالدين إلى إطفاء النور فيصرخ الطفل خوفاً فتعاد الإضاءة فيكف الطفل عن البكاء . إن في ذلك أيضاً عملية ارتباط بين النور والأمن والحماية ، والعكس يمكن أن يقال بالنسبة للظلام .

والحديث الهادىء عن موضوع الخوف من الآباء والأبناء يخفف من حدة هذا الخوف وقد لوحظ أنه بعد الأحاديث عن نوع معين من الحيوانات الأليفة المخيفة ، زالت من أذهان الأطفال أمور كثيرة ، وأصبحوا قادرين على رؤيتها في حديقة الحيوانات أو النظر إليها من خلال الرسوم في الكتب .

د ـ الخوف من الأماكن المفتوحة :

ويطلق عليها العلماء أيضاً «فوبيا الأماكن المفتوحة» ، وهي شائعة عند الأطفال ، ويرى بعض العلماء أنها «إزاحة لمشاعر العدائية تجاه الوالدين أو خوفاً من الحفزات العدائية للطفل نفسه»[1] والأطفال يميلون إلى تأويل كل ما يقوله الآباء بطريقة حرفية ، فالطفل الذي يسمع أمه وهي في حالة غضب تقول : ـ سأقتل نفسي لأرتاح من هذه الحياة ـ فإن الطفل غالباً ما يكبت في لا وعيه حقيقة حدوث هذا الأمر في وقت من الأوقات ، وربما تكون ملازمة البيت وخوفه من الخروج منه هي بدافع لا شعوري لمنع الكارثة التي ستحدث للأم حسب توهمه .

(1) ب. ب وولمان ، مخاوف الأطفال ، ص 142 .

والأم التي تتعلق بولدها ، مرددة أنها تشعر بالتسلية بقربه ، والانزعاج لغيابه ، لا يتردد هذا الطفل من ملازمة البيت لمنع القلق عن أمه فيصاب فيما بعد بالفوبيا ، حيث «يكون خوفه تعبيراً مزاحاً لقلب الأدوار»[1] بمعنى أنه يتزعج على والدته بدلاً من انزعاج والدته عليه .

هـ ـ الخوف على الآباء :

هذا النوع من الخوف عند الأطفال ، غالباً ما يكون مرافقاً لظاهرة القلق الدائم ، ينتاب الأطفال الذين ينتمون إلى آباء من ذوي المراكز السياسية المرموقة أو من أصحاب الثروات ، أو من المرموقين ، المحسودين في مجتمعهم ، أو من رجال المافيا ، فهؤلاء الأطفال يخشون على آبائهم من القتل والسرقة ، والتعرض لهم بشكل دائم ، ويتوقعّون اعتداءات على هؤلاء الآباء في أية لحظة ، فيشعرون بالخوف المصاحب للقلق .

ويشير علماء النفس إلى ظاهرة أخرى من مخاوف الطفل على والده ، فقد تكون أحياناً تعبيراً لا واعياً عن مشاعره العدائية نحو هذا الوالد ، وخوفه من أن تتحقق هذه الرغبة عن طريق إنسان آخر ، وهذا يدل على صراع داخلي يعانيه الطفل إنه خوف من أفكاره ، ورغباته هو .

ومن أنواع الخوف الأخرى ، الخوف من الموت ، وهذا يحدث للأطفال نتيجة موت عزيز على قلوب العائلة ، ويمتد هذا النوع من الخوف إلى كل ما له علاقة بالموت كالخوف من المقابر ، ولواحقها ، وظاهرة الموت ظاهرة غيبية غامضة على الطفل ، وكل غامض يبعث الخوف في النفس . وهناك مخاوف مؤقتة تختفي مع تقدم الطفل في النمو كالخوف من الظواهر الطبيعية ، والظلام والضوضاء ، والعواصف وغيرها ، كذلك الخوف من الأخطار المتوهمة مثل

---

(1) ب. ب وولمان ، مخاوف الأطفال ، ص 143 .

الأرواح والغيلان والأشباح . وهذه أيضاً تختفي عند سن الرشد ويلحق بهذه المخاوف : الخوف من الحرب ، والمسلحين ، واللصوص ، والجراحة .

ومعظم المخاوف في السنة الأولى لحياة الطفل هي مخاوف فطرية ، يستمر بعضها لبعض السنوات منها خوف الطفل من الانفصال عن أمه ، وانتقاله إلى المربية ، أو إلى مدارس الروضة . ومن أجل ذلك يجب أن يعُود الطفل بالتدريج على الانتقال هذا ليقبله ويألفه وهناك نوع من الخوف عند الأطفال العاطفيين من ذوي السلوك الهادىء والإحساس المرهف هو الخوف على صحة الآباء «فالآباء الذين يبدون أمام أطفالهم كمخلوقات يطحنها القلق والضعف والعجز ، يسهمون بدرجة كبيرة في مخاوف أطفالهم»[1] .

وهناك نوع من الخوف هو الخوف من الحديث أمام الناس ، وخاصة أمام المعلمين وهذه الظاهرة تعرف عند العامة بالخجل أو الحياء ، وهي شكوى تتردد على ألسنة الكثيرين من الأهل ، حيث أن أطفالهم لا يجيبون على أسئلة المدرِّسة ، ويرتعدون خوفاً منها في حين يتمتعون بطلاقة الحديث في منازلهم، ويشعرون بالتلعثم أمام المدرسين وهذه حال الذين يقفون أمام المذياع أو (الكاميرا) لأول مرة ، حيث يعتريهم الخوف والارتباك والتردد . وهذه الظاهرة يمكن علاجها عند الأطفال أو عند الكبار أيضاً ، بالتعود على القراءة منفرداً وبصوتٍ عالٍ ، والوقوف أمام المرآة أو في الطبيعة أو أمام الأهل ، والقيام ـ وبطريقة خطابية ـ بإلقاء كلمة قصيرة أو مقطوعة شعرية ـ ذلك كما فعل الخطيب اليوناني الشهير (بركليس) الذي كان يقوم بإلقاء الخطب أمام الصخور والأشجار فتحول إلى خطيب مصقع من أفضل الخطباء في عصره ، وأكثرهم فصاحة وكان من قبل الكن اللسان .

---

(1) ب. ب وولمان ، مخاوف الأطفال ، ص 96 .

وإلحاقاً بهذا النوع من الخوف ، يأتي الخوف من الامتحانات ، وهو ناتج عن عدم الثقة بالنجاح ، وخشية الرسوب ، وما يتبع ذلك من غضب الأهل وازدراء الناس وشماتة الأعداء وتشفيهم ، والحل هنا يكمن في خلق فرص النجاح ، أو في النجاحات المتكررة ، وبذلك تزول عقدة الخوف من الامتحان .

والخوف (Phobias) أو الخواف ، حالة مرضية ومن أنواعه :

1 ـ الأكروڤوبيا : الخوف من الأماكن العالية .

2 ـ الأكلوڤوبيا : الخوف من الأماكن المزدحمة .

3 ـ كلاستروڤوبيا : الخوف من الأماكن المغلقة .

4 ـ فيسوڤوبيا : الخوف من التلوث .

5 ـ توكسوڤوبيا : الخوف من التسميم .

6 ـ زووڤوبيا : الخوف من الحيوانات أو من حيوانات معينة .

7 ـ الڤوبوڤوبيا : أو الخوف من الخوف ، بمعنى الخوف من أن يتعرض الإنسان للخوف ، وهذه تعتبر حالات مرضية عند البالغين وأمر عادي وآني وعابر عند الأطفال ويُعرِّف «سترانج» الڤوبيا «إنها خوف شاذ ، غير منطقي ، وغير عقلاني ، يمارسه الفرد كنوع من الدفاع ضد القلق ، ولكنه خوف مؤلم وحاد»[1] .

والحقيقة ، فإن معظم الناس لديهم بعض المخاوف الغريبة التي

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، أمراض العصر النفسية والعقلية والسيكوسوماتية ، ص 135 .

يمكن الإشارة إليها على أنها فوبيا طبيعية أو عادية ، «وهي مخاوف صغيرة ، عديمة المعنى ، يمكن أن تتدخل تدخلاً خفيفاً في حياتنا اليومية»[2] وذلك ما هو معروف عند النساء خاصة ، وبأنهن يخفن من الفئران لدرجة تفوق قدرة الفأر على إحداث أي ضرر ، وهذا خوف غير متناسب مع مدى ضرر الحيوان الذي يشعرن بالخوف منه .

أسباب المخاوف :

للخوف عند الأطفال أسباب كثيرة أبرزها :

1 ـ الخوف الوهمي ، من الظلام لارتباطه بالجن والأشباح واللصوص وإن 90 % من الأطفال مصابون بهذا النوع من الخوف .

2 ـ قد ينتقل الخوف بالعدوى والأحاديث عن الأمور المخيفة .

3 ـ القصاصات الصارمة للأطفال . وبناء على ذلك «فالتربية المبنية على الخوف فاسدة وضارة ـ مضادة لكرامة الإنسان ونمو شخصيته»[3] .

4 ـ التهكم الزائد والسخرية والإفراط في اللوم ، يُفقد الطّفل ثقته بنفسه ، فيجعل ذلك منه طفلاً خوافاً ، غير مقدام ، يخشى الوقوع في الخطأ ، نتيجة ارتباط هذا الخطأ بالسخرية اللاذعة والقاسية . وغالباً ما يترافق هذا النوع من الخوف بالغثيان أو الإسهال ، أو الرغبة المتكررة في التبول والتبرز ، أو الشعور بالقلق ، وقلة النوم (الأرق) .

3 ـ المفاجأة : الطفل يخاف إذا جذبنا عنه الغطاء مثلاً بصورة مفاجئة ،

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، أمراض العصر النفسية والعقلية والسيكوسوماتية ، ص 132 .

(2) د. جميل صليبا ، علم النفس ، ص 257 .

والذي يتسبب بالخوف هنا «فجائية وشدة المثير الذي يتعرض له»[1] فإحداث أي صوت قوي ـ أو الإتيان بأمر جديد ومفاجىء يجعل الطفل يشعر بالخوف . ويمكن إعادة مثل هذا النوع من الخوف إلى عوامل فطرية ، وهي عوامل لا دخل للتعلم في إعطائها ، وعوامل مكتسبة ، أي أن المثيرات اكتسبت القدرة على إثارة الانفعال .

6 ـ قد يعود الخوف بأسبابه إلى الخبرات غير السارة ، التي تلقاها الطفل في المدرسة وما تزال عالقة في ذهنه . فما تزال في ذاكرتنا مذ كنا أطفالاً صور «الفلقة» التي كانت تستخدمها المدرسة التقليدية القديمة ، وما تزال ترن في آذاننا أصوات التلامذة الكسالى الذين قادهم حظهم العاثر إليها ، أو قادها إلى أرجلهم. وهذه الفلقة اللعينة ـ كما يصفها بعض الهاربين من المدرسة ـ كانت السبب في حرمانهم من ملكوت التعليم .

العـلاج :

يختلف نوع العلاج باختلاف أسباب الخوف وأنواعه ، لكن تبقى هناك بعض الإرشادات العلاجية العامة الصالحة لمعظم حالات الخوف المتنوعة .

1 ـ يمكن أن تتم معالجة المخاوف ، بواسطة المعالج النفسي ، بواسطة التحليل واستحضار الخبرات المؤلمة التى تسببت بالخوف ، حيث يقوم المحلل بمناقشتها مع الطفل ، وقد يستخدم أحياناً التنويم المغناطيسي في العلاج إن استدعت الحالة ذلك .

2 ـ في حالة الخوف من الحيوانات الأليفة ، يمكن تقريب الأشياء المخيفة من الطفل تدريجياً لنزع الصورة الوهمية ، واستبدالها بالصورة الحقيقية ، فإن كان يخشى الكلب فما علينا إلاّ أن نقتني له كلباً فيلاطفه

(1) د. عبد السلام عبد الغفار ، مقدمة في علم النفس العام ، ص 204 .

ويطعمه ، وليرتبط الشيء المخيف في ذهن الطفل بصورة جميلة ، وكذلك الخوف من العسكري ، ويجب أن نفهمه أن العسكري بخدمة الشعب والوطن ، وهو يطارد اللصوص . والمؤسف أن بعض الأمهات يخوفن أطفالهن بالعسكري فتضطرب صورته المعنوية في ذهن الطفل ويصبح رمزاً للقمع والقهر ، مع أن الحقيقة لا يجب أن تكون كذلك . بل يجب أن ترتبط صورة العسكري في ذهن الطفل بالأمور السارة والمحببة فيزول الخوف .

3 ـ يُنصح الآباء بعدم تخويف الأطفال ، وإن كان هناك من ضرورة للتحذير فليكن مختصراً أو محدداً ، وبطريقة هادئة ومتزنة ، دون اعتماد التهديد والوعيد ، وأسوأ هذه التهديدات ، هي التهديدات المعممة وغير المحددة ، فهي تؤثر على شعور الطفل بالأمان .

4 ـ فليترك الأطفال يعبرون عن مخاوفهم صراحة ، لا أن نطلب منهم أن يكفوا عن الحديث فيها ، لأن ذلك لا يلغيها ولا يحل المشكلة ، فالأفضل أن يتحدث الأطفال عنها ، لتظهر جلية إلى النور حتى يتمكن الأهل أو المربون من إزالتها عن طريق الشرح والإقناع أو الاستعانة بالطبيب النفسي إن احتاج الأمر إلى ذلك .

وعلى الآباء أن يتحلوا بالصبر ، فهناك بعض المخاوف العابرة ، لا يقتضي الأمر التوقف عندها فهي ستزول حتماً مع نمو الطفل وتطور قواه العقلية ، شرط أن يحاط الطفل بالرعاية والحماية والتوجيه الرقيق خلال هذه المرحلة . والآباء يستطيعون مساعدة الأطفال على تخطي مخاوفهم بشرط أن يكونوا على وعي بهذه المخاوف وسبل إزالتها . ولما كانت المخاوف مرتبطة بشعور الطفل بقدرته فإنها تزول مع نمو هذه القدرة جسدياً وعقلياً . وهنا يدخل دور الأهل التوضيحي والتشجيعي ، فما لم يكن الطفل على وعي بقوته فإنه لن يتمكن من استخدامها . والتشجيع يعتبر وسيلة ناجحة من وسائل إزالة المخاوف ، وهو أفضل من تثبيط العزائم ، وقد ثبت أثر المكافآت في هذا

المجال والذي يفوق أثر العقاب والوعيد .

5 ـ تعويد الطفل بالاعتماد على ذاته تدريجياً وتخليصه من حماية الأم له ، وذلك يعمل على إزالة المخاوف ، فالإكثار من العطف الزائد والرعاية الزائدة ، يجعل ضررها أكثر من نفعها . كذلك فإن النبذ والاحتقار والتهديد والاستخفاف بمخاوف الطفل واتهامه بالجبن ونقص العقل ، وما شابه من صفات قاسية ، فإن ذلك يجعله يتمسك بمخاوفه عن طريق كبتها في اللاوعي ، وعبارة (إنسَ ما حدث يا بني) التي يطلقها الأهل على مسامع ابنهم ، لا تحل المشكلة ، فبأعقاب كل حادثة مخيفة يتوجب على الأهل الجلوس والتحدث إلى الطفل بمودة وهدوء ، ليضعوا هذه الحادثة في حجمها الطبيعي البسيط الذي لا يدعو إلى القلق ، حيث يمارسون التوضيح والتوجيه الهادىء ، فتزول الحادثة نهائياً بحيث لا يعد لها من مكان في دائرة اللاوعي .

6 ـ عدم تهديد الطفل بحبسه في غرفة مظلمة ، أو تنفيذ التهديد ، لئلا يرتبط القصاص بمفهوم الطفل عن الظلام ، ولو لم يكن الظلام مخيفاً فعلاً ـ وهذا اعتقاد الطفل ـ لما اعتمد كقصاص .

7 ـ بعض أفلام (الڤيديو) لم تعد للأطفال ، وهي حافلة بالمناظر المرعبة مما يؤثر على أعصاب الأطفال وتسبب لهم التوتر والخوف ، لذلك ينصح الأهل بعدم عرضها أمام أطفالهم ، والاستعاضة عن ذلك ببرامج مخصصة للأطفال ، تعمل على تثقيفهم وتنمية مداركهم ، بدلاً من إثارة قلقهم ومخاوفهم .

* * *

ـ ب ـ

التبول اللاإرادي

أسباب ظاهرة التبول اللاإرادي :

يمكن اعتبار هذه الظاهرة ذات شقين أحدهما فسيولوجي والآخر نفسي ، فقد يكون هناك عجز عن ضبط الجهاز البولي من الوجهة الفسيولوجية وعدم التحكم في عضلات المثانة مع الأخذ بالاعتبار للفروق الفردية القائمة بين الأطفال ، ففي حين يمتنع بعض الأطفال عن ذلك في سن مبكرة ، يتأخر بعض آخر منهم إلى مرحلة متأخرة تصل أحياناً إلى سن المراهقة والتبول اللاإرادي حتى سن الثالثة والنصف لا يمكن أن يعتبر حالة مرضية ، لكن بعد هذا ، يجب البحث عن السبب سيكولوجياً كان أو فسيولوجياً .

بالإضافة إلى الأسباب الفسيولوجية التي ذكرنا كالتهابات المثانة أو التهاب مجرى البول (وهذا يكشف عنه المختبر في عملية تحليل البول) ، فهناك أسباب أخرى كوجود الديدان وفقر الدم ، والإنهاك العصبي ، وغيرها من الأمراض الفسيولوجية التي تصيب الجسم وتسبب التبول اللاإرادي ، أما الشق النفسي فيمكن تلخيصه :

أ ـ بالخوف من الظلام ، أو من الحيوانات المفترسة ، أو من القصص المرعبة التي تحتوي في مضمونها أخباراً عن العفاريت والجن والغول والأساطير المختلفة .

ب ـ ولادة مولود جديد للأسرة ..

ج ـ هناك ما يسمى بالبوال الانتقامي ، ومرده إلى تعاسة الطفل في أسرته ، فيعتبر بوال الطفل هنا بمثابة تعبير لا شعوري عن سخطه المكبوت على والدته .

د ـ الخلافات الوالدية التي تؤدي إلى شعور بعدم الاستقرار الفسيولوجي والنفسي عند الطفل .

هـ ـ المعاملة الخاطئة من قبل الوالدين وعدم إنصاف الطفل والاهتمام به كما يجب .

و ـ الاهتمام الزائد بالطفل ، وعدم الإفساح في المجال لإظهار ثقته بنفسه والمبادرة إلى البوال دون الاعتماد على الأم أو الأخوة الكبار لمرافقته إلى الحمام «وتتسع مشكلة التبول اللاإرادي لتشمل مشكلة تعلم الطفل عادات النظافة هذه المشكلة الشائكة ذات أهمية عظمى لا يدرك معظم الآباء والأمهات أهميتها»[1] . من أجل ذلك يجب ألا يترك الطفل بعد المشي ليبول أينما يشاء وكيفما يشاء ، وساعة يشاء فلا بد من تعلم عادات التبول المنتظمة ، ولو اضطر الأهل لمرافقة الطفل إلى الحمام .

ز ـ الطفل الكثير المرض الذي يلقى عناية كبيرة من الأم .

ح ـ كثرة النقد الشديد للطفل ، فيصبح ميالاً في لا وعيه إلى الانتقام وما يجب أن تعلمه الأمهات أن ضبط المتانة مسألة فسيولوجية ، تحتاج إلى وقت معين للنمو ، وضبطها يحتاج إلى التدريب والتنظيم ، بعيداً عن العنف الذي يولد التوتر والتوتر بدوره يؤثر على عملية التبول والإخراج ، والتحكم في

(1) أندريه آرتوس ، طفل.. ذلك المجهول ، ص 41 .

الإخراج لا يحدث إلاَّ بعد عامين ، ويكون في الأسابيع الأولى عشوائياً فيحدث بمعدل ست مرات يومياً وينتظم بعد ذلك بفعل التدريب . والنكوص فى عملية التبول قد تعود إلى مجموعة من الأسباب أهمها :

- وجود بعض الأمراض العضوية .
- تناول كمية كبيرة من السوائل .
- البرودة المفاجئة للرأس وباقي أعضاء الجسم .
- بعض العوامل النفسية وعلى رأسها القلق والغيرة .

والتبول أثناء الليل أقل منه ضبطاً أثناء النهار ، ويجد بعضهم أن هناك بعض الأطعمة ذات الحساسيّة المعينة تتسبب في التبول الليلي اللاإرادي ، وعلى الأمهات أن يلاحظن هذه الأطعمة ليتمكن من حذفها من نظام الطفل الغذائي وخاصة عند المساء .

ط ـ إهمال تدريب الطفل وتركه لينقطع عن تبلل ملابسه وفراشه من تلقاء نفسه ، ويقترن ذلك بكل الآباء وعدم اكتراثهم بإيقاظه ليلاً من نومه وفي أوقات معينة للتبول .

ي ـ المعاملة القاسية التي يلقاها الطفل ، وارتباط التبول بالمعاملة القاسية أمر مثبت ، حيث يرد الطفل عليها ـ كما ألمحنا ـ بطريقة لا واعية بشكل انتقامي ، وغالباً ما تكون هذه المشكلة سبباً في وقف الكثير من نشاطات الطفل الذي يمنع من زيارة الأقارب والاشتراك في الرحلات أو المخيمات التي تستلزم المبيت خارج المنزل فيمنع الطفل بسبب المهانة والفضيحة ـ حسب زعم الأهل ـ وهذا ما يجعل أمره يزداد سوءاً ، ويسبب له آلاماً نفسية حادة ، أضيفت إلى جملة مشاكله النفسية الأخرى ، ونحن وإن كنا نميل إلى تأييد الأهل والشعور معهم بدقة الموقف وحراجته ، لكن ذلك يجب أن يكون بمثابة حوافز لهم للعمل على استشارة الأطباء الفسيولوجيين والنفسيين ، وإظهار المزيد من

التضحية في تنظيم الطعام والشراب والنوم والاهتمام النفسي بهذا الطفل لكي يصل إلى درجة الضبط النهائي والعودة إلى الحالة الطبيعية كسائر أخوته .

علاج ظاهرة التبول اللاإرادي :

من خلال عرضنا للأسباب ، نجد أن مسألة العلاج تتلخص بالتالي :

1 ـ خلق الأجواء الهادئة في البيئة الأسرية لإبعاد الطفل عن التوتر ، وهذا أمر مطلوب لصحة الطفل النفسية ووقايته من مختلف ألوان الانحرافات ، لذلك نجد أن هذا الشرط يندرج في معظم موضوعات الانحراف كأمر وقائي . ثم الاعتدال في معاملة الطفل فلا شدة ، ولا تدليل ، ثم ضبط سلوكياته بطريقة هادئة ، بعيدة عن القمع .

2 ـ ضبط طعامه وشرابه ، والامتناع عن الإكثار من السوائل أثناء السهرة وقبل النوم خاصة .

3 ـ محاولة إيقاظه ليلاً وبهدوء ، وبدون منبهات شديدة تؤثر على أعصابه بعد اليقظة مباشرة .

4 ـ ضرورة استشارة الطبيب النفسي عند اللزوم ، وذلك بعد التأكد من خلو الطفل من الأمراض الفسيولوجية التي أشرنا إليها (في باب : أسباب ظاهرة التبول اللاإرادي) ، فعند التأكد من سلامة الطفل من هذه الناحية يمكن التفتيش عن الأسباب في المجال النفسي .

5 ـ تعويد الطفل منذ الصغر بالجلوس على (المبولة) المسماة (القصرية) وفي مواعيد محددة ، منذ الأشهر الأولى ، وبذلك يدرك أن التبول مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجلوس عليها .

6 ـ يلجأ بعض المربين إلى اقتراح «تكوين فعل المنعكس الشرطي ، ويتم ذلك بواسطة جهاز خاص بحيث ينام الطفل على وسادة من قماش خاص ،

ويوضع هذا القماش على أعضائه التناسلية ويوصل ذلك بسلك إلى جرس رنان ببطارية ، وعند التبول تسير دائرة كهربائية تسبب رنين الجرس ، وبالتالي يقظة المريض بالتبول اللاإرادي ، وتدريجياً يتكون عند الطفل منعكس شرطي بأن يصحو عند امتلاء المتانة دون رنين الجرس»[1] . وهذه الطريقة ما تزال تجريبية ، وهي قليلة الاستعمال عملياً .

7 ـ الامتناع عن تقريع الطفل المصاب بالتبول اللاإرادي ، لأن ذلك يضعف ثقته بنفسه . وما يجب أن يعلمه الطفل «أن ما يفعله لا يعد جريمة أو غلطة مشينة ، تستحق العقاب ، فإذا بلل ملابسه أو فراشه ، تظاهرنا بعدم الاكتراث»[2] . ويجب أن يعلم الأهل والمدرسون أن أي عقاب جسماني أو تقريع نفسي سيزيد حالة الطفل سوءاً .

8 ـ إفهام الطفل أثناء النهار ، أن هناك أماكن خاصة للتبول ، وطريقة خاصة للتبول وهي مسألة اجتماعية ـ بيولوجية ، يجب أن تضبط بشكل سليم .

9 ـ يقترح بعض المربين ، طريقة الإيحاء النفسي للمصاب بالتبول اللاإرادي وذلك قبل النوم مباشرة ، وهو يكرر الجملة التالية «سيكون سريري نظيفاً في الصباح ، أو سأستطيع التغلب قريباً على تبلل فراشي. . .»[1] ثم يُشغف الطفل بعد ذلك بمزيد من الثقة بنفسه ، وأنه قادر على التخلص من هذه العادة ويجب تهوين الأمر عليه ، لا تصويره على أنه قدر لا مفر منه .

10 ـ الابتعاد عن الأكلات التي تتطلب الكثير من شرب الماء وخاصة في وجبة المساء مثل الأسماك ـ وكل الأطعمة المقلية بالسمنة أو الزيت .

الآثار النفسية المترتبة على التبول اللاإرادي :

غالياً ما يشعر الطفل المصاب ، بنوع من الاكتئاب ، والخزي ، والعار ،

(1) د. أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، ص 137-138 .

(2) د. مصطفى الديواني ، حياة الطفل ، ص 150 .

وبشعور بالنقص تجاه الآخرين ، ولا سيما تجاه من هم أصغر منه سناً من أخوته ، والذين تجاوزوا هذه المرحلة ، وهو ينزع إلى الانزواء ، وعدم مخالطة الزوار ، وكثيراً ما يشعر بالنقمة على أولئك الذين يسخرون منه ، فيثور وبعصبية ويعمد أحياناً إلى الإيذاء ، ومن الأطفال ، من يصاب بنوبات انفعال عصبية حادة ، فيحطم ، ويعتدي ، ويخرب ، كتعبير عن النقمة ، وعن الشعور بالضيق والدونية ، وكلها أمور ، ربما لا يكون مسؤولاً عنها ، فقد يكون السبب بيولوجياً أو نفسياً . والذي يزيد في الأمر تعقيداً بالنسبة للطفل البوّال ، أن الأهل يعتبرون المسألة بالنسبة لهم مشكلة ، وهم لا ينفكون يفتشون لها عن حل ، فيعرضون الأمر على الجيران ، أو الأطباء ، أو المهتمين بالأمور النفسية والتربوية ، فيشعر الطفل إزاء ذلك بعقدة الذنب ، إلى جانب ما يعانيه من مشاعر أخرى ، فهو يعتقد أنه وضع أهله في أزمة ربما هم بغنى عنها . ومن أكثر ما يهدد صحة الطفل النفسية «الشعور بأنه أصبح طفلاً لا يرغب فيه أحد من الآباء ، أو يعتقد أنه قد أصبح طفلاً منبوذاً»[2] . ويتحمل الأهل في كل ذلك كامل المسؤولية ، على استمرار التبول اللاإرادي ، والنتائج المترتبة عليه .

(1) محمد السيد الهابط ، حول صحتك النفسية ، ص 169 .

(2) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 88 .

- ج -
مص الأصابع وقرض الأظافر

مص الأصابع ، ظاهرة كثيرة الشيوع عند الأطفال ، وتكاد تكون عملية سلوكية عادية يقوم بها كل طفل تقريباً ، مع تفاوت الأطفال في ما بينهم باتباع هذه العادات ، التي يجدون فيها لذة وإشباعاً لحاجاتهم . ومص الأصابع أو قضم الأظافر حركتان عصبيتان موجهتان ، وهما دلالة على عدم الاستقرار ، وعدم القدرة على التركيز لمدة طويلة . وتبقى الظاهرة عادية في الطفولة المبكرة لكنها إذا تجاوزت هذا الحد المألوف تصبح حالة مرضية يجب النظر في علاجها ، ومحاولة منع الأطفال بطريقة قسرية عن طريق ربط أيديهم ، هو تدخل غير مبرر ، ولا جدوى منه ويفضل مراقبة الطفل وإرشاده للإقلاع تدريجياً عن هذه العادات .

ويرى بعض العلماء ، أن مص الأصابع ، وقرض الأظافر ، أو عصر حبوب الوجه ، واللعب بخصلة الشعر ، وإلى ما هنالك من حركات شبه دائمة ، تشغل معظم وقت الأطفال ، هي عبارة عن بؤر يتمركز فيها النشاط العصبي غير الموجه ، ويستحسن أن تدرس الحالة الصحية للمصاب وخاصة لجهة وجود الديدان أو التهاب اللوزتين أو الزوائد الأنفية .

أسبابهـا :

1 ـ من الوجهة النفسية ، تعتبر حالة عصبية غير معلنة ، تنتج من جراء

عدم استقرار الطفل الذي لا ينال التقدير الكافي ، في الوقت الذي توجه عناية الأهل إلى غيره من الأخوة ، وهذه الظواهر (مص الأصابع ، قرض الأظافر) «هي أسلوب لنشاط لا يؤدي إلى نتيجة ملموسة أو نوع من العمل غير المنتج يقوم به الطفل ويتعود عليه»[1] .

2 ـ يرى بعض العلماء أن هذا العمل (غير المنتجِ) يستعمل بقصد الاستغراق في أحلام اليقظة ، ويعتبرونها مصاحبة لمظهر القلق (غير المنتج) والإحباط ، أو اعتلال الصحة ، وعدم تحقيق الرغبات .

3 ـ هي نوع من التلذذ الجسماني الذاتي ، في حين يذهب فرويد إلى أن مص الأصابع هو عملية جنسية بحد ذاتها .

4 ـ مص الأصابع ليس مهماً بذاته ، بل هو مؤشر على وجود حالة عقلية غير سوية يجب الاهتمام بها ومعالجتها ، وغالباً ما يلجأ الطفل إليها في حالات الحرمان والشدّة وفي مواقف الغيرة ، وهو موقف انسحابي يبعد الطفل عن مواجهة الواقع . وغالباً ما تكون هذه الظاهرة بمثابة مؤشر على حالات سيصاب فيها الطفل في الكِبر ، ومنها الخجل والعزلة والتكتم وعدم الجرأة في الحديث ، وسرعة التأثر وشدة الحساسية ، ويمكن علاج هذه الظواهر ـ كما يرى فريق من العلماء ـ بالتوجيه نحو الموسيقى لإشغال الفم والأصابع وبالنسبة للبنات ، نحو الخياطة والحياكة أو الرسم وغيرها من الأشغال اليدوية التي تشعر الفرد بأهميته وقيمته .

ومعظم الذين أحيلوا إلى العيادات النفسية في هذا الموضوع بقصد الاستشارة والاسترشاد تبين أنهم في حالة توتر وغضب (وهؤلاء هم جماعة قرض الأظافر) في حين تبين أن المصابين بمشكلة (مص الأصابع) هم في حالة استسلام وخضوع . وفي علاج هذه الظواهر ، يجب الاعتناء بالصحة ، والقيام

---

(1) د. عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص 288 .

بالنزهات ، وإشغال اليدين بالطريقة التي ذكرنا .

5 ـ قد يكون مص الأصابع استجابة لفطام فجائي مبكر جداً ، أو نتيجة معاناة لمشاعر الإهمال في موقف الرضاعة أو لمشاعر التهديد أو النبذ . ويلحق بذلك ـ بل الشفاه المستمر ـ وهذا يرجع فسيولوجياً إلى نقص الماء في الجسم ، أو هو استمرار للمرحلة الفمية التي لم تشبع إشباعاً سليماً أثناء الطفولة .

6 ـ قد يكون من أسبابها عوامل الضعف العقلي ، أو نتيجة الضعف في القدرات التحصيلية ومتابعة المذاكرة .

7 ـ الإصابة ببعض الأمراض كالحميات ، والتهابات اللوزتين ، فتظهر هذه الحركات بمثابة مؤشر على التوترات الداخلية .

8 ـ مواجهة مشكلة مستعصية الحل ، فيعيش الطفل على أثرها حالة قلق .

9 ـ الدلالة على عدم التوافق الانفعالي .

وسائل العلاج :

وسائل العلاج بواسطة القمع والذي يبدو لأول وهلة نجاحاً ، فالحقيقة ليس سوى خداع فسرعان ما تظهر التوترات بأساليب تعبيرية أخرى ، والوسيلة الناجعة هي الإرشاد النفسي/ وبعض الأمهات وبحجة الحرص على عدم إفساد أطفالهن يكتمن مشاعر الحب والعطف الزائد عنهم. إن هذه الطريقة المبالغ بها ، والتي لا مبرر لها على الإطلاق من شأنها أن تحرم الطفل من حق هو له ، ومن غذاء نفسي هام يحتاج إليه حاجته إلى الماء والهواء .

2 ـ لقطع الطريق على ظاهرة قضم الأظافر ، يجب تقليمها بحجة إبقائها نظيفة كظاهرة صحية واجتماعية محمودة .

3 ـ استخدام الأسلوب الإيحائي كتسجيل أسطوانة تحمل عبارة ـ لن

أقضم أظافري فهذه عادة قذرة ـ وتوضع لبعض الوقت قرب السرير أثناء النوم ، مع الإشارة إلى بعض الملصقات ، بالإضافة إلى الإرشادات الشفوية والحديث برفق عن مساوىء هذه العادة .

4 ـ توفير وسائل النشاط المختلفة للطفل ، وإتاحة الفرصة له لممارستها ، وتخليصه من مشاعر الخوف المتزايدة .

5 ـ يلجأ بعض الأهل إلى وضع مادة كريهة على الأصابع ، حتى يأنف الطفل من تقريبها إلى فمه ، فيقلع عن المص والقضم . لكننا لا نرى فائدة في هذه الطريقة لأنها تحمل في طياتها معنى المنع القسري .

6 ـ يشير (إيزنك) إلى اعتماد العلاج النفسي في هذه المسألة ، وذلك في كتابه (مشكلات علم النفس)[*] حيث يتوجه الطفل بنفسه وبمعرفته التامة إلى لقاء عالم النفس ويقضم أظافره أو يمص أصابعه في العيادة ، وعلى مرأى من عالم النفس ذاته لمدة من الزمن ، وعلى عدة فترات ، ويراقب نفسه بنفسه فإذا به يقلع بعد فترة من تلقاء ذاته «وقد أجريت التجربة ذاتها على المدخنين حيث يجلس المدخن مع عالم النفس لمدة ساعة فيدخن السيجارة بعد السيجارة ، مع الالتفات الشعوري لكل شهيق ، ولكل الإحساسات في حلقه وفمه ، واختفى بعد ذلك تدخين السجائر»[1] . «ويرى بعض المربين أن خلق الأجواء النفسية المريحة هي من أهم أسباب الإقلاع عن هذه العادات ، ومنها الأنشطة الترويحيّة وكل ما يدخل السرور إلى قلب الطفل» .

* * *

(*) ايزنك ، مشكلات علم النفس ، ترجمة جابر عبد الحميد ومحمود الشيخ ، دار النهضة العربية، 1964 .

(1) د. محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ص 180 .

ـ د ـ

فقدان الشهية

يُرهق بعض الآباء أولادهم بتناول كميات وأصناف من الأطعمة لا تتسع لها معداتهم ظنّاً منهم أنهم يفعلون خيراً ، ولمصلحة أطفالهم ولحسن تغذيتهم .

ومن الطبيعي أن يمتنع الطفل عن تناول القسم الذي يفوق حاجته ، وإذا ما مورست هذه الطريقة من قبل الوالدين ، تحول الطفل إلى السلبية وأصبح كما يقال (ضد الأكل) . وخير طريقة لحل مشكلة (قلة الطعام) أو مشكلة ما يسمى (الطفل ضد الأكل) هو الالتزام بآداب المائدة وقوانينها لجهة الطريقة التي تعرض فيها والأجواء التي تسود جو الجلسة إلى المائدة ، والتي يجب أن تكون ودية ومشجعة لتناول الطعام وهضمه ، وأي خلل في هذه الآداب من شأنه أن ينعكس سلباً على الأطفال ، ويقودهم إما إلى الشره أو التقليل من الطعام .

أما بالنسبة للذين يمنعون الكلام والثرثرة أثناء الطعام بحجة أنها تتسبب بقلة الطعام والانصراف إلى الكلام وحده على حساب ما يجب تناوله فمسألة غير جدية ويمكن أن يكون العكس هو الصحيح ، فنحن ننصح الوالدين بتجاذب أطراف الحديث مع أطفالهم وهم يأكلون ، مع الإشارة العابرة اللطيفة من قبلهم إلى بعض الأصناف المغذية ، مع حديث عن فوائدها ، دون أن يفرض على الطفل تناولها رغماً عنه . أما «الطفل العنيد القوي الشخصية فهو يمارس عملية

ضبط النفس ضد رغبات والديه ، ويعد كل من الأب والأم من الخاسرين في هذه المواجهة المباشرة»[1] .

وفي حال استمراره لرفض الطعام بعد فترة من الوقت من قبل الطفل يُستحسن إزالة الصحن عن المائدة ، ومنعه من تناول الطعام إلاّ في موعده والتشدد في ذلك ، وبعضهم يرى أن «المديح والتشجيع هما من السمات المميزة لعملية تغيير سلوك الطفل في هذا المجال ، لذا يجب تجنب السباب والتهديد وغير ذلك»[2] .

بعض الأمهات يبالغن في النظرة إلى الطعام على أنّه وراء زيادة الوزن ، وحمرة الوجه ، ولكن على الأمهات أن يعلمن أن للشهية حدود ، قد تزيد إلى حد ما أو تنقص قليلاً ، فلا يعقل أن يتناول الطفل كل ما نطلب منه تناوله من أطعمة ، ثم إننا نفكر في كيفية تغذيته على طريقتنا نحن الراشدين . فالطفل يكفيه من الوجبة اليومية بعض قطع الحلوى والفاكهة مع كمية قليلة من الطعام فتحقق له النمو المطلوب .

أسباب افتقاد الشهية :

أ ـ قد تكون أمراض الفم أو التهاب اللوزتين أو التسنن .

ب ـ قد يكون تناول بعض الحلوى قبل الطعام ، أو تناول مأكولات بين وجبة وأخرى ، وعند الطفل الرضيع ، فقد يكون حليب الأم غنياً بالدسم فيبقى في المعدة فترة طويلة ، مما يجعل الطفل يرفض الرضعة الثانية ، وإذا أكره عليها تقيأ وقد يكون للقيء أسبابٌ أخرى منها الانفعالات والتوتر ، أو لردة فعل لا إرادية على تصور خاطىء للأطعمة . من أجل ذلك لا يجب أن يعطى الطفل الطعام إلاّ عندما يجوع ، والمفضل أن يعطى الوجبة في موعدها ، وأن يكون

(1) د. عبد اللطيف فرج ، مفاهيم أساسية لتربية الأطفال ، ص 139 .
(2) د. عبد اللطيف فرج ، مفاهيم أساسية لتربية الأطفال ، ص 140 .

هناك تباعد بين الوجبتين يمتد بين (4 - 5 ساعات) .

ج ـ عدم إرغام الطفل على الطعام ، لأن إرغامه يزيده تصلباً في موقفه من رفض الطعام والإلحاح يزيده ابتعاداً عن باقي أصناف الأطعمة .

د ـ قد يكون رفض الطعام حيلة دفاعية لا شعورية للتعبير عن نفوره من بعض الظروف الأسرية .

هـ ـ تعاسته ووحدته ونزاعه المستمر مع أخوته ، يقلل شهيته . وكذلك الكبت والحرمان . وغالباً «ما تتصاحب هذه مع عوارض القيء»[1] .

و ـ قد يكون السبب كراهية بعض الأصناف من الأطعمة لارتباطها في ذهن الطفل بحادثة غير سارة عن طريق المنعكس الشرطي ، فما أن يعرض هذا النوع من أصناف الطعام حتى يولي الطفل بوجهه عنه متذكراً الحادثة أو الموقف الداعي إلى الاشمئزاز ، ويحجم عن تناوله ، وربما تكون الأسباب عائدة لسوء تحضير الطعام في المرات السابقة . «والواقع أن اهتمام الوالدين البالغ بمشكلة تغذية الطفل يؤدي إلى استمرار الطفل في العناد والامتناع عن الأكل آملاً بذلك في الاستئثار باهتمام والديه»[2] .

علاج فقدان الشهية :

يمكن علاج فقدان الشهية بـ :

1 ـ تنظيم وجبات الطعام .

2 ـ أن يكون جو العائلة عند الجلوس إلى الطعام بهيجاً خالياً من المشاكل .

3 ـ تقديم الأطعمة بطريقة مشوّقة .

4 ـ الجلوس إلى مائدة الطعام وقتاً كافياً ، فالحد الأدنى في تناول الوجبة يجب أن يتراوح بين 20 - 30 دقيقة .

---

(1) د. أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، ص 374 .

(2) د. محمد عبد المؤمن حسين ، مشكلات الطفل النفسية ، ص 67 .

5 ـ تنظيم تناول الأطعمة بطريقة تدريجية ، الطعام فالشراب فالفواكه ثم الحلوى ، وإذا اختل هذا التنظيم اضطربت الشهية وقلت كمية الأكل وهذا أمر معروف .

6 ـ عدم تهديد الطفل إذا لم يأكل .

7 ـ في حال استحسان الطفل لصنف من الطعام ، لا يجب الإشادة كثيراً بهذا الصنف ولا بسؤال الطفل عما إذا كان أحبه أم لا ؟ لأن هناك أصنافاً أخرى في اليوم التالي قد لا يكون حظها من القبول حظ هذا الصنف فتلقى الرفض وعدم القبول .

8 ـ يجب أن يعلم الطفل أنه لا بديل للصنف الذي يقدم له . فإذا رفضه بقي بدون طعام حتى حلول موعد الوجبة الثانية من النهار .

9 ـ لا داعي لإعطاء المقويات إلاّ في حالات الضرورة وبناء لمشورة الطبيب .

10 ـ يجب أن يجلس الطفل إلى المائدة كالكبار ، ويعامل كمعاملتهم ، لجهة تقديم الأصناف ، والمشاركة هنا تكسبه إيحاءً بالتقليد للراشدين ، ولا يجب أن ينفرد بصحته بعيداً عن باقي أفراد الأسرة كالمنبوذ ، فهذا من شأنه أن يخلق لديه الاضطرابات الانفعالية ، التي تفقده الشهية إلى الطعام .

كذلك من الضروري توجيه الطفل وإعلامه بالطرق المناسبة أن بعض هذه الأطعمة ضروري له ، لغذائه ، لصحته ، لنمو ذكائه ، ولقوته ، فيصبح ممشوق القامة مرهوب الجانب من قبل المحيطين به ، وفي حال عدم تناولها سيغدو ضعيفاً سقيماً مريضاً ، ويجب أن يكون ذلك قبل تناول وجبات الطعام ومن ضمن برامج التوجيه الغذائي الذي تقوم به الأسرة ذات الوعي التربوي. . ويبدو أن المشكلة هي مشكلتنا نحن الكبار بدليل شهية الأطفال خارج المنزل ، وهذه إشارة إلى سوء اعتماد الطريقة المناسبة في المنزل فالمسألة مسألة سوء سياسة ، ومسألة سلوك معين .

ـ هـ ـ

النــوم

النوم نعمة أنعم الله بها على الإنسان ، من جملة نعمه التي لا تحصى .

فترة يخلد فيها المرء إلى الراحة ، والتعويض عن الطاقة المفقودة ، ويشكل بالنسبة لنا نحن البالغين حوالي ثلث يومنا ، وبالنسبة للأطفال نصف أو ثلثي يومه ، مع تفاوت بسيط في النسبة بين طفل وآخر .

والطفل الحديث الولادة يحتاج إلى النوم بصورة دائمة ، فيوقظ عند الرضاعة فقط ، ثم يعود للاستغراق في النوم ، وتقل هذه الحاجة إلى النوم تدريجياً مع نمو الطفل وتقدم عمره . ونلفت إلى أنه يجب إيقاظ الطفل في الموعد المخصص لتناول الرضاعة بلطف وهدوء ، مع التشديد على التقيد بالموعد .

فلا تأخذن الشفقة الأم على رضيعها ، فتخشى أن توقظه ، وتؤجل ذلك لساعة أو ساعتين . ريثما يستيقظ ـ وذلك حباً به ـ وإفساحاً في المجال أمام مزيد من النوم ، إن ذلك يشكل ضرراً للطفل ، فالحفاظ على مواعيد الوجبات وانتظامها له مردوده الإيجابي تماماً كالنوم .

ومن أجل نوم هادىء هناك عدة شروط يجب أن تتوافر منها :

ـ تأمين الجو الهادىء ، والفراش الوثير .

ـ تحديد مواعيد ثابتة للنوم ، لا يجب التساهل في تعديلها .

أما عن حاجة الأطفال إلى النوم فهي تختلف ـ كما ألمحنا ـ باختلاف عمر الطفل .

ـ ففي الأعمار من 2 - 3 سنوات يحتاج إلى 13 - 14 ساعة منها ساعتان في النهار .

ـ في الأعمار 4 - 5 سنوات يحتاج إلى 10 - 12 ساعة .

ـ في الأعمار بين 6 - 10 سنوات يحتاج إلى 10 - 11 ساعة .

ـ في الأعمار من 13 - 16 سنة يحتاج إلى 9 سنوات .

إن إحاطة الطفل بعوامل الهدوء والطمأنينة ، وعدم إظهار القلق بشأن النظام والمواعيد الدقيقة ، من شأنه أن يجعل الطفل يمارس طبيعته العادية من تلقاء نفسه والنوم بشكل تلقائي دون إكراه أو شغب ، مفيد للصحة وللنفس . «ومن أكبر الأخطاء التي ترتكب في حق الطفل هو أن يُلزم بالسهر والعمل الدائبين ، فيصبح في حالة دائمة من التوتر»[1] . ويشير بعض المربين إلى أن حرمان الطفل من القسط الكافي من النوم أو الاسترخاء يجعل الطفل عُرضة لعدم التوازن العقلي ، واعتلال الصحة والبله . ففي النوم يكتسب الطفل صحة بدنية وعقلية . ولا بأس من تعويد الطفل على النوم مع وجود الضجيج ، حتى لا يصبح نومهم فيما بعد شديد التأثر ، يستفيقون لأية إشارة أو بتأثير أي صوت خفيف مهما كان ضعيفاً .

* * *

إن معظم المشكلات الناتجة عن الإجهاد الجسمي والعصبي يمكن التغلب عليها بالنوم ، وكذلك الكسل ، وضعف التركيز ، والوقوع في الأخطاء ، كلها مشاكل تعود أحياناً بأسبابها إلى انعدام النوم أو قلته .

(1) أندريه آرتوس ، طفلك . . ذلك المجهول ، ص 47 .

وقد أجريت بعض التجارب على الكلاب بمنعها من النوم لعدة أيام ، فلوحظ أن الكلاب نفقت بعد ذلك .

والذين يدعون أنهم لا ينامون إطلاقاً هذه الليلة مثلاً هم مغالون في ادعائهم فهم ينامون نوماً خفيفاً لا يكادون يشعرون به ، ويرى (كلاباريد) «أن النوم ليس نتيجة لحلول التعب ، وإنما هو وظيفة حيوية يقوم بها الكائن الحي ليقي نفسه من حلول التعب ، فالنوم هو صمام الأمان»[1] .

وحاجة الطفل إلى النوم كحاجته إلى التغذية ، حتى إن بعض العلماء يعتبرون أن النوم هو بحد ذاته غذاء ، وتسهيل لعملية النماء السريعة التي يمر بها الطفل في مراحله الأولى ، وتقل حاجة الطفل إلى النوم مع اطراد نموه وتقدمه في مراحل العمر . ويلعب المكان والزمان ، والرطوبة ، والدفء ، والمناخ بشكل عام دوراً في مدى ساعات النوم وعمقها .

ثم نشير إلى خطأ بعض الآباء الذين يستعملون النوم للأطفال كوسيلة من وسائل التهديد لذلك يقوم الطفل بمقاومة هذا النوم بطريقة لا شعورية .

وهناك مسألتان أساسيتان تحكمان قلة نوم الأطفال وهما :

أ ـ الناحية البيئية (أجواء غرفة النوم ، حالة الأسرة العامة) .

ب ـ الناحية المرضيّة المتمثلة بالمغص والحميات وعدم انتظام الرضاعة (بالنسبة للأطفال الرضع) وعدم انتظام الغذاء للأطفال الذين هم في عمر أكبر . وأحياناً يكون الطفل عصبياً ، مرهف الحس ، رقيقة ، توقظه أية حركة ، مهما كانت خفيفة . وتطلق الأمهات على هذه الحالة عبارة مألوفة ومتداولة (نومه خفيف) ويعنين بها الاستيقاظ بسرعة .

---

(1) د. عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص 254 .

أما ما يشاهد في بعض الأسر ، من صراخ الطفل ومعارضته للنوم تلبية لطلب الوالدين ، فهذا يعود إلى عقم الطريقة المتبعة مع الأطفال في هذا الموضوع . فالصراخ والمعارضة هما إشارتان إلى رغبته في متابعة اللعب ، أو انسجامه مع برنامج تلفزيوني. . ويفضل هنا ألا نطلب إليه بصورة قسرية ، الذهاب إلى النوم فوراً ، فلا بد من تمهيد لهذا الطلب ، وبالمران تصبح عادة مألوفة يقوم بها الطفل تلقائياً .

يُطلب إلى الطفل أولاً أن يجمع الألعاب ، ويضعها في أمكنتها ، ويذكر بموعد النوم (لقد أشارت الساعة إلى الثامنة يا. . .) وذلك بلهجة عاطفية رقيقة وتعتبر هذه المقدمات بمثابة خطوات تمهيدية لوضعه في جو النوم . ويطلب إليه توديع والديه أو طبع قبلة على وجنة كل منهما والرد بمثلها .

ويجب أن تكون الأجواء التي سبقت النوم مريحة وهادئة ، فلا توتر ولا صياح ولا نقاشات حادة بين الوالدين ، يخشى معها الطفل أن تتحول إلى مشاحنة حقيقية بعد نومه تؤرق مضجعه ، وتسبب له التوتر .

بعض الأطفال يخيفهم ـ إطفاء النور ـ ولذلك يطلب هنا إلى الأم التي يهمها أن يتعود طفلها النوم في الظلام ، وفي النور الخافت ـ ليتحرّر من الخوف ـ أن تبقى بعض الوقت إلى جانب سريره ، وتقوم (بالتربيت) على كتفه مع ترنيمة حلوة هادئة بنغم لطيف فتساعده على النوم .

ويشدد بعض المربين على أنه من المبادىء الأساسية التي يجب أن تعرفها أية أم : هي أن أوامر الذهاب إلى النوم يجب أن تنفذ ، فإذا خرقت من قبل الأطفال مرة أو بضع مرات أدى ذلك إلى انهزام الأم وسقوط أوامرها والاستهانة بها من أجل ذلك يجب ألا تضعف الأم أمام مناشدات أطفالها لتمييع القرار وخرق النظام المتبع ، ويجب أن يُعوَّد الأطفال على اللجوء إلى الفراش في ساعات معينة فينتظم بذلك نومهم .

كما أنه من غير المستحب أن تكثر الأم الحديث عن ظاهرة قلة النوم التي يتميز بها طفلها فهو سيعتبر المسألة أمراً حتمياً لا مفر منه ولا مناص ، وإذا لاحظت الأمّ أن نوم طفلها قليل فيمكنها أن تنظر إلى الأساليب التي أشير إليها ، مع الإشارة إلى وجوب إجراء حمام ساخن قبل النوم بساعة .

كثيرون هم الأطفال الذين يصابون بالأرق مع ما يرافق ذلك من تقلب ورفس وكلام أثناء الليل ، وخلال النوم ، وفي هذه الحالة يجب الكشف الطبي أولاً للتأكد من عدم وجود مرض عضوي كالاضطرابات المعوية ، وارتفاع درجة الحرارة المفاجىء ، وصعوبة التنفس ، وبعد ذلك يتم الانتقال للبحث في الأمور النفسية والتي منها :

ـ عدم التوافق بين الوالدين ، وتأثير صور الخلاف على ذاكرة ومخيلة الطفل .
ـ المثالية المبالغ بها في معاملة الطفل ومحاولة تنظيمه تنظيماً دقيقاً .
ـ المنافسة مع الأخوة والرفاق .

«والأطفال الذين لم يأخذوا قسطهم الكافي من النوم ، غالباً من يتسمون بالتوتر العصبي وكثرة البكاء وصعوبة التركيز»[1] .

ويخطىء الآباء الذين يصطحبون أطفالهم إلى الحفلات أو لزيارة الأصدقاء ، لأن في ذلك تعطيل لنظام وتوقيت النوم الذي وضعوه لأطفالهم مما يضطرهم إلى تقديم أو تأخير ساعات النوم ، وفقاً لما يناسبهم . كذلك تخطىء الأم التي ترد على بكاء طفلها بالأرجحة تمهيداً للنوم ، قبل حلول موعده ـ فهذا يسبب لها كثيراً من المتاعب فيما بعد ـ كذلك نلفت نظر الوالدين إلى عدم تخويف الطفل بحجة دفعه إلى النوم ، أو حكاية القصص المرعبة والمخيفة التي تتناول الأحداث المروِّعة ، حتى إن كثيراً من الأطفال يخشون الذهاب إلى أسرَّتهم في أعقاب انتهاء هذه الحكايا ، إلاَّ برفقة من يأنسون منه أماناً وخاصة

(1) د. أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، ص 374 .

الأم ، أو المربية ، أو الأخ الأكبر ، أو الأخت الكبرى . وبعد ذلك قد يضطرب نومهم .

يعمد بعض الوالدين إلى تنويم أطفالهم بقصد القيام بزيارة للأقارب أو الجيران ، ويخدعان الطفل بقولهما أنهما موجودان ، وينهض الطفل خائفاً مذعوراً ، وهنا تتكون مشكلة تربوية معقدة بالنسبة للطفل ، فيها الكذب ، من قبل الوالدين على الطفل ، وهما القدوة فتهتز ثقته بهذه القدوة ، ثم الخوف ، ويليها بعد ذلك اضطراب النوم المشوب بالتوتر والقلق . حتى إن بعض الأطفال أصبحوا لا يصدقون أثناء ذهابهم إلى السرير بأن الوالدين لم يغادرا البيت ؟! فتراهم ينهضون من الفراش بسرعة للتأكد من وجود الوالدين ، حتى تطمئن قلوبهم ويذهبون إلى نوم خالٍ من التوتر .

ويمكن أن نشير إلى هذه المسألة بالمعادلة التربوية التالية :

ترك الطفل وهو نائم ، أو خداعه للخروج إلى السهرة ليلاً = الكذب + الخوف + اضطراب النوم ، والكوابيس للأطفال .

ونشير أيضاً إلى الكابوس ، أو الصراخ أثناء النوم والأسباب المؤدية إلى ذلك عديدة منها :

- تضخم اللوزتين ، أو الزوائد اللحمية .
- الإكثار من الطعام قبل النوم ، الذي يتسبب في إرباك الجهاز الهضمي .

وبتفادي هذه الأعراض يمكن أن تتلاشى الكوابيس تدريجياً ثم تزول .

* * *

ـ و ـ
الغيـرة

مفهوم الغيرة :

﴿ هي حالة انفعالية ، يشعر بها الشخص ويحاول إخفاءها إذ لا يمكن الاستدلال عليها إلاّ من خلال أنماط سلوكية معينة وهي مزيج من الشعور بالفشل والانفعال الغضبي ، وتأتي نتيجة الخيبة في الوصول إلى غرض ما (مادي أو معنوي) نجح في الوصول إليه إنسان آخر فتتوجه هذه الغيرة نحو ذلك الشخص . ﴾

قد يكون هذا الشخص ، زميلاً ، أو جاراً ، أو أخاً . وهذا ما يجعل الشعور بالنقص يدخل عاملاً ثالثاً في الغيرة إلى جانب العاملين السابقين (الفشل والغضب) .

وتظهر الغيرة في السلوكيات المتمثلة بالثورة والنقد والعصيان والهياج أو من ناحية ثانية بالانطواء ، والامتناع عن المشاركة والخجل ، وكلها مظاهر للشعور بالنقص .

وقد يخفي الطفل مظاهر الغيرة من أخيه المولود الجديد ، بأسلوب تعويضي مصطنع بعد أن يشعر بأن مكانته الشخصية قد ضعفت عند والديه ، فيقبل على تقبيل أخيه وضمّه إليه كعملية إخفاء لهذه الغيرة ، وقد تظهر الغيرة

في أمر سلبي كالاعتداء والضرب والتخريب ، وهذا ما يجعل من اكتشافها أمراً صعباً .

وترتبط الغيرة بضعف الثقة بالنفس ، فهي غالباً ما تصيب أولئك الذين ترجرجت ثقتهم بأنفسهم ، لذلك فاحتمال ظهور الغيرة أمر نادر عند أولئك الذين نمت وتوطدت ثقتهم بأنفسهم ، بينما تظهر جلية عند من يعانون الشعور بالنقص ، ولا سيما ذلك النقص الذي لا يمكن التغلب عليه كنقص الجمال أو القدرة العقلية أو الجسمية .

والغيرة تنشأ في السنوات الأولى للطفولة عندما يشعر الطفل بأن بعض امتيازاته المادية والمعنوية بدأت تتضاءل ، وتتحول إلى طفل آخر ، فيبدأ الشعور بالقلق ، والكراهية لبيئته ، وقد يتجه بهذه الكراهية لأمه ويميل إلى الانتقام ، ويلجأ إلى سلوكيات معينة لإعادة جذب الأنظار إليه فيعمد إلى البكاء ، أو إلى التظاهر بالمرض ، والذين يتمتعون بامتيازات كثيرة هم أكثرهم عرضة للغيرة ، لأن قسماً من هذه الامتيازات لسبب أو لآخر ، ونتيجة لتغير الظروف المعينة ستزول ، مما يجعل صاحبها معرضاً للغيرة . ويصاب فيها عادة الأطفال ، الذين بولغ في تدليلهم من قبل الأهل . وتظهر الغيرة بين الأخوة بشكل ملحوظ .

ويرى بعض الباحثين أن الطفل يغار من أبيه لأنه يحظى باهتمام أمه ، التي تمنح هذا الأب اهتماماً زائداً ، فيكبت الطفل هذه الغيرة ، وهذه مستقاة من نظرية (فرويد) وقوله بعقدة أوديب (. . .) لكن الطفل يبدأ بعملية مواءمة ، فيزيد هو الآخر من صلاته بأبيه ، وهو مصدر المال ، والغذاء ، والألعاب ، واللباس ، وتتحول الغيرة تحولاً إيجابياً إلى حب وتقدير .

لكن رغم ذلك يجب ألا توجه العناية التامة من الزوجين بعضهما لبعض على حساب الأطفال الذين يراقبون بعين ناقدة ، وذلك خوفاً من إصابتهم

بالغيرة المكبوتة التي تظهر في أعمال طائشة وغير مقبولة ، وهذا يظهر كثيراً عند الأطفال الذين ينامون في غرفة واحدة مع والديهم .

ومن أبرز أنواع الغيرة عند الأطفال ، الغيرة من المولود الجديد ، وننصح الأبوين هنا بوجوب تنظيم المواليد ، فلا تكون الفترات متقاربة ، حتى ينعم الطفل بطفولته ويشبع حاجاته إلى الحب والعطف والحنان من والديه ، قبل ولادة الأخ الجديد ، وكذلك لا يجب أن تكون فترات الولادة متباعدة كثيراً بحيث تتكرس امتيازات معينة للطفل الأول ، يصعب انتزاعها منه ، أو التقليل منها ، والمفضل أن تكون الفترة بين ولادة وأخرى هي من 3 - 4 سنوات ، وفي هذه الأحوال فإن على الأم أن تهيىء الأجواء لاستقبال المولود الجديد ، وأن تجيب على أسئلة الطفل حول ما في بطنها ـ وهذا تمهيد للتربية الجنسية ـ فتحدث عن ولادات الحيوان والنبات وتشوِّق الطفل بأن أخاً ورفيقاً ، سيكون له مشاركاً في اللعب والتسلية ، وسوف يتعاونان معاً في المدرسة والبيت .

وبعد ولادة المولود الجديد ، فعلى الأم ألا تنصرف بكليتها لهذا المولود لأنه لا يحتاج بعد إلى العطف ، وعليها أن تبقى على صلة عاطفية ودية مع الطفل الأول ، ولا تقلل من اهتمامها به ، وإذا ما جرى الفطام فليكن بطريقة تدريجية مشفوعة بكثير من الرعاية والعطف ، وألا تكون قسرية فجائية ، تشعر الطفل بالتحول الفوري من مرحلة إلى مرحلة أخرى فيضطرب سلوكه وتسوء حالته النفسية : فتهيئة الأجواء النفسية لاستقبال المولود الجديد من قبل أخيه المولود الأول أمر ضروري لاتقاء الغيرة المنتظرة .

ـ وتعود الغيرة في بعض أسبابها إلى الموازنة بين الأولاد ، على أساس الذكاء أو التحصيل المدرسي ، أو التفوق ، أو الجمال ، أو البنية القوية . فإذا ما أخفق أحد الأولاد ، فلا يجب موازنته بأخيه المتفوق ـ وإن كنا نعتقد ـ أننا نحثه أو ندفعه للاقتداء بأخيه ، لكن ذلك يؤجج الغيرة في صدره مقرونة بالنقمة ، ويشعره بالنقص والمهانة ، والأجدر بنا أن نشجعه دون أن نُنكر عليه

طاقاته ، أو نوازيه بأخيه ، لأن لكل استعداداته وميوله ، ونواحي تفوق معينة يختلف فيها عن الآخرين أخوة كانوا أو غير أخوة .

كذلك لا يجب أن نقلل من قيمة الهوايات التي تميّز كل طفل عن الآخر فلكل هواية قيمتها وتأثيرها ، فالتفوق في كرة القدم أو في ألعاب الجمباز والجيدو مثلاً تستحق التقدير من الأهل ، وكذلك العزف على الآلات الموسيقية أو النحت والتصوير ، وهذه تحصِّن معنويات الولد ، وتزيد من ثقته بنفسه وتحميه من الشعور بالنقص والغيرة ، التي تولد في نفسه تجاه أخيه المتفوق دراسياً .

ويجب أيضاً عدم تفضيل البنين على البنات ، ومنحهم الامتيازات ، لأن ذلك يولد في نفوس البنات الغيرة والنقمة ، التي تتحول عند بعضهن في الحالات السيئة إلى كراهية للرجال ، في المستقبل مما ينغص عليهن حياتهن الزوجية .

في غالبية الأسر ، يعامل الطفل المريض معاملة مميزة ، فيغدقون عليه بأنواع اللعب ، والألبسة والحلوى ، كعملية تعويضية ، وفي هذا المجال يشعر الأطفال الآخرون بالغيرة ، لذلك يجب التنبه إلى هذا الأمر ، وترك الأمور تسير سيراً طبيعياً ، باستثناء العناية الطبية اللازمة ، فهي واجبة . وحبذا لو كلف الأخوة الباقون بمهمة إحضار الهدايا والألعاب فتمنع هذه الطريقة الغيرة ، وتحول العلاقة بين الأخوة إلى أثرة ومودة .

ولا يجب أن يغيب عن بالنا أبداً موضوع الفروق الفردية بين الأطفال ، حتى بين التوأمين .

بعد ذلك كله يجدر بالآباء والمدرسين ألا يوقدوا جذوة الغيرة في نفوس أبنائهم أو تلامذتهم ، لأن الغيرة ، قلق في النفس ، ونقمة على الآخرين ،

وانسحاب من المجتمع وشعور بالاضطهاد والدونية ، يتحول أحياناً إلى انفجارات غضبية عدوانية تقود أحياناً إلى التخريب والجنوح .

بعض الأطفال لا تظهر عليهم مظاهر الغيرة بتاتاً ، فهؤلاء أجدر بالرعاية لأنهم ربما يكبتون ذلك في لا وعيهم ، وهو سيظهر لا محالة بطرق لا شعورية ، لذلك يجب الاهتمام بهم ومنحهم العطف الكافي ، كذلك فإن الإشادة المتكررة ببعض الأولاد والمبالغة في ذلك من قبل الأهل ، يجعل الغيرة تدب في قلوب الأخوة الباقين فالأهل والحالة هذه مدعوون لعملية توازن عاطفي سليمة بين الأخوة حفاظاً على حس توافقهم الأسري والاجتماعي وسلامة صحتهم النفسية .

والغيرة ظاهرة منتشرة في جميع شعوب الأرض ، وهي عند الكبار ذات تأثير بالغ الخطورة ، فكثيراً ما تعمي الغيرة البصيرة ، وتكون سبباً في ارتكاب الجرائم أو تعصف أحياناً بواقع الحياة الأسرية .

وتختلف قوة الغيرة باختلاف النفوس وطبيعة تكوينها ، وكل منا مهما بلغ شأنه يشعر بالغيرة «على أننا نعتبر غيرتنا أحد العيوب الكبيرة التي يجب أن نسترها أو نعمل على إخفائها ، لأنه عيب ونقص نجتهد في إخفائه رغم وجوده فينا»[1] .

ومن أطرف الأوصاف التي يوردها أحد الغيورين معترفاً بقوله «إني كمثل الكيميائي الذي يشرب أحد الأحماض ليرى بعينه تأثيره عليه ، ويدرس مفعوله في بدنه ، وهو يعلم سلفاً العناصر التي يتركب منها ، ولكنه مع كل هذا يشرب الحامض ، ويلاحظ مفعوله فيه وهو يحرق جسده ، وينخر عظامه»[2] .

والغيرة إذا نمت ، تحولت إلى عقدة يصبح علاجها مستحيلاً ، وهي لا

(1) محمد محمد جعفر ، الغيرة ، ص 10 .
(2) المرجع نفسه ، ص 33 .

تصغي للعقل ولا للمنطق ، ولا تؤثر فيها التجربة ، وحتى عندما نتحدث عن بعض المواقف التي أثارت غيرتنا فنحن نتكلّم بجمل قصيرة وعبارات موجزة تمشياً مع نظرية إخفاء هذه المشاعر أو ما يدل عليها .

وما يدعيه بعض المحللين من أن الغيرة ضرورية للمجتمعات لأنها تخلق روح التنافس وزيادة الإنتاج ، فلا يُعقل أن يتولد الإنتاج والتقدم من الغيرة التي تحمل صفة الشر والقسوة وتمهد للهدم والتدمير ، وهناك فرق كبير من الغيرة والمنافسة الشريفة القائمة على التعاون وتبادل الثقة .

والغيرة رد فعل عنيف ، ونزوة قاسية ، وعاطفة قوية تتحول إلى ما يشبه المرض النفسي والعقلي ، ولم تستطع الأبحاث تحديد سبب «هذه الجرثومة» فتحدث الكثيرون عن نتائجها ، وقلّة هم الذين تحدثوا عن نشأتها وتكوينها ، حتى إن بعض الكتب تحدثت عن صعوبة كبت أو مقاومة أو كبح الغيرة ، وحتى (فرويد) لم يُشر إلى هذه المسألة إلاّ بكلام مقتضب جداً ، وكل ما توصل إليه الباحثون هو «أن الأصل في الغيرة ، يكمن في الجروح التي أصابت نفس الشخص أثناء الطفولة ، وعدم استعداد هذه الجروح للالتئام وقبولها للتهتك متى تهيأت الظروف»(1) .

والغيرة تولد مع الطفل ، تنمو مع نموه ، وتنطلق ، وقد لازمت الإنسان الأول منذ بدء الخليقة . وأما أعراض الغيرة فأول ما تبدو في سلوكيات الرجل البدائي من خلال حرصه الشديد على ما يملك ومحاولته القيام بالعدوانية حفاظاً على ذلك ، والغيرة تتسبب أحياناً بخللٍ في العقل ، وتهيج في البدن ، وتعمل على غليان الدم في العروق ، وتوتر الأعصاب ، ولإفرازات الجسم تأثير كبير على الغيرة ونشاطها .

والغيرة عند الأطفال تظهر بمظاهر عدة ، منها : التودد الشديد لتغطية

---

(1) محمد محمد جعفر ، الغيرة ، ص 20 .

هذه الغيرة ، أو ربما تتمثل بإضراب الطفل الغيور عن الطعام ، أو التمارض ، بقصد شد وجذب الانتباه إليه من قبل الوالدين كعملية تغطية للغيرة التي يشعر بها نحو أخيه والأفضل هنا ومنعاً لهذه الغيرة هو المساواة بين الأطفال وعدم تفضيل بعضهم على بعضهم الآخر ومهما كانت الدوافع .

وحتى بين الشعوب هناك نوع من الغيرة ، ومما يقال في هذا الموضوع أن الإنجليز هم أقل الشعوب شعوراً بالغيرة ، وهم المعروفون ببرودة طباعهم ، أما الإيطاليون والغربيون فهم مشهورون بالغيرة الشديدة التي تصل أحياناً إلى حد الجنون .

ويرى (أناتول فرانس) أن الغيرة مكونة من عناصر مختلطة ، مشوهة ، وهي الشعور البغيض ، الكريه ، والقسوة الضالة ، والغضب المريض ، والثورة العاتية ، وكلها تناقض قوانين الحياة والمجتمع .

أما قولهم أن الطفل يولد غيوراً فيرد عليها بعض العلماء ، بأن الغيرة موجودة كجزء متمم لنفس الإنسان تعيش معه من نشأته حتى مماته .

وتظهر عند الأطفال المعاقين جسدياً ، لأنهم يشعرون بحرمانهم مما يتمتع بين أخوتهم ، ويعمل الأهل على زيادة وتنمية هذه الغيرة على غير إرادة منهم ، نتيجة سلوكهم الخاطىء وغير المنظم ، وقد يضعون حداً لها بحسن تعاملهم ومساواتهم بين أطفالهم .

والأهل الذين تشغلهم طموحاتهم العلمية أو التجارية عن الاهتمام بأولادهم فإن الغيرة تنشأ في نفوس هؤلاء الأولاد ، أكثر من بقية رفاقهم الذين يحظون باهتمام ورعاية والديهم بشكل أفضل مما يلقونه هم أنفسهم .

وتنشأ الغيرة عند الطفل المضطهد ، الذي يوجه له الأهل الإهانات ، والتوبيخ أمام أخوته ، إما لتقصيره في المدرسة أو لقذارته ، فيشعر بنوع من

الحقد مقروناً بالغيرة من أخوته الذين لا يتعرضون لما يتعرض له من قبل الأهل .

ولدى معالجة ظاهرة الغيرة في إحدى العيادات النفسية للبالغين ، وخالصة لحالات غيرة الأزواج ، الواحد منهما على الآخر ، تبين أن هذه العاطفة هي عقدة مركبة منذ الطفولة ، وتبقى آثارها السلبية المدمرة للبالغين في حياتهم العامة ، تؤرق مضجعهم محولة حياتهم إلى جحيم ، ولطالما أدت إلى الانفصال بين الزوجين .

وكثيراً ما تنشأ عند الأطفال بسبب التمايز الجسماني لناحية الخلق ، لناحية القصر أو الضعف ، أو السمنة ، فيغار الواحد من أخيه ، وتزداد هذه الغيرة حِدة ، إذا قام الأهل بالمفاضلة بين الأخوة فيذكون هذه الغيرة ويزيدونها اشتعالاً .

والأم الحكيمة هي التي تستطيع أن تقيم توازناً بين الأخوين المتعاقبين ، بحيث تتمكن من زرع المحبة والعطف في قلب الكبير نحو أخيه الأصغر ، وهناك فئة من الأطفال تتغلب الغيرة عندهم على كل الإرشادات والنصائح ، والغيرة كثيراً ما تترافق بجملة عادات سيئة أخرى مثل الحقد ، والغضب ، والكذب . ومن مظاهرها الاعتداء على الأخوة وتحطيم أدواتهم وألعابهم أو تمزيق ثيابهم أو سرقة حاجياتهم الخاصة . والمساواة هنا هي الدواء الناجع لإزالة الغيرة أو وقف أثرها ، وضعف الغيرة عند الطفل الأول . لا يدل على زوالها ، فهي جزء متمم للنفس ، فسرعان ما تعود لتظهر بصور مختلفة كلما تهيأت لها الظروف ، وتستمر أحياناً في مراحل متقدمة من العمر .

والغيرة تتسبب في صراعات نفسية خفية داخل الفرد ، وتمثل خطراً على علاقته بمن يحيط به في الوسط الاجتماعي «والفرد الغيور لا يعترف بغيرته والسبب في ذلك أن الغيرة ترتبط عنده بالشعور بالنقص والعجز والضعف .

وينتج الشعور بالغيرة من الفشل أو الإحباط في تحقيق رغبة ملحة لدى الفرد كالنجاح أو التفوق»[1] .

والذي يؤجج نار الغيرة شعور الفرد أن حقوقه مهدورة ، وأنه مغبون ، أو لشعوره بانتزاع بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها . ويمكن التخفيف من عوامل الغيرة بإقرار المساواة بين الأطفال وتعويدهم على الأثرة وروح التعاون الجاد المخلص وتبادل الخبرات بروح رياضية وتقبل الفشل بنفس الروح أيضاً .

وكثيراً ما يشعر الطفل بالغيرة إذا ما رأى والديه منصرفين عنه ، أو مهتمين بإشيائهما الخاصة أو بأخوته الباقين «وفي مفهوم الطفل الصغير ، إنك إذا أعطيت حبك له ، لا يمكن أن تعطيه لشخص آخر غيره ، إلاّ إذا أخذته منه هو» [2] والغيرة فضلاً عن ذلك «هي انفعال لا يمكن أن نخضعه لسلطة العقل الواعية هي شعور لا تجدي فيه المناقشة ، والإقناع ، والسبيل الوحيد إلى قهرها هو إحلال شعور آخر محلّها» [3] .

والجدير بالذكر أن مظاهر الغيرة الطفولية غالباً ما تتسلل عبر سنوات عمر الإنسان لتظهر في فترة متأخرة ، لذلك يجب معالجتها منذ الصغر بالطريقة التي ألمحنا إليها ، أي باستبدال هذا الشعور ـ عن طريق الإعلاء ـ بشعور آخر أكثر إيجابية .

ومن طريف ما يروى في هذا المجال : أن امرأة في الثلاثين من عمرها ما زالت تتخاصم مع شقيقتها وهما متزوجتان ، وفي تحليل لحالتها قالت : إنها تذكر أن والديها دعيا نفراً إلى العشاء ذات يوم فأُجلست شقيقتها إلى مائدة الطعام مع الضيوف وهي ترتدي أبهى الحلل والزينة ، وطلب إليها أن تتناول الطعام في المطبخ مع الصغار ، واستطاع المحلل أن يعيد هذه الغيرة إلى تلك المرحلة الطفولية ، إلى هذه الحادثة وأمثالها .

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 44 .
(2) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 40 .
(3) أندريه آرتوس ، طفلك . . ذلك المجهول ، ص 98 .

ويمكن في نهاية هذا الموضوع أن نوجز أسباب الغيرة بـ :

1 ـ المفاضلة التعسفية من قبل الوالدين ، بين الأخوة .
2 ـ شعور الطفل بالضعف أو التقصير .
3 ـ اضطراب الأجواء الأُسرية .
4 ـ التعلق الشديد من قبل الطفل بوالديه .
5 ـ ارتباط الغيرة بالأنانية ، إذ كلما زاد الإحساس بالأنانية ، تولدت الغيرة وازدادت هي أيضاً .

أما وسائل التعبير عن الغيرة فيكون في عدة وسائل :

1 ـ بالصياح والعبث بأغراض الآخرين الذين يغار منهم .
2 ـ بالاعتداء الجسدي .
3 ـ بإزعاج الآخرين وإقلاق راحتهم .
4 ـ تأخذ الغيرة بعد التقدم بالعمر . (أي بعد العاشرة) شكل التجسس والوشاية والإيقاع بالآخرين .
5 ـ وتظهر عند صغار الأطفال باصطناع الحب الزائد نحو الفريق الآخر لتعمية الأنظار عن الغيرة الدفينة ، فما إن تتاح الفرصة للطفل الغيور ، حتى يقوم بإيذاء أخيه ، ضرباً أو عضاً .

أما العلاج لهذه الظاهرة فيمكن أن يكون على الشكل التالي :

1 ـ المساواة بين الأخوة ، وحسن المعاملة ، وعدم التدليل الزائد .
2 ـ عدم التعلق الزائد بالوالدين ، وترك الأمور طبيعية بحيث تكون علاقة الطفل بوالديه طبيعية وعادية غير مبالغ بها .
3 ـ هدوء الأجواء الأسرية ، وبعدها عن الاضطرابات والخلافات .
4 ـ مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين الأطفال في هذا الموضوع .

* * *

- ز -

العُصاب

بعض الأطفال يمكن تمييزهم بوضوح ، قبل سن السنتين ، واعتبارهم أطفالاً «عسرين» يتسمون بالخشونة والقسوة والفظاظة ، يزعجون من حولهم ، يتميزون بالصراخ عند البكاء ، والقهقهة عند الضحك ، يعبرون عن خيبة أملهم بالضجيج والصراخ ويسود عندهم المزاج السلبي ، وهم يبكون أكثر مما يضحكون .

إن مثل هذا النوع من الأطفال ، يعانون من بطء شديد في المقدرة على التكيف مع المواقف الجديدة ، مما يضطرنا إلى تكرار تعريضه للمواقف الجديدة حتى تصبح مقبولة عنده .

«إن التحليل النفسي يتيح لنا أن نصل في هذه الأمراض إلى نتائج لا تقل أهمية عن أي فرع من فروع العلاج الطبي الداخلي»[1] وفي هذا المجال أيضاً يقول فرويد : «أنا لا أؤمن بصحة الحكمة القائلة : إن المحاولة هي أم كل شيء ، فهذه الحكمة تبدو لي من نتاج السفسطة الإغريقية»[2] .

والحقيقة أن التحليل النفسي ، وهو المذهب التأملي ، استطاع أن يصل

(1) سيجموند فرويد ، النظرية العامة للأمراض العصابية ، ترجمة جورج طرابيشي ، ص 21 .

(2) المرجع نفسه ، ص 7 .

إلى صياغة مشتركة لكل الملاحظة والمشاهدة .

والعصاب الطفلي أكثر حدوثاً وأكثر طبيعية من العصاب الراشد ، وبعض الأمراض العصابية الطفلية قابلة للشفاء ، بشكل فجائي ، «وحصول العصاب عند الراشد ، ليس إلاّ إعادة نشاط العصاب الطفلي»[1] أسهمت في تكوينه وبلورته أزمات نفسية جديدة .

والأمراض العصابية التي تجري بهدوء عند الأطفال ، قد لا يمكن التعرف إليها ، أو قد يجري التقليل من خطورتها من قبل المحيط ، فالأولاد المتشبهون بالرّاشدين الأسوياء ، قد يكونون أحياناً من أكبر العصابيين ، حتى إنه وراء التكيف المزعوم فقد يجري نسق عصابي ، وقد يكون أكثر أثراً من العصاب الذي يظهر بآثار صاخبة .

وتركيز العصاب الطفلي «يعمل على شكل التكلس داخل الجسم»[2] وتختفي المرونة التوافقية ، وتحدث الصراعات بين الرغبة ، والقوى العميقة المكتسبة التي تكونت في (الأنا) .

وتؤكد «ميلاني كلاين» على ـ القلق الطفلي ـ الذي هو بعض مظاهر العصاب والمتمثل باضطرابات النوم ، والصعوبات الغذائية ، والاضطرابات الخوافية فعند الولد الصغير ، قد يتخذ هذا القلق أشكالاً عدة ، سواء باضطراب النوم ، أو باليقظة المبكرة ، أو عدم القدرة على القيلولة أثناء النهار .

والاضطرابات الغذائية يمكن أن تكون مؤشراً لعصاب طفلي ، وهي تتراوح بين فقدان الشهية أو تصرفّات سيئة أثناء الأكل ، وقد تبدو أحياناً في قضم الأظافر ، وعدم التوازن النفسي والحركي . وقد استطاعت (ميلاني كلاين) استخلاص هذه النتائج ، انطلاقاً من تشوش التصرفات اليومية . كرفض

(1) فيكتور سميرنوف ، التحليل النفسي للولد ، ترجمة د. فؤاد شاهين ، ص 259 .

(2) المرجع نفسه ، ص 262 .

الاشتراك في اللعب ، والتردد بحجة التعب ، أو عدم المهارة ، وهذه التصرفات الشاذة قد تستمر حتى عند الراشد الذي يستطيع دائماً أن يجد تبريرات لإعلان بعض النشاطات الطبيعية ، بأنها مزعجة ، متعبة ، أو عديمة الجدوى . فالصد يدل دائماً على وجود القلق . وهذا الصد ، قد يطال مجالات أخرى «ويشمل النشاطات المدرسية . فصد التعليم ورفض المعرفة يمكن أن يظهر على شكل بلادة أو كسل ، أو قرف ، أو عدم اهتمام ببعض المواد ، أو عدم القدرة على العمل إلاّ تحت ظروف ملحّة كضغط الامتحانات المدرسية»[1] .

وفي بعض الحالات يصبح الأولاد العصابيون تلامذة جيدين ، نتيجة للعملية التعويضية التي يقومون بها في ما بعد ، ولكن الطابع العام لعملهم يبقى الطابع الاضطراري المعرض في أية لحظة للتدهور .

المعايير التشخيصية للعصاب :

يتمثَّل العصاب عند الولد بالمظاهر التالية :

1 ـ النقص في رغبته في التعلم والمعرفة ، ومقاومة التعليم المدرسي ، بل وكل ما يُدخل الولد في مجال المعرفة (قراءات ، مسرح ، ألعاب تعليمية. . . الخ) وقد يمتد هذا الصد ليشمل عدم استيعاب أية معرفة .

2 ـ الألعاب المتكررة بشكل آلي ، أو ما يسمى بالألعاب (الهجاسية) التي تتحول إلى نوع من الطقوس ، والتكرار الثابت الذي يظهر بسبب القيود المفروضة على ما لديه من دوافع .

3 ـ نقص الطمأنينة ، ونقص في نمو العلاقات مع المحيط ، وموقفه غير متساهل .

4 ـ التكيف الملح وتنمية الأنا الأعلى ، فيصبح الولد صالحاً مطيعاً ، ولكن ذلك يكون على حساب حرية التعبير . وفي نظر (ميلاني كلاين) في شكل

(1) فيكتور سمير نوف ، التحليل النفسي للولد ، ترجمة د. فؤاد شاهين ، ص 262 .

العلاقات العاطفية للولد مع محيطه العائلي ، ومع رفاقه ترى «أن السلوكيات العدوانية جداً ، أو الخاضعة جداً ، أو العواطفية جداً ، هي إشارات على عدم قدرة الولد لمواجهة القلق أو العداء ضد الموضوع الليبيدوي»(1) وقد يصاب الولد في ما بعد بالمازوشية أو السادية ، مما يسيء إلى تكامله الاجتماعي والعائلي .

والوالدان يريدان من المحلّل النفسي أن يجد حلاً لصعوبات ولدهما . ولكن شرط أن يحتفظا بنمط حياتهما ، وهذا يعني أن أية محاولة لتغيير سلوكهما تجاه الطفل تصطدم بالمقاومة اللا واعية ، وأية نصائح أو تفسيرات قد لا تؤدي إلاّ لتغييرات سطحية .

بعض المرشدين يقترح أن نشير صراحة إلى الأهل بأنهما السبب الأساسي للاضطرابات التي يشكوان منها عند ولدهما ـ لكن هذا الاقتراح مردود عليه ـ بأن هناك قاعدة العصاب العائلي الذي يشكل توازناً ، يحاول الوالدان إبقاءهُ عندما يقاومان بشكل لا واعٍ كل محاولة لتغيير عناصر هذا التوازن ، فهم لا يستطيعون إعادة النظر في الدوافع اللاواعية التي تبنى عليها مواقفهم . وهم يريدون من المرشد النفسي أن يكون مستمعاً لهم ، لا أن ينصح ويحكم .

والحقيقة أنه من الممكن تقديم العلاج للأهل ، وهذا متوقف على مستواهما الثقافي وعلى ذكائهما ، وصلابة سلوكهما ، واستعدادهما العاطفي ، وعلى الدوافع الظاهرة واللاواعية في طلب العلاج ، فالمعارضة الخفية للوالدين قد تنال من الجهود العلاجية .

ويسود الاعتقاد عند كثير من المربين بأن المشكلات التي يظهرها الطفل العصابي ، ليس سوى انعكاس للرعاية الضعيفة التي يتلقاها ، وتبين أن الأمومة

---

(1) فيكتور وسمير نوف ، التحليل النفسي للولد ، ص 269 .

السيئة ، هي عبارة عن رجاع مضطربة تقوم بها الأم تجاه طفلها العسر ، أو العصابي وهذا الطفل يتحول إلى طفل خجول ، وخائف ، وهو قابل للتكيف ولكن ببطء «والأطفال الذين يتغلبون على صعوبات الحياة المختلفة بشكل ناجح هم في حقيقة الأمر قد أعدوا لمواجهة هذه الصعوبات ، وهم محصنون ضدها»[1] .

والأطفال الذين تلقوا الرعاية بعيداً عن أسرهم لفترات طويلة ظهرت عليهم بعد ذلك أعراض القلق كالكوابيس والغيرة والتبول الليلي اللاإرادي . والحقيقة أن العديد من مشاعر عدم الأمن الطفولية ، يكمن في الانفصال المبكر للطفل عن ملجأ الأمن الذي يقوم المنزل والأم بشكل خاص بتأمينة له . وهذا يشير في نفس الوقت ، أن التعلم والخبرات التي يتلقاها الطفل في سن مبكرة هي أكثر أهمية من تلك التي يتلقاها في سن متقدمة .

موقف الأهل من العلاج النفسي للعصاب :

موقف الوالدين تجاه العلاج النفسي يجدد إمكانية الاستجابة لطلبهما . فبعض الأهل يأتون إلى المرشد النفسي ، وفي أذهانهم أفكار مسبقة ، بل وأحكام سلفية ، وهم حذرون من الإرشادات التي ستعطى لهم . وهذا يلعب دوراً كبيراً أثناء العلاج التحليلي للولد ، وأحكام الوالدين المسبقة تشكل بدون شك عائقاً أثناء العلاج وهذا جزء من موقف الجمهور بشكل عام نحو التحليل النفسي بصورة عامة والإرشاد النفسي خاصة ، يضاف إلى ذلك «الصورة التقليدية التي يكونها الراشد عن الولد ، والتي ترتكز على البراءة الطفلية ، وتحذف من هذه الصورة المظاهر الجنسية أو العدوانية ولا ترد إلّا بمثابة أثر مرضي أو استعداد جبلي أو نقص وراثي»[2] .

---

(1) مرتين هربرت ، مشكلات الطفولة ، ترجمة عبد المجيد نشواتي ، ص 114 .
(2) فيكتور سمير نوف ، التحليل النفسي للولد ، ص 277 .

والأهل الذين ينكرون وجود دوافع جنسية وعدوانية عند الولد ، يعودون فيقبلون بها ضمناً ، ولديهم هاجس من أن التحليل النفسي قد يكشف للولد رغباته اللاواعية ، فيقوي الاضطرابات بدل إزالتها . ومثل هؤلاء الأهل لا يعرفون أن الرغبات المكبوتة حينما تخرج من غرفتها المظلمة إلى مساحة الوعي ، تخضع عندئذٍ لرقابة الفرد الذي قد يتمكن حينئذٍ من مواجهتها بأفكاره وفشله .

والحقيقة أن الولد الذي يقدم إلى العيادة الإرشادية ، من قبل الوالدين يعكس مشاكلهما الخاصة ، ويصبح الولد وسيطاً في علاقتهما بالمحلل ، حيث يحتاجان هما إلى المحلل بالقدر الذي يحتاج إليه الولد .

* * *

- ح -
العبثية والعصبية

تربية الطفل ، فن قائم بذاته ، تتطلب ذكاء من قبل المربين ، بالإضافة إلى الخبرة والجهد والتضحية ، فليست مجرد روتين يُتبع . نقدم الطعام ، والكساء ، والمأوى ، مع الخدمات الصحية ، والإرشادات الكلامية ، إلى أن يصبح الطفل رجلاً فيتولى أمر نفسه بنفسه .

إن المسألة أبعد من ذلك بكثير ، وأعمق من ذلك بكثير ، فبمقدار ما تكون التربية الطفولية مستقيمة وسليمة بقدر ما نحصل على أطفال يتمتعون بالصحة النفسية التامة وبالسلوك الحسن .

ولو تأملنا في المضامين التربوية للغالبية العظمى من الأهل ، وكيف يطبقون هذه النظريات التربوية على أطفالهم لأصبنا بالدهشة والاستغراب ، ففي معظم الأسر تجد أن قائمة الزواجر والنواهي هي سيدة الموقف «إياك أن تفعل كذا. . . إبتعد عن هذه. . . لا تمس تلك. . . إن فعلت ذلك سأضربك. . . لا تلعب بالتراب. . . لا توسخ ثيابك. . . احذر الاقتراب من كذا. . . أو ابتعد عن كذا. . .» .

سلسلة من التحذيرات واللاءات يُشحن بها ذهن الطفل الصغير حتى ليصبح عاجزاً عن التمييز بين ما يجب أن ينفذه وما لا يجب ، بين ما هو ضار به فعلاً ، وبين ما هو مزعج للأهل فقط ؟!

هذه اللغة الجافة واللهجة القاسية، تفعل فعلها في نفسه، فعن طريق الفعل ورد الفعل تنعكس سلبيات هذه الطريقة على الوالدين أنفسهم، فبنفس اللغة التي خاطبته بها أمه، يخاطب بها إخوته، أو أمه بعد ذلك. فالصوت الرقيق الناعم الهادىء كمثير يستدعي استجابة هادئة، والعكس بالعكس. ولقد قيل في الإنجيل المقدس «بنفس المكيال الذي تكيلون به، يكال لكم به» حتى إن بعض الأطفال يخاطب أخته الكبرى أو أخيه الأكبر بنفس اللغة التي خوطب بها من قبل أمه، وبنفس اللهجة، ودون مراعاة لفارق السن وتراتبيته والطفل كما نعلم مقلِّد ماهر، فهو يقلد الأهل في حركاتهم وسكناتهم ومختلف سلوكياتهم.

ـ ومن الأخطاء التربوية الشائعة، أن بعض الآباء يُنصِّب إبنه جاسوساً لتقصي ومراقبة ما تفعله الوالدة في غياب الأب، وما يسلكه أخوته من سلوك حيث يُستدعى في المساء من قبل الأب لتفريغ ما لديه من معلومات، فيصفي الوالد حسابه مع المخطئين، ويشعر هذا (الجاسوس) الحديث السن بالنشوة والانتصار وبالمكانة التي نالها عند والده، والتي تجعل منه شرطياً يتمتع بمهابة الجميع، والجميع يخافونه ويحسبون له حساباً. إن هذه مغالطة تربوية فظيعة «فعلى الوالدين أن يراقبوا أولادهم بأنفسهم ويستغنون عن هذه الطريقة، التي تولد في نفوس أولادهم شعوراً طاغياً، لا يعلم مداه إلّا الله»[1]. وفي اعتقادنا أن هذا الأسلوب التربوي يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم من تحذير واضح من الغيبة والتجسس بدليل قوله تعالى ﴿**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾ . . . إلى آخر الآية الكريمة[2].

عبثية الأطفال بالأغراض والمقتنيات المنزلية :

خلال السنة الثانية من العمر، وفي مراحل المشي الأولى التي تعقب

(1) د. محمد مصطفى الديواني، حياة الطفل، ص 133.
(2) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية (12).

مرحلة الحبو ، تنشط عند الطفل فضولية الاكتشاف وحب المعرفة ، والتفاعل مع الأشياء المحيطة به ، إلى حد بعيد فحبه للاستطلاع يجعله يتناول كل ما وصلت إليه يده ، فيعبث بترتيب الأواني ، ويكسر بعضها أو يتلفه ، مع شعور شديد بالغبطة في المراحل الأولى ، لكونه يرى حدثاً جديداً فكم من الأطفال يُسَرّون وهم يرون قطعة (بلاستيك) ، آنية ، أو صحن ، تذوب على النار ، أو صحناً زجاجياً ينقسم إلى عدة أقسام بعد أن ينكسر ، ثم يعيدون الكرّة لمزيد من الاكتشاف . أما في المراحل الطفولية اللاحقة ، فيعقب هذه العبثية شعور بالندم ممزوجاً بالخوف من العقاب .

ذلك يسبب للأمهات ـ بطبيعة الحال ـ انفعالاً غضبياً شديداً ، ولا سيما إذا كانت الأغراض المتلفة ثمينة ، وذات قيمة كبيرة ، فهن إما أن يسارعن إلى ضرب الطفل وتأديبه ، حتى لا يكرر هذه الفعلة ثانية ، أو تهرع الأم لانتزاع الأشياء من يده بسرعة قبل حدوث التلف ، ولا تعلم مثل هذه الأم «أن انتزاع الشيء من يده بسرعة يزيد من رغبة الطفل في الوصول إلى هدفه»[1] ، والأكثر من ذلك أن هذا الطفل يجعل همه الأول التغلب على الأم وانتزاع الغرض قبل وصولها إليه . فيشعر بحلاوة الانتصار عليها ، وغالباً ما ينفذ حكم التلف أو الكسر بسرعة قبل وصول أمه إليه .

والعلاج في مثل هذه الحالة ، إبعاد الأشياء الثمينة عن متناول يده ، أو إبعاده عن أماكن وجودها ، ثم إذا صادف وأخذ شيئاً منها فليترك له ليلهو به قليلاً ثم يُطلب إليه برفق أن يعيده إلى مكانه . وهذا الأسلوب من شأنه أن ينتزع الذرائع التي يقوم بها الطفل لتحطيم وإتلاف المقتنيات ، ولا بد في بادىء الأمر من التضحية ببعض الخسائر المادية ، فتربية الطفل بطريقة سليمة ، وتنمية شخصيته السوية ، أهم بكثير من جميع المقتنيات وأثمانها .

---

(1) د. مصطفى الديواني ، حياة الطفل ، ص 134 .

يحدث أحياناً أن يحطم الطفل لعبته ، فتسارع الأم مستنكرة مهددة ، وهي على درجة من الانفعال بسبب ما ارتكبه الطفل ، فتلومه وتوبخه أو تضربه ، بينما تذهب أمٌ أخرى ، تحت تأثير بكاء الطفل بعد فقد لعبته التي حطمها بنفسه لتستبدلها بغيرها . وتصرف الأم في كلتا الحالتين ، تصرف خاطىء ، فالطفل الذي حطم لعبته يجب أن يدفع بنفسه ثمن الخطأ ، فليترك وشأنه وليؤجل وإلى حد بعيد أمر شراء لعبة جديدة ، ليكون ذلك درساً مفيداً له .

عصبية الوالدين :

إن أسعد الأطفال هم الذين يعيشون في جو أسري هادىء في ظل أبوين يتخاطبان بهدوء واتزان ، وبدون انفعالات شديدة ، بعيدة عن العصبية الشديدة ، ومظاهر التشنج . فالطفل الذي ينشأ في ظل أسرة متوترة ، تتوتر أعصابه ، ويصاب بالقلق منذ المراحل الأولى من عمره ، ويرافقه ذلك في مختلف مراحل حياته . وكثيرة هي المشكلات الطفولية التي تسببها هذه الأسر المضطربة لأطفالها ، وتسيء إلى حالتهم النفسية .

والأبوان الهادئان المتزنان هما اللذان يزجران الولد بلطف ، حينما يقوم بالخطأ ويسامحانه إذا اعتذر ، ويشجعانه إذا اعترف بالذنب ، وهما لا يشكوان حظهما العاثر وهمومهما أمام الأطفال ، حتى لا يحملانهم الأعباء النفسية ، التي لم يحن الوقت بعد لتحملها . وهذه تشكل عبئاً على الطفل لا يستطيع حمله بما لديه من إمكانات عقلية واجتماعية ومعرفية .

ومن عادة الآباء العصبيين أن يشكوا من أطفالهما ، فيكثران من الحديث عن مشاكل الطفل (قلة الأكل ، عدم الترتيب ، التأخر الدراسي ، أو العناد) ، بحيث يصبح الموضوع المفضل لديهم هو التشهير بأطفالهم ، والغريب أن الطفل ينزع للاحتفاظ بهذه المكانة فيستمر في مشاكله ، وغالباً ما يسترق

الحديث خلسة ، وخاصة إذا كان الموضوع يتناوله شخصياً ، كذلك «كلما أنس الطفل في أمه ضغطاً ، وكلما شاهدها حائرة ، قلقة عملية ، تقص أنباءه على صديقاتها وأقاربها ، تأصلت في نفسه غريزة العناد»[1] .

والعلاج في هذه الحالة يتمثل في عدم الحديث عن مرضه ، أو عن مشاكله بحضوره وقد ثبت كذلك أن «الاهتمام بالطفل وإظهار القلق عليه ، ينقلب إلى الضد إذا زاد عن حدوده ، فعلينا أن نتخذ مركزاً وسطاً وخير الأمور أواسطها» .

وكذلك فإن الحديث الدائم عن الطفل بأنه (عفريت ، شيطان ، مشاكس. . . الخ) أمام هذا الحديث ـ تأخذه العزة في الإثم ـ كما في تعبير القرآن الكريم وأحب ما في الدنيا على قلب الطفل ، أن يتحدث الناس عنه ، والأهل وأن يكون ملفتاً للأنظار . وفي الرواية اللبنانية (أسطورة راجح) ما يشير إلى هذه المسألة ، فالشاب راجح . لكي يلفت أنظار الجميع ، ويتحدث عنه الجميع ، لجأ إلى (كسر مزراب العين) حتى يذيع صيته في الآفاق ، ويشتهر وقد اقترن اسمه بالحدث ، فأصبح يقال : (راجح كاسر مزراب العين) ، وجرى المثل في هذا الموضوع : (فلان فعل كراجح كاسر مزراب العين) . وبذلك بدأ اسم (راجح) يتردد على ألسنة الشباب والصبايا ـ وإن بالشر ـ وهو مثل أطفالنا فيما نتحدث عنهم بعدم الرضا المقرون بالإعجاب المبطن ، عن شيطاناتهم الطفولية الخارقة . فنكون وكأنما نمنحهم القوة والدفع للاستمرار في تحديهم ، في الوقت الذي نظن فيه أننا نقوم بتقريعهم للإقلاع عن العمل السيء .

الطفل العصبي :

الأطفال يختلفون في مزاجهم العصبي ، منذ اليوم الأول لولادتهم ،

(1) د. مصطفى الديواني ، حياة الطفل ، ص 136 .

فمنهم الطفل الهادىء ، ومنهم الطفل الصاخب ، كثير البكاء الذي يطالب بحقوقه من لبن الأم ، والطفل العصبي شديد الحساسية للأصوات المحيطة به ، فهو يستيقظ عند أية حركة تجري بالقرب من سريره ، ويتناوب الوالدان ، أو الأخوة الكبار على حمله ، والغناء له ، وهزه ، والسير به من مكان إلى آخر ، ولا يعلمون أن مثل هذا السلوك يقوي لديه نزعة العصبية .

ولو ترك في سريره يبكي لفترة لكان ذلك أفضل ، ولقد أصبحت الأمهات بحكم تجاربهن يعلمن هذه الحقيقة ، ويعبرن عنها بمنتهى العفوية (لا نريد أن نعوِّده على ذلك) وهذا كلام سليم .

ولمواجهة العصبية في هذا النموذج من الأطفال :

1 ـ يجب تهيئة الأجواء المريحة لنوم الطفل .

2 ـ لا يجب أن يُحمل الطفل إلاّ في حالة الضرورة .

3 ـ يجب الفصل بين موعد الرضاعة ، ونوبات الصراخ الصادرة منه ، لئلا تصبح بمثابة منعكس شرطي ، فيتعود على الصراخ في كل مرة يريد فيها أمراً ما . بل ، ويُحذر أن يُعطى اللبن في أعقاب الصراخ مباشرة ، لأن ذلك قد يتسبب في عملية سوء الهضم . فبعد أن يخلد إلى الراحة بقليل ، ويهدأ يمكن أن يُعطى حقه من التغذية .

4 ـ ضرورة التغذية المنظمة ، والراحة التامة . والنوم المريح من أكثر العوامل على تهدئة الأعصاب . وعند الأطفال العصبيين ، يكون النوم متقطعاً ، ولمواجهة هذه المسألة ، هناك رأيان متضادان نعرضهما معاً :

أ ـ الرأي الأول ، وهو رأي قاس يبالغ في الجدية والصرامة ، يقول : أن يُترك الطفل عندما يستيقظ من نومه (ليلاً) ويبدأ في البكاء ، دون أن يُحمل من قبل الأم أو يُستجاب لبكائه ، فسيعرف بغريزته أنه لا فائدة ولا جدوى من هذا الصراخ ، فسيتعب ثم يعود إلى النوم ثانية من تلقاء نفسه ، بعد أن تُسد في

وجهه سبل الاستجابة على أنواعها . وبذلك نريح كل من هم في المنزل الذين يقلقهم صراخ الطفل ويحرمهم لذة النوم .

ب ـ أما الرأي الثاني ، وهو أكثر واقعية ، فهو أن تبادر الأم التي ينام الطفل قريباً منها إلى تغيير وضعية نومه (مع عملية تربيت على ظهره بلطف) حتى يستغرق في النوم ثانية ، وهو لم يستيقظ استيقاظاً تاماً بعد . ونهوض الطفل ليلاً يكون في غالب الأحيان لتغيير وضعية نومه ، فلا بأس من أن تبادر الأم بنفسها وبلطفٍ متناهٍ بتغيير طريقة نومه ووضعيته ، فإن كان ينام على ظهره حولته إلى نوم جانبي أو العكس . وعملياً فإن هذه الطريقة متبعة من قبل كثير من الأمهات وقد أثبتت التجربة صحتها وجدواها .

* * *

ـ ط ـ

الطفل المتواكل

غالباً ما يكون هذا الطفل شديد الاهتمام بالأم ، يلتصق بها بشكل جاد ويهتم بها اهتماماً مَرضياً . ولا تعتبر التواكلية مشكلة فهي ضرورية فعلاً لحاجة الطفل إليها وعدم استطاعته لإعالة نفسه .

والطفل المتواكل لا يطلب المساعدة عند اعتراضه مشكلة صعبة ، بل يطلبها حتى في الأمور العادية السهلة ، ومن عادته ألا يأخذ زمام المبادرة ، والطفل المتواكل يتطلب دائماً أن يتنبه الآخرون له ولا سيما الكبار منهم لكلماته ، ويستمعوا إليه ويطلعون على ما أنجز من أعمال ليسمع آراءهم واستحسانهم لكل ما يفعل ، وهو يُظهر في ذلك عدم القدرة في الاعتماد على كفاءته الخاصة .

ومفهوم التواكلية يتغير بتغير وتطور السن ، فيحدث الانفصال عن الأم في حوالي السنة الثالثة والنصف ، ويمكن القول : «إن الحبّ المبكر الذي يتعلمه الطفل هو نوع من الحب الكاذب يبغي من وراءه الحصول على بعض المغانم»[1] .

وتتحمل الأمهات مسؤولية كبرى في تطور التواكلية عند الطفل ، فقد

---

(1) مرتين هربرت ، مشكلات الطفولة ، ص 128 .

اتضح من دراسة أجريت على الأمهات أن نسبة 36 % منهن يتصفن عموماً بالنزق وسرعة التهيج ، ويعاقبن أطفالهن لدى تعلقهم بهن ، بحيث تبين أن التوبيخ العنيف الذي يترافق مع إبعاد الطفل عن أمه أثناء تمسكه بها يؤدي إلى تكرار السلوك التواكلي عند هذا الطفل ، كما اتضح «أن أكثر الأطفال تواكلاً ينتمون إلى أمهات يرفضن لبعض الوقت وبشكل عصبي حاجة الطفل إلى التواكل»[1] .

والجدير بالذكر «أن الأمهات اللواتي احتفظن بهدوئهن أثناء الغارات الجوية في الحرب العالمية الثانية أنشأن أطفالاً يميلون إلى الهدوء ، بينما نقلت الأمهات الخائفات خوفهن إلى أطفالهن»[3] وهذا ما يثبت وجود الارتباط الفعلي بين مخاوف الأم ومخاوف الطفل .

وإلحاقاً بالتواكل فهناك حالة الامتثال الزائد ، وهو يتسبب في نظر بعض المربين في فقدان الفردية ، والخضوع التام للآخرين ، ويؤدي إلى سلوك لا اجتماعي ، فالرغبة بالخضوع تجعل الأطفال يميلون إلى التنازل عن المعايير والقيم السائدة في مجتمعهم إرضاء للغير .

---

(1) المرجع نفسه ، ص 180 .

- ي -
الطفل العاجز

يجب مواجهة ظاهرة عجز الأطفال بواقعية ، والعجز ليس كل شيء في الحياة ، فالطفل العاجز ، متشابه مع غيره في كثير من النقاط ، فهو مثلهم يريد أن يُحب ويُحَب ، أن يتجنب الألم ، ويميل إلى ما يفرح ويُسر . وأخطر ما في الأمر هو الاهتمام التعويضي الزائد للطفل العاجز ، من قبلنا نحن الأهل . ونحن إذ نفعل ذلك كأهل وكمربين فنحن نقوم بطريقة إسقاطية «وهي أننا نضع أنفسنا مكان شخص آخر ونفرض انفعالاتنا عليه»[1] .

ثم لا داعي للقلق أو الظن بأن الذي يفقد جزءاً أو أكثر من جسمه قد فقد كل شيء وعندما تسخر جميع الجهود للتغلب على عاهة ما ، فقد يكون ذلك عاملاً عن عوامل نجاح الفرد المصاب . لذا يجب مواجهة الموقف بطريقة واقعية دون قلق ، أو آمال لا يمكن تحقيقها ، بل وتقبل الواقع دون غيره ، وأن يعطى للطفل الشعور بالأمن والشعور بالنجاح ، ثم إن الطفل العاجز الواثق من مشاعر أبويه وأخوته ، والذي يشعر أن له دوراً هاماً في الأسرة مثل أي شخص آخر لا يفقد الشعور الحيوي بالأمن والطمأنينة .

بعض آباء الأطفال العاجزين يعانون من شعور بالذنب فيتساءلون : (ماذا

(1) أدث سترن ، الزا كاستنديك ، الطفل العاجز ، ص 14 .

فعلت في دنياي ، وماذا جنيت حتى يصبح طفلي كذلك ؟! أو هل أهملت لدرجة جعلته عُرضة للإصابة ؟!»)[1] .

لكن الوالد المؤمن المتمسك بدينه ، وبربه تمسكاً عميقاً وصحيحاً يجد فيه عوناً ويستمد منه إلهاماً لمواجهة هذه الأزمة ، ولا بأس من مجالسة علماء الدين ، وهم ـ أطباء القلوب ـ والغالبية العظمى منهم أصبحوا اليوم على قدر عالٍ من المعرفة والثقافة العصرية العالية إلى جانب علومهم الدينية ، مما يتيح لهم الفرص في الغوص في القرآن الكريم من النواحي النفسية والاجتماعية ، لاستلهام الدر ، واستخلاص ما يشفي الصدور المكلومة .

والشفقة ـ وإن كنا لا نشك في صدقها ـ فهي غير ذات جدوى سواء للصحيح أو للعاجز المشوه ، فكثرة الشفقة أو زيادتها تثبت عقدة النقص وتؤدي إلى زيادة الشعور بالضعف ، وتبعد الطفل عن إخوانه أكثر نتيجة شعوره بالاختلاف عنهم ، ويجب أن ينصب الاهتمام على تنمية شخصيته ، وليس على عجزه الجسمي .

والأجدر بالأهل في مثل هذه الحالة أن يجعلوه مثل غيره ، يتعلم طريقة الحياة ، والاختلاط مع الأقران ، وتكوين علاقات معهم ، وإبعاده عن أجواء اليأس ، وزرع روح التفاؤل وقبول الواقع ، دون أن يعيش الشعور بالمرارة بشكل دائم .

والإفراط في العناية الزائدة بمثل هذا الطفل هو من الأخطاء التربوية الشائعة ، ولا بأس من تشجيعه على عمل ما يمكن عمله ، بما يتناسب مع حالة عجزه وبقدر ما ينتج فهو سيشعر أنه أصبح أقرب إلى الآخرين ، وأقرب إلى الواقع .

---

(1) المرجع نفسه ، ص 15 .

ويرى بعض الأخصائيين التربويين أنه من المستحسن تكليفه ببعض الأعمال المنزلية التي لا تمنعه حالته من القيام بها ، كالأعمال اليدوية البسيطة فهذه أيضاً من الوسائل التربوية التي تدعمه نفسياً كالأعمال الكتابية ، والأشغال اليدوية ، وتحضير بعض المآكل ، أو ممارسة العزف على البيانو أو الآلات الموسيقية الوترية الأخرى .

أما بالنسبة للطفل المصاب بالحمى الروماتيزمية ، والتي تطول فيها فترة المرض ، فيجب في مثل هذه الحالة تزويد الطفل بمعلومات واقعية عن حالته ومرضه ، دون أن تتضمن شيئاً من الرثاء أو التشاؤم لأن ذلك يسبب له المزيد من القلق . وتطول فترة النقاهة ، وغالباً ما تمضي هذه الفترة في البيت ، لذلك يجب أن تنظم أجواء البيت بشكل طبيعي ، حيث يعتنى بصحة الطفل الجسمية دون الإفراط في ذلك كما هو سائد في معظم الأسر ، وذلك على حساب الصحة النفسية ، فالإفراط في المحافظة على الصحة البدنية يؤثر سلباً على الصحة النفسية ، فيتدلّل الطفل ، ويتشدد في مطالبه ، ونحن لا نشك بأن الطفل في مرحلة النقاهة هذه يحتاج إلى قدر كبير من الاهتمام العاطفي ، حتى يعود إلى حالته العادية ، ومن بعد ذلك يجب الانتباه ففترة النقاهة قد تستغرق وقتاً طويلاً ، ويتطور الطفل بتطور حاجاته فما كان يصلح له بالأمس ، قد لا يصلح له اليوم ، فمن البديهي أن ينال الطفل قسطاً من العناية والمحافظة ، لكن على ألا تتحول إلى إحاطته بسياج من القلق والإفراط في الحماية ، لأن المبالغة في الرعاية تجعل الطفل ـ لا شعورياً ـ يفقد الرغبة في التحسن ، حيث يحس أن أمه وأباه أكثر حباً وملاطفة له عند المرض .

والأهم من ذلك أن الكثير من الأطفال رغم تقدم الحالة الصحية لديهم وشفائهم شبه التام ، من المرض ، يعودون إلى النكوص ، إلى الأفعال الطفلية ، فسرعان ما يشعرون بالعجز عن القيام بالأعمال التي كانوا يقومون بها كارتداء الملابس والاغتسال وتناول الطعام ، فيحتاجون إلى والديهم من

جديد ، بعد أن كانوا قد تجاوزوا هذا الأمر ـ وليس من داعٍ للقلق ـ فهذه ظاهرة كثيرة الحدوث ، إذ لا بأس من إعادة تدريب الطفل من جديد على الاعتماد على نفسه ، شرط ألا يبالغ كثيراً في الأمر ، لأن ذلك يؤخر عودة الطفل إلى الحالة الطبيعية ، لأن هذه العناية الشديدة ، تشعره بأن الأمر هام وخطير . فلندعه يخالط الآخرين حتى لا يشعر بالاختلاف عنهم .

وإذا كان الطفل لطيفاً هادئاً سهل الانقياد ، فهو يفقد القدرة على اتخاذ القرارات بنفسه ، أو يفقد المبادأة ، وإذا كان على العكس من ذلك معتداً بنفسه ، فإن ذلك يتجلى في التخريب والعصبية والطلبات غير المعقولة . ولتعديل هذين الاتجاهين المتناقضين عند الطفل ، لا بد من رسم حدود معقولة لتصرفاته وسلوكه ، حيث يصبح أكثر طواعية للعمل بها .

ونفاجأ أحياناً بالطفل وهو يخالف التعليمات المعطاة من الأهل ، أو من الطبيب بخصوص وضعه الصحي ، ويجب التنبه هنا إلى أمر سيكولوجي هام مؤداه : «إن الطفل وهو يفعل ذلك فهو لا يتحداك بل إنه يجرِّب نفسه ليختبرها»[1] ويُنصح بالابتعاد عن الذين يكثرون من الحديث عن مشكلاتهم الصحية وعن آلامهم ويأسهم من الأطباء والعلاجات ، لأن مثل هذه الأحاديث على مسمع الطفل المريض من شأنها أن تعيد إليه حالة الاضطراب والبلبلة .

ولما كان الطفل (أي طفلٍ سليماً كان أو مريضاً) يتقمص شخصية الكبار ويقلدهم فهو لا شك سيقلد هؤلاء في شكواهم وتذمرهم ، وذلك يزيد من حالته سوءاً وهذا الأمر مضر بالأطفال أكثر من ضرره بالكبار . ومن المفضل في مثل هذه الحالة أن نقي الطفل من الوقوع فيما يقلقه ويشغل باله .

وهناك بعض الأمور التي تقلق الأهل في هذا المجال ، وهي نسيان

(1) م. سترن ، الزا كاستنديك ، الطفل العاجز ، ص 237 .

الأطفال المصابين بمثل هذه الأمراض لكثير من المعلومات التي سبق لهم واطلعوا عليها في المدارس . وهنا أيضاً يجب مواجهة الأمر بشيء من الصبر والروية ، والاتزان وعدم القلق . فالظاهرة هي الأخرى عادية ، حتى إنه في بعض البلدان المتطورة ، بدأت تقوم فصول خاصة في المدارس ، لإعادة تعليم مثل هؤلاء الأطفال أو إعادة تأهيلهم لمسايرة بقية رفاقهم في الفصل . ولا يجب أن يُنظر إلى هذا الأمر بالتشاؤم ، أو بالعطف الزائد ، لأنه أمر طبيعي وحتمي يحدث عادة في مثل هذه الحالات ، ويمكن مواجهته بموضوعية ، مع تقدم بعض الهوايات وإتاحة الفرص لممارستها .

والحقيقة أن الأهل أيضاً ـ في مثل هذه الحالة ـ هم الذين يحتاجون إلى العلاج النفسي نتيجة لقلقهم وخوفهم الزائد ، وتشاؤمهم ، وارتباكهم في طريقة معاملة الطفل المريض ، وحيرتهم في أمرهم ، بين تركه يقضي فترة النقاهة في المستشفى أم يصطحبونه إلى المنزل توفيراً للجهد والتكاليف ؟!

ولا ضرر في أن يستمع الأهل إلى الأخصائي الاجتماعي أو المرشد النفسي ، ليتزودوا بالنصائح والإرشادات اللازمة التي تساعدهم على كيفية التعامل الواعي والمقنّن مع طفلهم المريض وفي بعض البلدان تقوم دور حضانة للنقاهة ، وُفرت فيها جميع الوسائل اللازمة لتمضية هذه الفترة بإشراف أطباء وممرضات ومرشدين نفسيين وتربويين . وفي ظروف بيئية وسكنية ممتازة ، تساعد على توفير الأجواء الصحية السليمة والصحة النفسية السوية .

* * *

ـ ك ـ

فشل الأطفال

يبدو للمدرسين ، أن الفاشلين من الأطفال هم من اللامتكيفين اجتماعياً وعاطفياً وهم مرضى ، أو ممن يعانون الشذوذ ، ويُخشى أن يصبحوا كذلك فعلاً إذا لم ندرس حالاتهم وأسباب فشلهم ، ونعالجها ، لذلك يجب الإشارة إلى أبرز هذه الأسباب التي تكمن وراء الفشل الدراسي وهي :

1 ـ الأسباب الفسيولوجية (عاهات ، أمراض ، نقص في بعض الحواس) .

2 ـ أسباب عائلية (موت الأم ، أو الأب ، أو الخلاف بين الأبوين ، طلاق ، هجر . . الخ) .

3 ـ ضيق الحال الاقتصادي للأسرة .

4 ـ نتيجة للوراثة ، أو لصدمة في الرأس قد يكون هناك إعاقة عقلية .

5 ـ صعوبة البرامج المدرسية ، وعدم ملاءمة المواد لذهن الطالب وميوله .

6 ـ النقص في جاذبية المعلمين ، وهذا يتمثل في مظهر المعلم أو المعلمة ، وفي صوتهما وحتى في قسمات الوجه ، فإن الأطفال يقرأون فيها ما يشير إلى الرضى والارتياح أو إلى عكس ذلك .

ومن المؤسف أن بعض المدرسين يعتبرون أن نجاحهم في مهنتهم يقاس بعدد طلاب النخبة الذين يدرسونهم ، ولكن الحقيقة تكمن في عدد الحالات الشاذة ، أو المستعصية التي استطاع المدرس حلها وإنقاذها ، وإصلاح شأن

أصحابها من الأطفال وإرشادهم إلى الطريق القويم . ونستذكر قولاً للسيد المسيح «الأصحاء ليسوا بحاجة إلى طبيب ، بل المرضى هم الذين بحاجة إلى طبيب» ، وإن هؤلاء المتكيفين أو الفاشلين ، هم الذين يحتاجون إلى جهود المدرسين وعنايتهم أكثر من سائر رفاقهم الذين يطلق عليهم صفة المجتهدين .

«والمعلم الذي يتوقع الكسل والعناد من تلاميذه ، يردد ذلك باستمرار أمامهم فسيسلك الأطفال من ذوي المعنويات المنخفضة بطريقة يحققون من خلالها هذا التنبؤ»[1] .

هناك مجموعة كبيرة من التلامذة . الذين تركوا الدراسة لاتهامهم بالكسل والفشل قد أظهروا نجاحاً في أعمالهم التي عملوا فيها ، واكتشفوا أن لديهم قدرات هائلة ، ما كانوا يعرفونها عن أنفسهم ، وقد نجحوا لوجود بواعث جديدة أكثر جدية وأكثر أهمية من تلك البواعث المصطنعة والوهمية التي خلقها المعلمون في نفوسهم .

ولكي ينجح الطفل في المدرسة ، لا بد من خلق ما يسمى بدافعية التحصيل ، ويختلف الأطفال في ما بينهم في نسبة هذه الدافعية وشدتها وتوجيهها .

ولوحظ أن الأطفال الذين تنخفض نسبة تحصيلهم عن المستوى المتوقع هم غالباً من الذين لا يجدون في العمل المدرسي عملاً مثاباً ، ولا يظهرون الرضا عن الحياة المدرسية ، ويشكلون اتجاهات سلبية نحو المعلمين ، بالإضافة إلى البيئة المنزلية التي تعتبر من أكثر العوامل الفعالة في تحديد المستوى التحصيلي كالتشجيع وخلق الطموحات ، ومستوى الوالدين التعليمي ، ومهنة الوالد ، ووسائل الترفيه المتوفرة للطفل في البيت .

وأكثر ما يبدو التحصيل المدرسي المنخفض في الأسر الفقيرة عديدة

(1) مارتين هربرت ، مشكلات الطفولة ، ص 482 .

الأطفال والأسر ذات المستوى التعليمي الضعيف ، حيث يتسم الأبوان فيها بالشعور بالهم والتعب أو تكون الأم من العاملات خارج المنزل ، أضف إلى ذلك ضيق المسكن .

وقد يكون الفشل نتيجة الضغط المفرط على الطفل من أجل الحصول على النجاح ونتيجة لهذا التوتر بينه وبين والديه ، يكون ضعف التحصيل الدراسي ، حيث يلجأ للتعويض عن هذا الحب المفقود بإقامة علاقات مع جماعة الأقران وغالباً ما يكونون من الغامضين أو الفوضويين ، فينجذب إليهم على حساب إهمال دراسته .

وبسبب القمع المتبع من قبل بعض المعلمين ، فإن هذا النمط من الأطفال قليلي التحصيل يزدادون إصراراً على العمل ضد عملية التعليم ، وكثيراً ما يشعرون بنشوة النصر إذا ما أحسوا بأنهم استطاعوا أن يهربوا من قصاص أو أن يمرروا عملية غش أو القيام ببعض الأعمال الصبيانية ، دون أن تنالهم يد المعلم ، وتصبح المشاكسة هدفاً بحد ذاته عند هؤلاء الأطفال حتى يتحولوا إلى محترفين لها .

بالمقابل فإنه في دراسة قامت بها عالمة النفس الأميركية (فرجينيا جيراندول) على الأطفال ذوي التحصيل الجيد فوجدت «أنهم لا يعتمدون في تحصيلهم كثيراً على الراشدين . فهم قادرون على العمل دون إثابة ، يميلون إلى المبادرة ، يضبطون انفعالاتهم ويعتمدون على أنفسهم»[1] . بعض الأطفال يفشلون نتيجة الخوف من الفشل .

وأشار (روبرت برني) إلى التناقض الذي ينشأ عندما يؤكد المجتمع على التحصيل «فالثواب والوضع التعليمي الجديران ببذل الجهد لا يجذبان إلاّ عدداً ضئيلاً من الأفراد»[2] .

---

(1) مارتين هربرت ، مشكلات الطفولة ، ص 487 .

(2) المرجع نفسه ، ص 488 .

الفصل الثالث

العدوانية والجنوح عند الأطفال

- النزعة العدوانية عامة
ب - العدوانية عند الأطفال
ج - التمرد على السلطتين الأبوية والمدرسية
د - الغضب
هـ - السلوك المنحرف
و - شخصية المنحرف
ز - علاج الانحراف
ح - الجنوح - مفهوم الجنوح بوجه عام ، ثم عند الأحداث
ط - العلاج عن طريق اللعب

ـ أ ـ

النزعة العدوانية

تختلف تعاريف العلماء لهذه النزعة ، بحيث ينظر إليها كل منهم من وجهة نظره الفلسفية . ففي حين يراها (أدلر) بأنها التعبير عن إرادة القوة فإن (فرويد) يراها سلوكاً واعياً ناتجاً عن غريزة الموت ، وقد افترض فرويد وجود هذه الغريزية ، وجعلها مسؤولة عن الحرب والتدمير بالإضافة إلى السلوك العدواني(*) . «أما (فيليب هاريمان) فيشير إلى أن السلوك العدواني هو سلوك تعويضي عن الإحباط المستمر ، وهو السلوك الذي يقصد به إيذاء شخص آخر أو جرحه بما يتناسب مع كثافة الإحباط ، إذ كلما زاد إحباط الفرد كلما زاد عدوانه . أما (هلجارد) فيرى أن العدوان نشاط هدام ، ويقوم به الفرد لإلحاق الأذى بالآخرين ، سواء بطريق الاستهزاء والسخرية والهجاء أو بإحداث الأذى والألم الجسدي ، أما (أنطوني ستور) فيرى بأن الإنسان هو أكثر الأجناس تدميراً لبني جنسه وأكثرها حباً واستمتاعاً بممارسة القوة مع بني جنسه»[1] . وما مظاهر العنف والوحشية التي نسمع ونقرأ عنها سوى الدليل الثابت على ذلك .

والعدوانية على عدة أنواع : فهناك العدوان المباشرة الذي يوجه إلى الشخص الذي سبب لنا الإحباط ، وهناك العدوان المزاح أو المستبدل ، وفيه

(*) انظر (فرويد) تأليف ادغار بيتش ، ترجمة تيسير شيخ الأرض .

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 359 .

يوجه العدوان إلى شخص آخر ، هو غير الشخص الذي سبب لنا الأذى أو الفشل ، وخاصة إذا كان الشخص الأساسي زكياً . فالموظف الذي لا يستطيع التعبير عن غيظه في وجه رئيسه لأسباب وظيفية وقانونية ، فإنه يكبت هذا الغيظ حتى إذا ما أساءه ابنه أو زوجته ، أفرغ ذلك الغضب على طريقه (فش الخلق) أو (كبش الفداء) .

وقد يكون العداء صريحاً أو خفياً أو مقنَّعاً ، فقد يستخدم منهجاً لتصريف الانفعال لإيجاد منفذ أو مخرج للعداوة المكبوتة ولإزالة السلبية .

وغالباً ما تطرح التساؤلات عند إثارة هذا الموضوع وهي : هل الإنسان خيرٌ أم شرير ؟ وهذا مبحث قديم ، للدين رأي جوهري فيه ، وللعلماء آراؤهم والأقرب إلى الحقيقة هو أن الإنسان يولد ولديه النزعات الخيرة والشريرة ، كما في منطوق الآية الكريمة **﴿ونفسٍ وما سوَّاها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكَّاها ، وقد خاب مَن دسَّاها﴾**[1] . ولكن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأسرية تلعب دوراً في تشكيل الواحدة منها على حساب الأخرى . والإنسان ليس خيراً صرفاً ، ولا شريراً صرفاً ، ومن أجل ذلك يعود (ستور) ليرى أن تعريف العدوان هو عملية صعبة .

وكلمة عدوان تتخذ معانٍ كثيرة ، ومن أجل ذلك فإن تعريفها يعتبر أمراً صعباً . ولا يوجد حدٌ فاصل في استعمال (لفظة) العدوان في مواقع مختلفة . فالعدوان عمل بطولي إذا تمثل بقتال لمصلحة الوطن وصد الأعداء ، وهو مذموم ومستنكر ، إذ توجه نحو قتل الأبرياء ، والعدوان على السلطة تخريب وإجرام في نظر المسؤولين المعتدى عليهم على رأس هذه السلطة ، وهو عمل رائع وتحريري في نظر الشعب الذي يتوق إلى إزالة السلطة الحاكمة والخلاص منها .

---

(1) القرآن الكريم ، سورة الشمس ، الآيات (7-10) .

وهكذا ترتدي اللفظة رداء المفاهيم السياسية والأيديولوجية التي تكتنفها والتي تسود المناطق التي تحدث فيها .

ويلاحظ (ستور) أننا حتى في كتاباتنا نشير بطريقة لا شعورية إلى بعض معاني العدوانية ، ونستخدم كثيراً من ألفاظها ، فنحن نقول مثلاً : (نحن نهاجم المشكلة ، أو نعمل أنيابنا فيها ، أو نناضل للتغلب على الصعوبات ، ونذلل الصعوبات ، وتقهرها) وهذه ألفاظ تدل جميعها على خلفية عدوانية .

والعدوانية تكتسب حسب رأي ستور هنا بُعداً فلسفياً جديداً ، إذ لم تعد للحماية من الهجوم الخارجي ، بل لكل الإنجازات العقلية والحصول على الاستقلال وقصص التاريخ حافلة بهذه المعاني ، وهذا مصدر عزة وافتخار لا يمكن تجاهله أو إهماله .

والحقيقة فإن نفس النزعة التي مكّنت الإنسان من قهر مصاعب الحياة ، والتغلب على عوامل الطبيعة ، والوصول بالمجتمعات إلى هذه الحالة الحضارية الراقية ، ستكون هي نفسها ، وبعد اكتشاف الأسلحة النووية مصدر خراب الكون وفنائه .

ومن هنا فإن مسألة العدوانية كمفهوم خرجت من حيز المعامل النفسية ،حيث يقوم علماء النفس بتحديدها وتشريحها ، متقصين جذورها النفسية والتربوية والاجتماعية ، فقد خرجت هذه اللفظة إلى الميدان الواسع والشامل ، حيث باتت تنطوي على مضامين اجتماعية وسياسية متنوعة ومتفرعة ومتغيرة بشكل دائم ، ولم يعد بالإمكان فصل انفعال العدوان عن الحياة الواقعية اليومية .

وبعض العلماء أصبح ينظر إلى العدوانية كضرورة نفسية لا بد منها حتى «الطفل السوي فهو في حاجة إلى أن يُظهر بعض مظاهر العدوان تجاه الكبار والصغار ، والطفل الذي لم يتشاجر في حياته مع أحد ، فلا بد وأنه عاجز عن

إقامة علاقات واتصالات مع غيره»[1] . وبعض ما نفسره بالعدوانية في سلوك الأطفال ، قد لا يكون كذلك . فما نطلق عليه عملية التخريب المتمثلة بتحطيم الطفل للعبته ، فهذا ليس تخريباً ، إنه يحطمها حتى يعلم ما بداخلها أو ماذا يحركها ، أو مما صنعت ؟ ويريد أن يقوم بتجربة بدائية على طريقته ـ بدافع الفضول العلمي الفطري لمعرفة حقيقتها . وعلينا أن نؤمِّن نحن المربين للطفل المجالات للاكتشاف وإشباع الفضول العلمي هذا بطريقة تربوية منظمة ، وخلق أجواء النشاطات الكافية لامتصاص طاقته الحركية ، واحتواء المظاهر العدوانية .

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 51 .

ـ ب ـ

العدوانية عند الأطفال

يشيع عدوان الأطفال في السنة الثالثة أو الرابعة من العمر ، ويوجه ضد شخص بالذات ولأسباب عدة منها ، حب التملك أو الرغبة في إظهار القوة والسيطرة ، أو بدافع المنافسة وأحياناً بسبب الشعور بالنقص «وقد يعوض الطفل هذا النقص بأن يتوهم نفسه متفوقاً على غيره ، وهذا الشعور يقلل من قدرته على التكيف مع غيره تكيفاً ودياً فيقف منهم موقفاً عدائياً»[1] .

وقد يكون القلق هو السبب في العدوان ، حيث يكون الطفل في هذه الحالة سريع الاستثارة .

ومن أنواع العدوان الشائعة عند الأطفال ، العدوان الجمعي ، حيث يأتلف مجموعة منهم في عصابة ضد طفل غريب ، لإبعاده والاعتداء عليه ، (ويتآمر) الأطفال على الكبار ، ويفسر بعضهم ذلك بأنه «تآمر رعية مستضعفة ، على سلطة غاشمة»[2] . ويتمثل ذلك بتكسير بعض الحاجيات أو سرقة الأشياء المحرمة . وهناك تعبيرات لا شعورية عن العدوان تظهر في ألعاب الأطفال الذين يحملون العصي ويخالونها بنادق حربية فيطلقون النار (الوهمية) على بعضهم قائلين (مات. . . قتل) والولد الآخر يتظاهر بالفعل بذلك وتفرح

(1) د. عبد المنعم المليجي ، د. حلمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 231 .

(2) المرجع نفسه ، ص 232 .

الجماعة بانتصارها . وبذلك تكشف هذه الألعاب الجماعية عن المكبوتات العدوانية اللا واعية ، وتوجه الجماعة من الأطفال عدوانها نحو أحد أفرادها المستضعفين ، فأي طفل تظهر عليه علامات الضعف والاستكانة يكون هدفاً للآخرين من رفاقه . وتختلط وسائل التعبير عن العدوان ، حتى ليصعب التمييز ، بين ما هو منافسة وبين ما هو حب السيطرة .

ولا يمكن التمييز أيضاً بين العدوان الجمعي ، والعدوان الفردي ، فغالباً ما يكون العدوان الفردي هو النواة للعدوان الجمعي . ومن الصعب أن نلحظ العدوان الجمعي ، لأن جماعة الأطفال غير متماسكة وسرعان ما تتفكك ، والملفت في عدوانية الأطفال أن الأمر يبدأ عدواناً وينتهي بالصداقة .

«والعلاج أن نقف من الطفل ، موقف التفاهم الودي الهادىء ، وقبل أن نمنعه من عمل شيء علينا أن نهيىء له عملاً إيجابياً يحل محله»[1] ومحاولة الإرشاد الإيجابي هي أفضل من الأوامر والنواهي السلبية للأطفال مثال ذلك : بدلاً من أن نقول للطفل : لا تفعل كذا ، إياك أن تفعل هذا الأمر ، لا تقترب من هذه الحاجة. . ابتعد عن تلك فالأفضل أن تقول له : «من المستحسن أن تفعل كذا. . تعال وافعل كذا. . . جميل أن يكون لديك كذا. . . » .

ولنعلم أيضاً أن الطفل يبذل جهداً كبيراً في مقاومة المكبوتات ليمنعها من الظهور وهذه الطاقة المبذولة ، من قبل الطفل لمنع المكبوتات يمكن الاستفادة منها بتصريف النشاط ، والعمل على تلافي وجود المكبوتات ، فنريح الطفل من جانبين في آن واحد ونريحه من تلك الحرب المحتدمة بينه وبين نفسه .

وحري بنا أن نساعد الطفل في كيفية ممارسة ما يستشعره من ميول عدوانية ، تخيفه وتشقيه ووضعها في الأطر السليمة ، وتبدأ عند الطفل عملية التوازن بين الأنا العليا والأنا السفلى ، وذلك هو النضج الانفعالي والاتزان

(1) د. عبد المنعم المليجي ، د. حلمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 326 .

العاطفي ، وكل منهما ضروري لسلامة شخصية الطفل ولصحته النفسية .

وينهي الآباء أطفالهم عن العدوانية ، ويدعونهم إلى المسالمة ، والأخذ بالرفق والعطف ومن ناحية ثانية يطلبون إليهم ألا يكونوا خانعين ، فالحياة للقوي ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ .

والعدوانية مرفوضة وممقوتة إذا كانت جسدية ، ومكشوفة ، وعلنية ، ومقبولة إذا كانت عند هؤلاء الأهل ضمنية ومعنوية ، حيث يطلق عليها ألفاظ (تنافس ، طموح ، شطارة) أو نطلق عليها الروح الرياضية إذا تمثلت في الألعاب الرياضية أو التنافس العلمي .

والسلوك العدواني عند الأطفال ، سلوك غير متكيف ، ومن الصعب تحديد العمر الذي تبدأ فيه النزعات العدوانية في الظهور عند الأطفال ـ حسب رأي بعض المربين ـ لكن لوحظ أن الطفل الرضيع يستخدم كل وسيلة للتعبير عنها . بالبكاء ، أو الصراخ ، أو الرفس ، أو ما شابه ذلك من الحركات العشوانية ذات الدلالة العدوانية .

ومع الزمن ونتيجة التربية والتدريب يكتسب بعض الضوابط التي تحد من هذه العدوانية .

ومن التفسيرات العديدة التي وضعت للعدوان عند الطفل :

أ ـ إن الإحباط ينشأ عنه العدوان .

ب ـ لما كان الطفل يتقمص شخصية والده ، ويتوحد فيها ، فقد يقلده في عدوانيته .

ج ـ التسامح الشديد من قبل الوالدين إزاء الاتجاهات العدوانية . من شأنه أن يزيدها وينميها .

كذلك لا يمكن إغفال الأوضاع الأسرية والاجتماعية والبيئية بشكل عام

في هذا الموضوع . ويذهب (دايموند) إلى القول بوجود تأثيرات وراثية عضوية في السلوك العدواني ، ولكنه رغم ذلك لم يُنكر تأثير الخبرة والتعلم .

وربط علماء آخرون هذه المسألة بموضوع المكافأة والجزاء على العدوان ، فمن كوفيء من الأطفال على عدوانه اتخذ من العدوانية منهجاً ، وإن عوقب كفَّ وارعوى واستكان . كما لا نستطيع تجاهل العدوانية عند الأطفال الموجهة إلى توكيد الذات فالوراثة تعطي الاستعدادات وتأتي الظروف البيئية لتؤكدها أو تكبتها أو تلغيها نهائياً . ويرى كثيرون من العلماء «أن الإحباط دائماً يقود إلى العدوان ، وأن العدوان دائماً هو النتيجة الحتمية الطبيعية للإحباط»[1] . غير أنهم يرون في الوقت عينه أن التدريب هو الذي يمنعه من الظهور .

والطفل يشعر بلذة إذا ما قام بعمل عدواني ، وهذه اللذة هي شعور طبيعي بالانتصار أو بتحقيق التفوق على الآخرين ، أو على المجتمع ، وبعد ذلك ينال قصاصاً من الأب أو من المدرس فيشعر بالإحباط ، إذ أن اللذة التي جناها أثناء العدوان قد أُجهضت واستبدلت بالألم النفسي والجسدي ، وفي أعقاب هذا الإحباط تستثار العدوانية من جديد ، فيعبر عنها بعض الأطفال مباشرة ، فالطفل الذي يقاصص بسبب عدوانه على أحد أخوته ، يصاب بالإحباط ، مما يدفعه إلى معاودة الكرَّة ، وبطريقة انتقامية ، وعلى طريقة العدوان المزاح ينهال على أخيه بالضرب بشكل أقسى مما كان عليه في المرة الأولى ، فالنقمة على مُسبب الإحباط ، وهو الأب تتمثل عدواناً مُزاحاً على الأخ المعتدى عليه .

بالإضافة إلى ذلك ، ونتيجة لتقمص الطفل لشخصية والده ، فإذا ما اعتمد هذا الوالد الوسائل العدوانية المباشرة أو المزاحة ، فإن الطفل يقلده في

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 364 .

ذلك . والأب في المنزل هو مصدر الكثير من الإحباطات ، بالنسبة للأطفال ، وذلك بالنظر لموقعه «والأطفال الأكثر توحداً أو تقمصاً لشخصية الآباء أظهروا نسبة كبيرة من العدوان في أثناء اللعب بالدمى وهذا ما كشفت عنه إحدى الدراسات التي أجريت بهذا الشأن»[1] . كما ثبت أن تأثير الأب في النزعة العدوانية عند الأطفال هو أكثر من تأثير الأم ثم إن السلوك العدواني في الطبقات الدنيا هو أكثر منه في الطبقات الوسطى والعليا ، وتبين في نفس الوقت ، أنه كلما تعرض الطفل لمواقف عدوانية ، كلما زاد إظهاره لمثل هذا السلوك ، والكبار هم دائماً المُثل والقدوة بالنسبة للطفل .

وثبت أيضاً أن التسامح يغذي العدوان ولا يزيله ، فبنتيجة الدراسة المنوه عنها تبين أن الطفل بمقدار ما يشعر أنه سيسامح من قبل الأهل والمدرسين ، بمقدار ما ينزع إلى العدوان ، والعكس يمكن أن يقال في موضوع العقاب ، والأكثر من ذلك هو أن الطفل يعتبر أن التسامح معه ، هو نوع من الموافقة الضمنية على العدوان ، كما ظهر في الوقت عينه أن هناك علاقة بين العدوان ونمط الشخص مؤداها «أن الشخص المنبسط أكثر عدواناً من الشخص المنطوي ، المنسحب»[2] .

وفي هذه الدراسات ذاتها ثبت أن الأطفال الذكور ، أكثر عدوانية من الإناث ، ويرى بعض الباحثين ، أن السبب في ذلك ، ليس للتركيب البيولوجي أو البيئي ، بل يعزون ذلك إلى أن الكبار يشجعون العدوان ويعززونه عند الذكور ، أكثر مما يسمحون به عند الإناث ، ليس لأن ذلك يتنافى مع الطبيعة الأنثوية وحسب ، بل لأن الطبيعة الذكرية حسب المفهوم الثقافي والأنتروبولوجي لكثير من المجتمعات يجب أن تتميز بالسلطة والقوة

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 366 .
(2) المرجع نفسه ، ص 367 .

والعدوانية . من أجل ذلك يسمح بالعدوان للذكور ولا يسمح به للإناث» .

ولوحظ بالإضافة إلى ذلك أن شجار البنات أو عدوانهن يكون لفظياً ، كلامياً ، ويدور حول موضوعات مجردة (عتاب ، غيرة ، تفاخر) بينما يكون عدوان الذكور فيزيقياً ويدور حول الملكية وانتزاعها ، والقيادة ، ومخالفة تعاليمها ، أو خرقها .

والعدوان من أية جهة جاء يحول دون قيام العلاقات الاجتماعية الحميمة بين المعتدي وسائر المحيطين به ؛ والعدوان الزائد دليل على وجود سوء التكيف ، وعلى عجز الطفل عن اكتساب أساليب التوافق مع البيئة ، أو أنه لا يمتلك وسائل أخرى للتعبير عن ذاته بغير السلوك العدواني . ويلعب التعزيز دوراً هاماً في تأكيد العدوان وترسيخه . فالطفل الذي يعبث بدمية آخيه ويحطمها ، ولا يحاسب أو يقاصص ، فإن الطفل المعتدي يسعى لاصطياد ضحية أخرى ، أو أنه يعيد العدوان ذاته وبشكل أكثر إيلاماً . لذلك فمن الضروري تأديب الطفل وتوجيهه للقضاء على الشعور العدواني ، وجعل الطفل اجتماعياً يتعلم الأخذ والعطاء ، ويتعلق بالقيم وإن كان ذلك بشكل مجرد في أول الأمر ، لأن الطفل يميل إلى المحسوس في بداية طفولته ذلك لأن التجريد مرحلة راقية ، لاحقة في التفكير الإنساني ، لا يمكن للطفل استيعابها بالشكل الصحيح في وقت مبكر من الطفولة ، لكن يمكن لهذه المفاهيم أن تنمو مع نمو الطفل ليدرك معناها في ما بعد . ونحن إذ نشدد على هذه المسألة وعدم إهمالها أو تأجيلها فذلك لأثرها على تلطيف وتخفيف النزعات العدوانية .

والعقاب ضروري للتأكيد على ثبات القيم المعينة ، لكن على ألا يكون قاسياً ، فتكون النتائج سلبية تماماً . والأفضل هو اعتماد القصاص المتوسط والابتعاد عن أسلوب التذبذب بين اللين والقسوة في معاملة الأطفال ، لأن التأديب الصارم يجعل الطفل يختزن المشاعر العدوانية ليوجهها ضد الغير ، وكذلك فاللين الزائد والتآهل ، يشجع المبكوتات العدوانية على الظهور

بأشكال وأنماط سلوكية مختلفة ، لذلك يفضل الأسلوب الثابت المتوسط في القصاص .

«والطفل الذي يواجه القسوة والعدوان من الآباء ، لكنه يجدهم أقوياء ، فلا يستطيع أن يرد ، فيلجأ إلى البحث عن ضحية ضعيفة خارج المنزل ويمارس عليها عدوانه»[1] «والطفل عنيد وهو يريد كل شيء ، ومن الكل ، ولا سيما من والديه ، وهو معارض ، وكلمة (لا) هي عادية بالنسبة له ، يظهرها في غضبه ، وسلوكه ، وفي رفضه الكثير من الأمور»[2] .

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 370 .

(2) André Beley. L'enfant instable, p. 34

– ج –
التمرد على السلطتين الأبوية والمدرسية

التمرد على السلطة الوالدية ، نزعة طبيعية ، وإن كانت مغلفة بالطاعة والاحترام والخضوع ، وطبيعة الصراع بين الأجيال وتعارض قيم الأبناء مع قيم الآباء ، موجودة في جميع المجتمعات ، وإن كانت مجتمعاتنا الشرقية لا تزال تحتفظ بقدر كبير من احترام الأبناء للآباء ، والخضوع والانقياد لهم . لكن ومن الوجهة السيكولوجية فإنه قلما يوافق الأبناء على كل ما يطلب إليهم من قبل آبائهم . فهم لهم آراؤهم في المأكل والمشرب والملبس ، والنظرة إلى الحياة وإلى المجتمع .

وطبيعة المحبة الموجهة للوالدين ، تتغير بتغير مرحلة العمر . فهي عند الطفل الصغير ، انقياد أعمى للوالدين ، لأن يفتقر إلى معونتهما في كل أموره ، في حين يشعر المراهق بقدرته على الاعتماد على نفسه ، ويسعى لتحقيق ذاته ، ويُطالب أن تقدر هذه (الذات) وتحترم من قبل الكبار ، فهو قد أصبح واحداً منهم ولم يعد طفلاً . وحبه لوالديه قد تغير عن ذلك الحب الذي يكنه الأطفال لهم «فلم يعد الأب ذلك الكائن المطلق الذي لا يعجزه شيء ولا يدانيه أحد في قدرته ، بل هو في نظر الطفل إنسان كغيره من الآدميين قابل للنقد غير معصوم عن الخطأ ، وتتبدى نقائصه التي كان يخفيها شعور الطفل بقدسيته»[1] .

* * *

(1) د. عبد المنعم المليجي . د. حلمي المليجي . النمو النفسي ، ص 322 .

أما السلطة المدرسية فتعتبر امتداداً لسلطة الأسرة ، لكنها تعتبر أكثر شدة على حياة الطفل نظراً لما فيها من لوائح وقوانين وأنظمة تفرض عليه ، ولا مجال للتساهل فيها من قريب أو بعيد ، فهي تضع حدوداً لحريته التي كان يمارسها في داخل الأسرة .

ويثور الطفل لأمور يراها المدرسون تافهة ، لكنه ينظر إليها على أنها ضوابط مبالغ بها ، فيتمرد على هذه السلطة المدرسية ، ويبدو ذلك بإهماله لبعض الواجبات المدرسية ، أو الهرب من المدرسة وينضم إلى جماعة الأطفال الآخرين ليشكلون عصبة ، يعتمدون العدوان الجماعي على تجهيزات المدرسة أو الخروج على أوامر المدرسين والنظّار . وما المشكلات القائمة التي نشاهدها بين الحين والآخر بين التلامذة والمدرسين سوى الدليل على حركة التمرد التي تعود إلى النزعة العدوانية ، حتى إن بعض التلامذة من مختلف الأعمار يعبرون صراحة عن مشاكستهم للمدرسين لأسباب لا يرونها جوهرية ، ولكنهم يشعرون أنهم مسوقين إليها على غير إرادة منهم ، وغالباً ما يتم هذا الاعتراف في أوقات لاحقة ، بعد انقضاء الدراسة ، حيث تصبح هذه الأحداث عبارة عن ذكرى لأيام الدراسة .

ـ د ـ

الغضب

لا ينفك الأهل والمدرسون يتساءلون عن الأسباب التي تثير غضب أطفالهم . هذه الظاهرة الانفعالية ، التي تنشأ بسرعة ، ثم تزول بسرعة ، ولكن بعد حصول المشكلة والوقوع في الخطأ أو الذنب .

ولقد أجريت الأبحاث والدراسات حول هذا الموضوع . أبرز هذه الدراسات قام بها أحد المربين المصريين حول الأسباب الكامنة وراء غضب الأطفال في مرحلة التعلم الابتدائي وكانت هذه الدراسة بمثابة استفتاء للرأي ، وكانت حصيلة آراء المدرسين حول هذا الموضوع هي التالية(*) :

1 ـ التدخل في نشاط الطفل في الوقت الذي يكون فيه منسجماً مع نشاطه أو لعبه ، أو تكليفه بما هو فوق طاقته .

2 ـ تمييز غيره عليه .

3 ـ انفعال المدرس الشديد ، والحركات الهستيرية التي يقوم بها خلال حصص التدريس .

4 ـ عدم وجود نظم ثابتة في المدرسة ، يسير عليها التلميذ ، بل يجد دائماً تقلباً في إقرار وإلغاء القوانين المدرسية .

(*) لمزيد من التفاصيل . أنظر الإرشاد النفسي ، د. عبد الرحمٰن العيسوي ، ص 51-60 .

5 ـ مظاهر الغيرة والفشل .

6 ـ حالات الحرمان ، والحالات المرضية المتنوعة .

ويجب التذكير بمبدأ الفروق الفردية في هذا المجال فما يثير طفلاً قد لا يثير طفلاً آخر .

وترى العالمة (جودانف) «أن الأطفال الصغار تكون لديهم استجابات غضبية بطريقة مباشرة وبدائية ، وبتقدمهم في العمر تصبح هذه الاستجابات أقل عنفاً وأكثر رمزية فالطفل حتى في الشهر الخامس يُعبر عن غضبه برمي الأشياء ، وفي الشهر الثامن عشر يلقي الأطفال بأنفسهم إلى الأرض احتجاجاً وتعبيراً عن الغضب ، ويضربون الأشياء أو يركلونها أو يتصارعون تعبيراً عن غضبهم»(1) .

وتشير الباحثة إلى أن هذه المشاعر الغضبية وأساليب التعبير عنها تتطور مع تطور الطفل ، حتى تصل إلى حد الاستهزاء بالآخرين ، والشتيمة والصفع والضرب ، فالتخريب العدواني إذا لم يضبط بأساليب تربوية معينة ، ويتم التوجيه النفسي السليم فإن ذلك يؤدي إلى الانحراف .

والتعبير عن الغضب عند الأطفال يظهر بأسلوبين مختلفين ، الأول سلبي والثاني إيجابي . فالأسلوب الإيجابي يظهر على شكل صراخ أو ضرب أو إتلاف أو معارضة شديدة ، ورفض وتمرد على أوامر الأهل ، أما الأسلوب السلبي ، فهو أسلوب الانطوائيين ، فيتمثل بالعزلة وكبت الانفعالات الغضبية ، والبكاء الحزين أحياناً ، وهذا الأسلوب خطير وضار يؤدي إلى مزيد من المكبوتات التي تستقر في دائرة اللاوعي وتظهر آثارها في سلوكيات شاذة ومنحرفة في مراحل لاحقة .

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 56 .

ـ هـ ـ

السلوك المنحرف

السلوك المنحرف هو السلوك المضاد للمجتمع ، ويخرق القانون المتعارف عليه في ذلك المجتمع ، وبالتالي ، فإنه يستحق العقاب ، لغايتين ، لردع المخالف أولاً ، وحماية الآخرين من المتضررين ثانية . هذا هو المفهوم العام للسلوك المنحرف ، والذي يعتمد بالنسبة للكبار لكنه بالنسبة للأطفال يرتدي طابعاً أكثر شفافية وأكثر دقة ، فالذي يهرب من البيت أو من المدرسة ، أو يجرح أخلاق الناس ، أو يؤذي صحته ، أو صحة الآخرين ، فإنه يعتبر طفلاً منحرفاً ، ومفاهيم الانحراف تختلف بين مجتمع وآخر ، وتحديدها يتم وفق قوانين خاصة بكل بلد .

وتتجه الحكومات الحديثة ، بتأثير من التربية الحديثة إلى اعتبار السجون والإصلاحيات بمثابة مدارس يتعلم فيها الأطفال مختلف أنواع العلوم والنشاطات ، .ويعاد تأهيلهم ليدخلوا المجتمع من جديد ، ويساهموا في بنائه ويتفاعلوا من جديد مع الآخرين بطريقة سوية سليمة .

ولقد تغيرت النظرة إلى المنحرف ، فبعد أن كان يُنظر إليه على أنه متخلف عقلياً فقد تبدلت هذه النظرة ، بعد أن أثبتت الدراسات بأن التخلف العقلي ليس هو السبب الدائم في الجنوح ، وقد وُجد بأن نسبة لا بأس بها من المنحرفين يتميزون بدرجة هامة من الذكاء تفوق المتوسط ، ولوحظ أيضاً أن

ضعف تكيف الطفل مع الوسطين الدراسي والاجتماعي ، هو الذي يؤدي به إلى الجنوح . أما بالنسبة لضعاف العقول من الجانحين فقد تبين أن هؤلاء يرتكبون مخالفاتهم وانحرافاتهم عن غير قصد ، وهم يقعون ضحايا سوء التقدير . فهم لا يقدرون تماماً النتائج المترتبة على أعمالهم ، ومعظم الانحرافات التي يرتكبونها تتلخص في السرقة والتخريب ، والهروب من المدرسة .

ولقد شغلت مسألة الجنوح (وخاصة عند الأطفال) الحكومات والمهتمين بالأمور التربوية والمنظمات العالمية ، فقد أوصت منظمة الصحة العالمية بوضع برامج تربوية وعملية لهؤلاء قبل السجن ، وأثنائه ، مع النظر الطبي الدقيق في أمر هؤلاء الأطفال ومعالجتهم بدقة «وفي الولايات المتحدة الأميركية وبحسب إحصائياتها يمثل أمام المحاكم أكثر من 750 ألف طفل سنوياً بتهمة الجنوح»[1] . بحيث ينتج عن ذلك من التكاليف والخسائر وبحسب الإحصائيات نفسها نحو أربعة مليارات من الدولارات سنوياً ، وهذه النسبة تزداد سنة فسنة وترجع أسباب هذه الزيادة كما يرى المحللون إلى ضعف الرقابة الأسرية ، أو بسبب عمل الأم خارج المنزل .

وفي دراسة خاصة لهذه الظاهرة ، أثبت التحليل النفسي أن مرحلة الطفولة الأولى هي المسؤولة دائماً عن ظاهرة التطرف والانحراف ، التي تظهر على المرء في المراحل الأخرى من العمر .

ويمكن أن نوجز هذه الأسباب بما يلي :

1 ـ التربية الأسرية ، غير السليمة ، والناتجة عن الصراع والخصومات بين الأبوين ، ولقد ازداد تفسخ الحياة الأسرية بعد خروج المرأة إلى العمل ومساواتها بالرجل . وتضارب الصلاحيات التربوية والبيتية والاجتماعية ، فبدأ الطفل الذي عُهد به إلى الخادمات يدفع ثمن هذا الانفتاح والرفاه الاقتصادي

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 326 .

الذي تحقق بفعل ارتفاع دخل الأسرة .

2 ـ الأجواء المدرسية : حين عهد المجتمع إلى المدرسة لكي تقوم بالنيابة عنه بتعليم الأطفال ومتابعة ذلك طيلة المراحل ، كان يعهد إليها بتربية هؤلاء الأطفال وتنميتهم أخلاقياً واجتماعياً ونفسياً وتأهيلهم لدخول المجتمع والمساهمة في إنمائه وتقدمه ، بفكر حر ، وعقل متفتح واع ، وإرادة قوية ، وشخصية سليمة ، خالية من الاضطرابات .

لكن وبكل أسف ، فقد اقتصر دور المدرسة في غالب الأحيان على التعليم دون الاهتمام بالنواحي الأخرى، وساعد على هذا التقصير، نقص المدرسين ، أو عدم تأهيلهم تأهيلاً جيداً وندرة وجود النشاطات اللاصفية ، وتردي أوضاع البناء المدرسي ، وانصراف المدرسين إلى العمل خارج الإطار المدرسي بسبب نقص أجورهم أو لرغبتهم في زيادة مداخيلهم عن طريق إعطاء الدروس الخصوصية خارج مدارسهم ، لذلك فقد أهمل التلامذة مما جعل ظاهرة الانحراف والتطرف تشق طريقها وسط هذا الفراغ إلى صفوف التلامذة ومن المعروف أن الجريمة أو الجنوح ، يعشش حيث الأرض الخصبة ، وحيث الفراغ .

يضاف إلى ذلك طرق التدريس التقليدية التي ما زالت معتمدة في المدارس ، وهزال المكتبات أو ندرتها . كل ذلك يُضعف من دور المدرسة في وقاية التلامذة من الانحراف أضف إلى ذلك أيضاً نظام الامتحانات العقيم ، والدور التسلطي الذي تلعبه الإدارة المدرسية . كل ذلك يشكل تأثيراً خطيراً على جنوح الأطفال .

ويستمر الأمر كذلك ـ وبشكل مأساوي ـ حتى الجامعة ، حيث يُقبل الطالب على أساس درجاته التي حصل عليها دون أية دراسة لملفه الشخصي (سلوكه ، سيرته ، قدراته ، هواياته) فمعظم الطلاب الذين يدرسون في مختلف

الفروع هم شبه مجبورين على ذلك وهم غير مقتنعين بهذا الاختيار . وهم يعترفون صراحة لدى سؤالك لهم عن سبب اختيارهم لهذا الفرع من الدراسة فيجيبون : أنها الظروف . ونتيجة لعدم التكيف هذا ، والذي هو مقدمة لعدم التكيف الاجتماعي بشكل عام ، يصاب التلامذة بالإحباط والانسحاب ، ويجنحون .

3 ـ حملة الشهادات وأزمة العمل : هناك أزمة متفاقمة في معظم الدول النامية ، ونحن منها ، وهي أزمة بطالة المثقفين ، الذين يتخرجون من الجامعة ، ثم لا يجدون فرص العمل فيصدمون أمام هذا الواقع ، ويُجهض الحلم الذي كان يراود مخيلتهم بأن الشهادة الجامعية ستحقق لهم المكانة المادية والمعنوية ، وتبدأ المأساة الرهيبة التي تقود الشباب إلى الرفض والسلبية والتمرد ، والمناداة بمعارضة السلطة فما حال الأطفال أمام هذا الواقع ؟ إن أطفالنا في المدارس ينظرون ويراقبون ويستنتجون بأن مصيراً مشابهاً ينتظرهم فتتضاءل دافعيتهم وقابليتهم للإقبال على العلم ، أو قد يجنحون ، إلاّ إذا زودوا بقدر هائل وثابت من القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تحصنهم ضد الوقوع في براثن الانحراف والجريمة .

هذه الصورة القاتمة للواقع يراها الأطفال من بعيد ، ويشعرون أنهم قادمون إليها مما يجعل الكثيرين منهم يتهربون من تجرع (هذا الكأس المر) حسب تعبيرهم فيتركوا المدرسة قبل إتمام تعلمهم بقصد القيام بعمل آخر ، ومع ضعف الرقابة الأسرية ينحرفون عن الطريق القويم .

4 ـ وتلعب النظم السياسية والاجتماعية دوراً هاماً في حدوث هذه الظاهرة ، فإبعاد الشباب عن التعبير عن آرائهم والمشاركة في صنع القرار المصيري ، والنقد السياسي البنّاء تجعلهم يحجمون عن المشاركة ، فيتحولون إلى حالة العداء للمجتمع ، من أجل ذلك يجب أن نبدأ وفي سن مبكرة في خلق مناخات سياسية واجتماعية ليقوم الأطفال بالتعبير عما في صدورهم وأخذ

آرائهم بعين التقدير فيشعرون أن لهم شأناً في بناء مجتمعهم ، فترتاح نفوسهم ، وتتحصن ضد الانحراف والجنوح .

5 ـ تتحمل أجهزة الإعلام هي الأخرى دوراً في تفاقم أزمة الانحراف ، وهي التي يُفترض أن تقوم بدور التوعية والتوجيه مكملة دور الأسرة والمدرسة ، في عملية احتواء الناشئة وتبصيرهم بسبل الحق والخير والفضيلة وإعدادهم للمجتمع الفاضل .

ولكن نرى ـ وبكل أسف ـ أن الدور الذي تقوم به أجهزة الإعلام هو دور سلبي للغاية ، فليس من إشراف فعلي من قبل الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين والتربويين على النشرات والبرامج . حتى إن بعض البرامج والكتابات المعدة للأطفال تمادى أصحابها في الإباحية وخدش الحياء إلى درجة أنها أصبحت هي المشكلة بحد ذاتها ، ويعمل علماء الاجتماع والتربية على وقاية الناس من هذه الأجهزة التي انحرفت عن الغاية التي وُجدت من أجلها .

ويمكن أن نوجز باختصار أن الفرد لا يولد متطرفاً أو جانحاً ، وإلاّ لكان جميع البشر جانحين لكنه يولد وهو يحمل استعدادات معينة ، والبيئة الاجتماعية هي التي تساعد على تنمية أو عدم تنمية الجنوح وظهوره .

– و –

شخصية المنحرف

. . . هو العاجز عن الولاء للآخرين ، وعن الالتزام بالقيم التي يلتزمونها ، يكن في نفسه شعوراً معادياً للمجتمع ، يمتاز بالأنانية والتهور ، لا يتحمل المسؤولية ، ولا يشعر بالذنب ، يمتاز بالقسوة ، ويميل إلى لوم الآخرين ، يتسم بسرعة الغضب ، ويجد دائماً المبررات لسلوكه المنحرف بتحميل أسبابه ونتائجه للآخرين ، ممن هم ضحايا سلوكه المنحرف . ومن سماته أيضاً أنه قليل الحياء ، لا يجد حرجاً في قول الكذب ، بغض النظر عما إذا كانت أكاذيبه مكشوفة أم لا ، لا يشعر بالندم ولا بالأسى حتى بعد العقاب وقلما يخرج من سلوكه هذا بعبرة ذاتية رادعة ، فهو فاشل في وضع خطة لحياته يفتقر إلى التنظيم الدقيق حتى لمجريات حياته اليومية ، والأغرب من ذلك أنه يستمر في عدائه للمجتمع ومعارضته له حتى بعد العقاب .

«ولقد وجد العالم الأميركي (جريد) في دراسة له 1964 أن هناك 60 % من الشخصيات المضادة للمجتمع قد فقدوا أحد الأبوين خلال سنوات الطفولة»[1]، وأن قسماً كبيراً من هؤلاء هم ضحايا النبذ والقسوة في حياتهم الأسرية ، نتيجة لعدم ثبات الآباء في تربيتهم لهم .

ومن أجل دراسة دقيقة وسليمة للأطفال الجانحين ، يجب متابعة الأطفال

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 332 .

الذين يترددون على عيادات التوجيه النفسي ، حيث تحتفظ هذه العيادات بسجلات خاصة لهؤلاء الأطفال الذين يترددون إليها ، حيث تجري دراسة الأسباب التي أحيلوا من أجلها إلى هذه العيادات النفسية . وتبين أن معظمهم كان لهم قبل إحالتهم إلى العيادات النفسية سوابق في الهروب من المدرسة ، والسرقة ، والتأخر في العودة إلى المنزل ، والتمرد والعصيان ضد الآباء ، وعدم الحرص على الأموال .

كما ثبت أن معظمهم لم يتلق تأديباً يذكر من قبل الوالدين أو أنه اتبع في تربيته أسلوباً متذبذباً بين اللين والقسوة ، وظهر كذلك أن للوراثة دوراً كبيراً في الانحراف والجنوح .

نظرية لامبروزا الإيطالي :

لاحظ الطبيب الإيطالي لامبروزا «أن هناك دلائل فيزيقية ، بيولوجية على السلوك الإجرامي ، من بين هذه الدلائل والصفات : الرأس البارز ، الآذان الكبيرة الظاهرة ، عدم تناسق الرأس ، والحواجب البارزة والناتئة»(1) وقد قدم العالم الإنجليزي (جورنج) أدلة لهدم نظرية (لامبروزا) إذ رأى أن هذه الصفات المشار إليها قد توجد بين جنود الجيش ، ورجال الأمن ، والطلاب والموظفين ، وليست وقفاً على الجانحين ، لكن العالم الأميركي (هوتون) عاد لينعش نظرية (لامبروزا) بشيء من الأدلة والتأييد .

والدراسات التشريحية لم تجد فوارق تذكر بين حجم الدماغ عند المجرمين بالمقابلة مع حجم دماغ الأسوياء ، ولم يلاحظ هناك أي اختلاف في توازن الغدد الصماء . لكن يبدو أن عوامل الاستقرار الاجتماعي لها أثرها في منع حدوث الانحراف ولكن رغم ذلك فإن أي مجتمع مهما بلغت درجة

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 332 .

استقراره لا يخلو من الجريمة والانحراف بل تبقى هناك فئة تخرق القانون وتنحرف . ونسبة حدوث هذه الانحرافات في المدن أكثر مما هي في المناطق الريفية . كما أنها في وسط المدينة أكثر مما هي في الضواحي .

وذهب العالم (ريكلس) إلى أن انعدام التنظيم الاجتماعي ، والمناطق الشعبية القذرة لا تتسبب بالجريمة ولكنها تشجعها عن طريق زيادة الفرص التي تؤدي إلى السلوك المنحرف ، والتمرد على سلطة المجتمع الذي يعيش فيه المنحرف . ثم إن البيوت المحطمة سيكولوجياً بفعل الاضطراب الأسري ترتفع فيها نسبة الانحراف ، فقد وُجد أن حوالي 50 % من حالات الانحراف تعود إلى هذا النوع من البيوت . كما لاحظ العلماء أنه من النادر أن يأتي أطفال جانحون من أسر سعيدة تسودها الأجواء الانفعالية المتماسكة والمتزنة . فالذين تربوا في ظل زوج الأم ، أو زوجة الأب ، أو في دور الأيتام والرعاية الاجتماعية ، أو الأطفال الذين كانوا نتيجة زواج غير شرعي (اللقطاء) . هؤلاء يعانون من نقص التعاطف والمشاركة الوجدانية ، ويتسمون بعدم النضوج الانفعالي ، وبسرعة التأثر ولا سيما أن هؤلاء غالباً ما يتركون البيوت أو المؤسسات التي نزلوا فيها في سن مبكرة ليلقوا بأنفسهم في مجالات العمل ، أي عمل ، بقصد وضع حد لمأساتهم فيقعون ضحيته ، تبتلعهم المدينة بما فيها من إغراءات وانحرافات .

ولقد حاولت الدراسات الميدانية القائمة على الاستمارات الإحصائية الكشف عن مدى الارتباط بين الجنوح والدخل المادي للأسرة ، بعد أن أصبح شائعاً أن ظاهرة الانحراف ترتبط ارتباطاً مباشراً بالفقر والعوز ، وتدني المداخيل المادية ، فتبين أن نسبة قليلة من الفقراء أو أصحاب الدخل المحدود يتجهون إلى الجريمة لحل مشاكلهم الاقتصادية ، مما جعل المقولة القائمة على ارتباط الجريمة بالفقر معرضة للاهتزاز وللنقض .

ويمكن إجمال هذا كله بأن أسباب الانحراف تعود إلى عوامل كثيرة منها :

1 ـ الوراثة : وإن كنا لا نميل كثيراً إلى تكريس هذا السبب ، وإعطائه الأهمية البالغة . وهذا ينحصر في من لديهم الاستعداد من الأطفال بالإضافة إلى البيئة الأسرية والاجتماعية المضطربة .

2 ـ الذكاء : ويتمثل ذلك بعدم المقدرة على التفكير المجرد ، وعدم تقدير عواقب الانحراف ونتائجه .

3 ـ اضطراب العلاقة بين الطفل وأبيه .

4 ـ الشخصية المفككة أو غير المتزنة ، أو الإصابة بأمراض نفسية معنية وفي جميع الأحوال فإن الجانح يلجأ إلى الانحراف لإشباع حاجات بيولوجية ونفسية لم يستطع إشباعها بسبب سوء التربية ، أو التوجيه السيء ، أو انعدام التوجيه .

«والمؤسف أن التركيز كله ـ في هذا المجال ينصب على الضحية ذاتها وهو «المنحرف» من حيث سلوكه وشخصيته ، ولم يظهر اهتمام بارز بالعوامل التي أدت إلى ارتكاب هذا العمل»[1] وترى (د. سامية جابر) أن في ذلك قصوراً في النظرة إلى الموضوع فنقول «أي منطق ذلك الذي يبرر تركيز الاهتمام على العنف الذي يمارسه الفقراء والضعفاء أكثر من تركيزه على العنف الذي يمارسه أعضاء الصفوة والأقوياء . إلا أن أفعال هؤلاء (الأقوياء) لم تصنف باعتبارها منحرفة ، ولأنها كانت مستترة ونظامية وسوية فقد حدث تجاوز أو تجاهل لخصائصها الانحرافية؟!»[2] .

وذهب محللون آخرون ، من المتأثرين بمدرسة التحليل النفسي إلى التأكيد «على مرحلة الطفولة المبكرة ، وجعلها حجر الزاوية في توجيه مصير

---

(1) د. سامية محمد جابر ، الانحراف والمجتمع ، ص 75 .
(2) د. سامية محمد جابر ، الانحراف والمجتمع ، ص 61 .

الفرد ، ومستقبل الصحة النفسية والعقلية ، فهناك أخطاء تربوية تندثر بين طيات اللاشعور لتصبح في النهاية بواعث كافية ، ومحركات لا شعورية تؤدي إلى الانحراف»[1] .

وكشفت دراسات أخرى ، على أن ما ينطبق على المنحرف من الأطفال ، ينطبق على الطفل السوي ، لذلك قام عدد من المدارس الحرة التي تلغي كلياً القواعد القديمة للنظام المدرسي الصارم وإحلال نظام قائم على التسامح وقد أدرك المربون : «وجود الكثير من عناصر الكراهية والسادية في النظم المدرسية التقليدية ، والتي كانت في حالات كثيرة عبارة عن إعطاء صفة الشرعية لأكثر الجوانب وحشية من الأنا العليا»[2] حتى وصل الأمر بالمشرفين على النظم المدرسية إلى جعل المواظبة أمراً اختيارياً .

وبذلك يتبين أن المنحرف تتآزر عدة عوامل في انحرافه ، ولا يمكن التقليل من أثر أي عامل من هذه العوامل المشار إليها .

---

(1) د. محمد سلامة غبارى ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ، ص 113 .

(2) ج فلوجل ، علم النفس في مائة عام ، ترجمة : لطفي فطيم ، ص 239 .

ـ ز ـ
علاج المنحرفين نفسياً

إن عودة المنحرف إلى انحرافه ، بعد إنزال العقوبة الأولى ظاهرة ملفتة ، حتى أن نسبة 70 % ، يعودون إلى نفس الانحراف ، بعد فترة بسيطة من العقوبة الرادعة ، وهذا يفسح في المجال أمام اعتقادين :

أ ـ **الاعتقاد الأول** : هو أن الجانح هو جانح بالطبع وبالفطرة بدليل معاودته لممارسة نفس الأعمال الانحرافية التي عوقب من أجلها .

ب ـ **الاعتقاد الثاني** : هو عدم فعالية العقوبات الرادعة ، أو بمعنى آخر ضرورة تغيير نوع العقوبة ، أو رفعها إلى درجة أشد ، أو تغيير الوسيلة .

وربما من أجل هذين الاعتقادين ، قد تنوعت قوانين العقوبات وأساليبها في دول العالم وتدرجت من البساطة إلى الشدة ، حسب نوع الجرم وطبيعة المجرم وظروف الجريمة .

هذه الاعتقادات المشار إليها لا يجب أن تدفعنا إلى اليأس من التفتيش والبحث عن الأساليب المتنوعة لتوفير البيئة الصحيحة التي تمنع من حدوث الجريمة أو الانحراف ، مع العلم أن المجتمعات أخذت بالتغير ، لناحية نمط العيش والقيم ، والتطور التكنولوجي وكلها عوامل مساعدة أو معارضة لتقدم المجتمع وتطوره . لذلك لا يجب أن يُنظر إلى المسألة نظرة استاتيكية جامدة ، إذ لا بد من ممارسة النضال من أجل القضاء على الانحراف البسيط منذ بدايته

حتى لا يتحول إلى جريمة خطيرة تضر بالبنيان البشري ككل والبنيان الاجتماعي القائم .

وأود أن أشير في هذا المجال إلى مسألة تربوية دقيقة تتمثل في مداعبة الأهل لأطفالهم عند قيامهم بعمل غير مقبول فيطلقون عليهم لفظة (مجرم) (أنت.. مجرم يا ولد..) ثم تتكرر مرة أخرى في موقف آخر ، فتأنس أذنه للفظة رغم كونها مقرونة باللوم والعتاب والتعنيف ، لكنها تصور للولد ، أن (المجرم) تسمية أخرى للبطل مع تغيير بعض الظروف والرتوش ، بدليل أن الأطفال في ألعابهم ، ينبري أحدهم ليمثّل دور المجرم ، وهكذا حتى تصبح اللفظة مألوفة جداً ، ويفقد عنصر التهويل معناه .

لذلك نرغب إلى الوالدين والمدرسين ، عدم إطلاق اللفظة في مثل هذه المواقف أو غيرها على الطفل ، لا تحت تأثير الانفعال الغضبي الشديد ، ولا نتيجة ارتكاب مخالفة بسيطة ، وإلّا فإنهم يدفعون بالطفل إلى اتخاذ الصفة هدفاً يصبح كما يقال (اسم على مسمى) . ولقد أردت الحديث عن هذه المسألة لكثرة استعمالها في غير موضعها عند الحديث عن شقاوة الأطفال وانحرافاتهم البسيطة ، أو أعمالهم الصبيانية الطائشة ، لذلك رأينا أن نحذر منها ليستبدلها بألفاظ تحمل معنى التشجيع أو اللوم الرقيق ، أو العتاب العاطفي ، وتصوير الجريمة على أنها من الكبائر التي لا يرضاها الله ورسله .

أما بالنسبة للعلاج ، فإننا ننظر إليه من زاويتين متلازمتين :

1 ـ الطفل المنحرف ، هو إنسان نريده سوياً .

2 ـ المحافظة على المجتمع من الانحراف ، والتفكك والتدمير .

إذن ، نحن أمام نظرة مزدوجة ، إلى المنحرف كإنسان ، وإلى المجتمع ، كمجموعة من البشر الذين يجب أن نقوم بحمايتهم من أعمال الانحراف والجريمة . ومن هنا تظهر ضرورة التعاون بين علماء النفس وعلماء

الاجتماع ، كل من وجهة نظر تخصصه ، للعمل على حماية المجتمع من خطر المنحرفين وأضرارهم ، ومعالجة المنحرف الفرد ، ليعود إلى مجتمعه سليماً سوياً معافى ، وهذا في نظرنا واجب إنساني واجتماعي ، ومن ثم التفكير بأن أولئك المحتجزين في السجون أو دور الرعاية الاجتماعية ، يجب النظر إليهم نظرة إنسانية ، على أنهم ضعفاء وقعوا في الخطيئة ، ولا يجب حرمان المجتمع من نشاطهم وإنتاجهم ، فمن الوجهة الاقتصادية يمكن إيجاد فرص العمل المنتج ، حتى يتجمع لهم مبلغاً من المال يكون لهم رصيداً يواجهون به الواقع المعيشي عند مغادرتهم للسجن ، وبالنسبة للجانحين الأحداث ، يمكن تزويدهم ببعض الخبرات المهنية ، حتى لا يكونوا عالة على غيرهم عند خروجهم من الإصلاحيات .

بعض المعترضين على هذا الأسلوب الراقي من المعالجة للمنحرفين يقول : إن تأمين مثل هذه الفرص للتعليم والتثقيف والإنتاج تقوي من رغبة الأفراد الموجودين خارج السجون على ارتكاب الجرائم للدخول إلى هذه السجون ، حتى إنه يقوي هذا الاعتقاد ، وجود بعض المسلسلات التلفزيونية التي تصور أحد الأبطال يرتكب انحرافاً أو جريمة ليدخل السجن ، ويرتاح من عناء التعب في خارجه .

ويتابع أصحاب هذا الرأي : أنه يجب إنزال العقوبات القاسية حتى لا يفكر أحدٌ بارتكاب جرم أو مخالفة ، ولا وسيلة لضبط السلوك إلاّ بالقسوة ، وبمقدار القسوة يكون أمن المجتمع واستقراره .

في الرد على أنصار هذا الرأي من المعترضين ، نشير أولاً إلى أن السجن أو المعتقل ، أو حتى الإصلاحية كمؤسسات عقابية ، تصادر فيها الحرية إلى حد بعيد ، وتقيد كل الأعمال الفردية ، وتحرم الفرد من ممارسة الحياة الحرة الطليقة كسائر أقرانه الموجودين خارج هذه المؤسسات من الأحرار الطلقاء :

إن هذه الرموز المشار إليها (السجن ، المعتقل ، الإصلاحية) لم تكن ولن تكون في يوم من الأيام هدفاً يتمنى الوصول إليه إنسان عاقل ، سوي ، ولطالما يردد دعاة الحرية قولاً معروفاً (ولن أرضاه قفصاً ولو كان من ذهب) . إنه يكفي احتجاز الحرية والنبذ من الحظيرة الاجتماعية قصاصاً رادعاً .

فالخوف في أن تتحول هذه المؤسسات إلى (أمنية المشتاقين إليها) هو تخوف في غير محله . فالذين قادهم حظهم العاثر ، وضعفهم في بعض اللحظات ، أو سوء التقدير ، هؤلاء لا يجب أن نلغيهم من المجتمع إلغاءً نهائياً . وما دام الأمر كذلك فليكن التأهيل أو إعادة التأهيل التربوي والاجتماعي .

ونسمع اليوم في مجالات العلوم الاجتماعية عن دعوة إلى تحويل السجون إلى (سجون ـ مدارس) ونأمل في أن تكون هذه النظرة بداية لعصر الجماهير التي تملك القرار بيدها بعيداً عن السلطة المفروضة عليها من الأعلى .

أما بالنسبة للنقطة الثانية من رأي المعترض ، والقائلة بضرورة تطبيق السياسة العقابية تطبيقاً حازماً ، من أجل مصلحة المجتمع وسلامته ، فلا خلاف في هذا الأمر ، وهذا رأي سديد ، يتمثل في عدم التهاون أو التسامح مع المخالفين المنحرفين وضرورة تطبيق القانون بشدة وعلى الجميع بدون استثناء لأحد ، ولأي سبب كان ، وعدم ترك الفئة العابثة بأمن المجتمع تصول وتجول دون خوف من حسيب أو رقيب . والتشدد في الملاحقة والاعتقال وتنفيذ القوانين بحق أفرادها . وهذا كله لا يتنافى مع السياسة التي ألمحنا إليها في داخل المؤسسات العقابية .

وفي رأي بعض الباحثين الاجتماعيين ، الذين يعالجون هذه المسألة بالذات ، يرون أن تحويل المؤسسات العقابية (إلى مدارس) بشكل أو بآخر ،

وإعادة تأهيل نزلائها نفسياً واجتماعياً وخُلقياً ، من شأنه أن يقلل من فرص عودة هؤلاء النزلاء لارتكاب المخالفات ثانية ، بالإضافة إلى انصهارهم مع المجتمع ـ بعد خروجهم ـ وتفاعلهم تفاعلاً منتجاً تاماً . ولن نخشى ـ وللأسباب المبينة ـ أن يكونوا قدوة يُقتدى بها ، أو أن يتمثل بهم آخرون لينحرفوا فيدخلوا المؤسسات العقابية ، فيخرجوا متعلمين . ومثقفين ، لأن خريج هذه المؤسسات ، يعاني بعد خروجه من العذاب النفسي ، وليس له ما يُحسد عليه ، أو ما يجعله قبلة أنظار السالكين في الدروب الاجتماعية .

- ح -
الجنوح عند الأحداث

يُعرِّف بعض العلماء أن جنوح الأحداث ، هو ارتكاب الخطأ ، أو الفشل في أداء الواجب ، أو العمل السيء ، أو خرق القانون ، ويعرِّفه عالم النفس «انجلش» بأنه «انتهاك بسيط نسبياً للقاعدة القانونية أو الأخلاقية»[1] فيصار بعد ذلك إلى وضعهم في إصلاحيات أو في مدارس تابعة لها لتقويم اعوجاجهم وإرشادهم وإعادة تأهيلهم للمشاركة في الحياة الاجتماعية والأسرية .

ومن الملامح النفسية الدالة على الجنوح عند الأطفال ، المظاهر التالية :

أ ـ الاستغراق في أحلام اليقظة والشرود الذهني ، والسرحان .
ب ـ التجهم والعبوس وعدم الضحك ، والإكثار من الأنين والشكوى .
ج ـ السقم واعتلال الصحة .
د ـ الانطوائية والبعد عن الرفاق ، وعدم المشاركة في النشاطات .

ومشكلة الجنوح تزداد تعقيداً مع تفاقم الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتمثل بالفقر . وتعود أحياناً إلى أسباب تربوية ، حيث تعتمد أساليب القسوة بحق الطفل فيؤثر ذلك على نزعته العدوانية .

في الولايات المتحدة ، رأت المحاكم أن علاج بعض الأحداث يفضل أن

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 275 .

يكون عن طريق منازل التبني أفضل مما لو كان في المؤسسات الإصلاحية . ومنازل التبني هذه تكون في بيوت الطبقة الميسورة التي تؤمن للطفل أجواء أسرية سليمة فيحسن حاله ، ويرتدع عن الجنوح ويمارس حياته بشكل ناضج فيما بعد .

وتسهم وسائل الإعلام على اختلافها ، وعلى رأسها التلفزيون في تفشي ظاهرة الجنوح بين الأطفال ، وإن كان بعض الباحثين الأميركيين يذهب إلى القول بعكس ذلك حيث يشير إلى «أن الطفل المتكيف تكيفاً حسناً سوف يتحمل التوتر المتراكم الناتج عن برامج التلفزيون العنيفة ، لكن الطفل قليل التكيف الانفعالي سوف لا يتحمل ذلك التوتر»[2] . وهذا ما يقلل ، في نظرهم من تأثير التلفزيون على الجنوح ، ويعيد الكرة إلى الوسط العائلي . حيث تتشكل في المنزل النواة الأولى للتكيف الاجتماعي ، التي تنمو شيئاً فشيئاً لتتحول إلى توافق عام مع المجتمع .

وهناك بعض الآراء التربوية والاجتماعية الحديثة التي تدعو صراحة إلى أن الطفل يجب أن يأخذ صورة حقيقية عن العالم بما فيه من العنف والجريمة والجنس ، على أن تعرض هذه الحقائق بصورة معتدلة ، وعلى ألا يقدم ذلك بصورة مغرية وجذابة ، كما لا ينبغي أن تقدم الجريمة في كل ذلك بدون عقاب ، لتبقى الخلاصة حية في نفس الطفل ، إذ أن الأمور دائماً في خواتمها .

ويحتاج الأمر في نظرنا إلى تضافر الجهود من قبل الآباء والمدرسين ، والمسؤولين عن الإعلام بجميع فروعه ، لتكوين ورشة عمل تعمل ، بتنسيق متكامل في نطاق المحلات الكبرى والصغرى ، من خلال الندوات

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 277 .

والمحاضرات ، للتصدي لمسألة الجنوح وتسهيل إقامة أماكن النشاطات العامة كالملاعب والحدائق العامة ، وإنشاء المكتبات وتسهيل العمل فيها . وتشجيع الهوايات الفنية على اختلافها .

ويلعب الإرشاد النفسي دوراً هاماً في هذا المجال ، لناحية الوقاية والعلاج ، ويرجع له الفضل في علاج وإعادة تأهيل وتكيف الغالبية العظمى من الجانحين ، مع المجتمع .

- لا يكفي لإصلاح الخلل الاجتماعي الذي يؤدي إلى الجنوح ، أن نلتفت إلى ناحية واحدة ـ فلا بد ـ كما هو معروف ، من تضافر جميع الجهود المعنية بهذا الأمر ، والتي تشمل الكثير من المؤسسات من أن تتعاون في ما بينها من أجل تحقيق مجتمع لا يجد فيه الجنوح أرضاً خصبة .

- ولو حاولنا أن نستعرض هذه المؤسسات ، لطالعتنا في الدرجة الأولى المؤسسة النواة الاجتماعية الأولى (الأسرة) ، وقد كثر الحديث عن ضرورة تنظيم الأسرة ، وخلق الأجواء الأسرية الصالحة لنمو الفرد نفسياً بطريقة تقيه الوقوع في التطرف والجنوح .

ورأينا من خلال دراسة أكثر من مشكلة تربوية أن السبب الجوهري الكامن وراءها هو الاضطرابات الأسرية الحادة .

- تلي الأسرة في الأهمية ، المدرسة ، وهي المؤسسة التي تقوم بدور بالغ في تصدير الإنتاج البشري المثقف ، فبين جدرانها وعلى مقاعدها تتكون مجتمعات المستقبل ، وهي تبني معالم الحياة الاجتماعية المستقبلية .

بعدها يأتي دور المستشفيات ، والعيادات ، والمستوصفات ، أو ما يسمى بالجهاز الصحي فلا مجتمع سليم بدون صحة سليمة ، فقيام هذه المؤسسات الطبية بدورها كاملاً في تخليص الأطفال من الأوبئة والأمراض الفتّاكة ، ووقايتهم وإرشادهم وإرشاد ذويهم ، وتثقيفهم بالثقافة الصحية ، كل

ذلك يعمل على تحسين وتدعيم المجتمع السليم ، الذي يمكن أن يفتك به المرض كما يفتك به الجهل ، وكل من الجهل والمرض يؤديان إلى الجنوح بل وإلى الجرائم الكبرى أحياناً .

ثم يأتي دور دُور العبادة ، أو دور علماء الدين المشرفين عليها ، ولا يخفى ما للدين ولعلماء الدين من أثر في الإسهام في بناء المجتمع السليم والتصدي للآفات التي تهدد المجتمع . وهذه الآفات لا تتمكن من شق طريقها إلا في ظل التردي الأخلاقي والاستهتار القيمي بمبادىء الدين والابتعاد عن الله وتعاليمه .

وعلماء الدين ، هنا ليسوا مجرد مبشرين للقيام بطقوس دينية معينة ، وممارسة مهمات طقسية محضة ، هم قادة روحيون ، يزرعون الفضيلة وحب الخير والإيمان في نفوس الناشئة . ثم يسلطون الأضواء على الشر والحرية والرذيلة ، ويشرحون نظرة الدين إليها ، ثم وجوب الابتعاد عنها .

وفي هذا المجال لا يقل دور علماء الدين عن دور المدرسين والآباء ، وقد يكون دورهم أكثر فعالية لما يحيطهم به المجتمع من احترام وتقدير وإجلال ، لارتباط عملهم بكتاب الله وسنّة رسوله ، ثم لأنهم نذروا أنفسهم طائعين لهذه المهمة الإنسانية الرفيعة .

وللوسط السكاني . تأثيره أيضاً ، حيث ازدحام السكان ، وخاصة في المدن ، وحيث التصاق الأبنية ببعضها ، وتقارب الشقق السكنية ، حيث لا يوجد مجال حيوي يمارس الطفل فيه نشاطه ، إذ ليس له سوى سلالم البنايات ومداخلها فلا حدائق ، ولا ملاعب ، وحيث الصداقات بين الأطفال محدودة ومفروضة بحكم التجاور والتساكن ، فلا اختيار ولا إرادة للطفل ، أو لأهله ، إنه الأمر الواقع . وبذلك تنتشر العادات والعدوى الاجتماعية تتفاقم مع الاختلاط .

ضاف إلى ذلك البرامج التلفزيونية ـ التي أشرنا إليها ـ وهي المحرِّضة أحياناً وبطريقة لا مباشرة على أعمال التطرف والجنوح فيجد الأطفال أنفسهم مسوقين إلى ذلك على غير رغبة منهم .

ويزداد الأمر سوءاً إذا كان الواقع السكني في أحياء فقيرة ، حيث تنتشر الأوبئة ومعها العادات السيئة ، فإن جرثومة الجنوح تنمو بشكل سريع في هذه البيئات . ويمكن للمواصلات على أنواعها أن تخفف من حدة جنوح الأطفال ، حيث يرتبط الحي والقرية بالأحياء والقرى الأخرى ، حيث يسهل الانتقال وتبادل المعرفة والثقافة .

ولكن ، لهذه المواصلات تأثيرات سلبية (وكأنها سلاح ذو حدين) حيث إن الانفتاح على المدن وسهولة الاختلاط تنقل إلى الريف البريء الطاهر ، بعض أشكال التطرف الذي تروج سوقه في المدينة ، فتفسد طباع الأطفال في القرية ، وتتشوه براءتهم ببصمات المدينة وعاداتها السيئة التي تنتقل إليهم على أنها (أمور حضارية) وهي في الواقع فسق وفجور ، وبذور انحلال وتفكك تقود إلى الجريمة .

كذلك فإن لسياسة الدولة دوراً في تشجيع الانحراف والجنوح ، وبطريقة غير مباشرة فالتساهل مع الجانحين وعدم الاهتمام بهم ، وإهمال ضبط الأمن والإشراف التام على الممتلكات يشجع على القيام بالأعمال الانحرافية ، فحين يتأكد الجانحون أن يد السلطة لن تصل إليهم وأنهم سيكونون بمنأى عن العقاب ، لن يترددوا في القيام بأعمالهم الانحرافية . وباختصار فالسلطة الرادعة الحازمة تقلل من فرص الانحراف إلى حد بعيد .

وتقوم الدولة بدور هام في بث روح المواطنية الصحيحة والمفاهيم الواقعية المعاصرة وعدم اللجوء إلى التطرف من أي نوع كان ، ومنع التلاعب بمشاعر وعواطف الناشئة ، بقصد إبعادهم عن القيم الإنسانية والوطنية

والقومية ، وسهر السلطة على راحة الناس ، من شأنه أن يخفف من شعورهم بالقلق ويبعث في نفوسهم الاطمئنان حيث لا يعود هناك جنوح أو انحراف .

وأن العدالة في التعامل مع الجميع على قدم المساواة ، وعدم تفضيل فئة على فئة أو تحكم فئة صغيرة بمصير باقي الفئات ، كل ذلك من شأنه أن يخفف من الشعور بالنقمة التي تعتبر النواة النفسية الأولى أو «الجرثومة الأولى» للجنوح ثم إنه بمناقشة الأمور بجدية وبروح ديمقراطية صحيحة يمكن لبذور التطرف والانحراف أن تزول لتحل محلها بذور الإبداع ، وذلك عن طريق الحوار والنضال المشروع من أجل الأفضل .

هناك فئة من الناس متخصصة في زرع الفتنة وبذور الشقاق في المجتمع ، والدعوة الضمنية إلى الجنوح . وتعتمد هذه الفئة على التيئيس وإحباط الهمم وإقناع الناس بأنه لا سبيل إلى الإصلاح ، وأن الأمور لن تعود إلى جادة الصواب ، فالآمال انتهت ، والتشاؤم هو سيد الموقف ، والحياة للأقوى ، ويعبرون عنها بتعبيرات وحشية من مثل قولهم (إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب) . فتأمل في هذا التعبير ، إنه دعوة علنية لأن تكون ذئباً أو كالذئب على الأقل (. . .) .

إن هذه الصورة الاجتماعية المرعبة يراها الأطفال ، فتسبب لديهم الإحباط القاتل ، فيفكرون بالانحراف ويسهل عليهم تقبله في ظل هذه الأجواء ويبدأ التفكير بالثورة ، وهي الثورة العشوائية هنا ، الثورة المدمرة غير المنظمة غير الهادفة ، الثورة المبطنة بالعدوانية والفوضى ، تستميل الأطفال ، فيرون فيها الخلاص من إحباطاتهم ، ولكن متى كان الإصلاح يقوم على التدمير والفوضى والقضاء على المنجزات الحضارية ؟!

والحقيقة «أننا نقع فريسة للتضليل فتستثار مشاعرنا وعواطفنا ، وتوجه

توجيهاً مزيفاً نحو العنف الذي يرتكبه بعض الفقراء والبؤساء الذين لا حول لهم ولا قوة»[1] .

هناك موجات من الانحراف والجنوح يعود سببها إلى الموجات الوافدة إلينا من الغرب ، من أجل ذلك ينبغي أن تقوم رقابة على الأفلام المعروضة في السينما والتلفزيون وأشرطة الفيديو ، والتي هي اليوم في متناول الجميع وكلها تحرض على الإباحية والعبثية ، والفوضى الاجتماعية ، والتحلل الخلقي والديني وتنشر الفساد في المجتمع ، وهذه كلها مجتمعة تحدث نوعاً من الانحراف عند الأحداث الذين لم تترسخ القيم في نفوسهم بعد .

إننا نسمع في كل يوم عن موجات جديدة من الأساليب المعتمدة في الغرب المفكك النظام الأسري ، تغزو مجتمعاتنا . وأبوابنا ـ وبكل أسف ـ مفتوحة على مصراعيها ، لاستقبال كل جديد ، أياً كان نوع هذا الجديد ، وذلك بتأثير عقدة النقص المتأصلة في داخلنا تجاه العالم الغربي وتفوقه . ويغيب عن بالنا ذلك الوضع المتردي الذي يعيشه الغرب اليوم اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً .

هذه الموجات الوافدة تأتينا بأشكال مختلفة ، فتارة عن طريق الكتب الرخيصة أو الأفلام ، وطوراً عن طريق (الموضة أو الموديل) وأحياناً أخرى عن طريق العادات والتقاليد التي لا تمت إلى تراثنا ، وإلى تاريخنا العربي الشرقي بأية صلة .

والأخطر من ذلك ، أن هذه الأدوات التدميرية ، لم تصدر إلينا عبثاً ، فهي ذات هدف مسبق . فبحجة التسويق التجاري العادي ، فهي تفتك بالإنسان فتكاً ذريعاً فتحوله إلى آلة تعمل تحت سلطة وإمرة مصمم الأزياء في العواصم الغربية فالأزياء المستوردة الفاضحة التي ترتديها بعض الفتيات ، والتي تثير

(1) د. سامية محمد جابر ، الانحراف والمجتمع ، ص 64 .

الغرائز الحيوانية في الجنس الآخر ، وتخدش الحياء تحت شعار ـ الحضارة والرقي ـ ليست سوى حضارة مزيفة ويكفي من مساوئها أنها أفرزت مرض (الايدز) الذي يهدد العالم اليوم وبشكل خطير ومرعب .

الجميع مدعوون لمواجهة هذه الظواهر ، وعلى رأسها الأسرة «فهي مسؤولة عن تكوين أخلاقيات الفرد بشكل عام ، كاتجاهاته نحو الأمانة أو النزاهة أو الصدق ، أو الوفاء ، أو بقية قيمه الأخلاقية»[1] ومن دراسة أجراها (هيلي) في مدينة شيكاغو الأميركية يتبين «أن البيت غير الملائم كان يشكل نسبة 22% من مجموع العوامل التي لها صلة بالجنوح عند الأحداث ، وارتفعت النسبة إلى 46% بعد ضعف الضبط عند الوالدين»[2] وعلى ذلك فالبيوت المتصدِّعة أو المحطمة هي التي تتسبب بنسب كبيرة في الانحرافات ، ومواصفات هذه البيوت أن الأب يغيب عنها أو الأم أو كليهما ، أو التي ينعدم بها الضبط الاجتماعي نتيجة جهل الوالدين .

ويرى بعض الباحثين أنه «قد يكون للمدرسة نافذة أخرى يتسلل منها الانحراف وهي ظاهرة الهروب من المدرسة ، فهي الخلفية التي تقوم وراء غالبية حالات الجنوح»[3] . فللمدرسة دور كبير في حماية الأطفال من الجنوح ، وبناء على ذلك ، فعلى المدرسة أن تكون ذلك البيت الهادىء المريح الذي يقدم البرامج الممتعة والمشوِّقة وبين جدران هذا البيت تتفتح الطاقات والإمكانيات ، ويجب أن تكون هذه المدرسة مزودة بمدرسين أخصائيين في شؤون الأحداث ، ومن القادرين على التعامل معهم بروح أبوية تنفذ إلى أعماقهم وأحاسيسهم :

---

(1) د. محمد سلامة محمد غبارى ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ، ص 121 .
(2) المرجع نفسه ، ص 122 .
(3) المرجع نفسه ، ص 159 .

والعقوبة القاسية «غالباً ما تعزل الأطفال الذين تتم معاقبتهم وتجعلهم يضمرون العداء للمجتمع»[4] وذلك يؤدي حتماً لدفعهم إلى الانحراف ، لأنهم يجدون أنفسهم بين طريقين ، فإما ارتكاب أنواع أخرى من الانحراف ، أو أن يجدوا التقدير والتفهم لحالاتهم فيكفون عنه من تلقاء أنفسهم ، والذي يؤكد ذلك أن الحدث الجانح يعتمد على قبول الأحداث الجانحين الآخرين له ، لذلك يقع تحت تأثيرهم ، لأنه يجد فيهم وبهم الملاذ الوحيد له في عزلته . . وبذلك يصبح حدثاً جانحاً ، على غير رغبة منه في ذلك .

والفعاليات التربوية والاجتماعية تعي تماماً أن البطالة أم الرذيلة ، وإن رأس الكسلان معمل الشيطان ، من أجل ذلك يقتضي إيجاد فرص العمل المنتج أمام الجميع من القادرين على العمل ، فيمكن للمخيمات التطوعية والكشفية القيام بنشاطات مفيدة من شأنها أن تعود الأطفال على الانخراط في عمل منظم ، ومنتج ، وفي نفس الوقت ، فإن الحياة الكشفية تساعد الطفل على الفهم ، وبرمجة الحياة والحياة الكشفية هي الحياة العامة بصورتها المصغرة ، فمن نجح فيها نجح في حياته فيما بعد . ولا بأس كذلك في إشراك الأطفال في أسبوع النظافة ، ومساعدة شرطة المرور في مهمتهم لفترة من الوقت خلال العطل المدرسية ، أو الإسهام في الأعمال الزراعية ، كقطف الزيتون والعنب وغيرها ، في عمل تطوعي يستمر لعدة أيام . كل ذلك يقطع الطريق أمام الانحراف ، الذي لا ينمو إلاّ في الأرض الخصبة . والارض الخصبة لنموه هي الفراغ واليأس ، والفوضى ، وعدم الإشراف المباشر على الطفل بالإضافة إلى ما ذكرناه من ترك الساحة خالية أمام (الحضارة) الوافدة إلينا من الغربيين والتي تحمل السم في الدسم .

---

(1) المرجع نفسه ، ص 235 .

ثم إنه من المفيد أيضاً الإكثار من الندوات والمحاضرات واللقاءات ، التي تطرح فيها موضوعات تربوية مفيدة تسلط الأضواء على بعض المشكلات الانحرافية وخطرها على الفرد والمجتمع بغية تجنبها والابتعاد عنها .

* * *

وفي مواجهة الجنوح عند الأحداث «تتساعد التربية وعلم النفس في موضوع الولد الجانح كما في موضوع الولد العادي ، وتتضافر الجهود مع الاستعانة بالتقنيات المستخدمة في علم نفس الطفل لتشكل ما يسمى بعلم النفس التربوي العلاجي»[1] .

ولا نستطيع الفصل بين هذين القطبين الهامين اللذين ندرسهما معاً ، وبشكل موازٍ ، كما لا نستطيع أن نفصّل بين عملية النمو الفسيولوجي للطفل ، والقدرات والمواهب ، والذكاء . والذي يجب أن نعرفه عن الطفل المنحرف «إن كل طفل منحرف يختلف بانحرافه عن الطفل الآخر ، لناحية تاريخه ، وتركته الماضية بيولوجياً واجتماعياً وفي طريقة بحثه عن إشباع رغباته وطريقة توجيهها»[2] .

وكل طفل يرغب بالانفلات ، ولكن في مواقع مختلفة ، وبدرجات مختلفة ، وترتبط رغباته ، أو تتجدد بصورة عامة بمفهوم الرغبة والألم . وفي كل ذلك يتأثر الطفل بأمه أو بمن ينوب عنها و «تختلف الأمهات في هذا المجال ، بين أمٍ ضالة ، وأم متواكلة ، وأم حاضنة عطوفة أو أم مفرطة في الرعاية الزائدة»[3] والأم المتيقظة هي التي ليست بحاجة إلى ذكاء خارق ، أو ثقافة عميقة لتكون جديرة بمعرفة كل شيء عن سوابق أطفالها .

---

(1) André Beley, L'enfant instable, p. 27

(2) Même réf, p. 28

(3) André Beley, L'enfant instable, page 30

والطفل بدوره لا يمكن أن يكون نموذجياً ، فهو يُعبر عن صيغة التعايش التي تحصل بين أبويه .

«Pour L'enfant, c'est diffieile d'être exemplaire. Il est souhaitable seulement, quelque soit la difficulté de cette tâche qu'ils soient modèles ce qui signifiera qu'ils n'ont pas à être parfaits, mais que sans risque majeur, L'enfant gagnera à tenter de se modeler sur l'un ou l'autre couple paternel»[1].

ويجب الإشارة إلى أن التربية ليست مجرد عملية تقليد ، كما في حركات القردة والطفل فضلاً عن التقليد ، فهو يشكل ذاته ، ليجري في المجرى الاجتماعي الذي يقدم له ، فهو يسمع ، ويقلد في الحدود التي تسمح بها إمكانياته العضلية والتعبيرية ـ وهذا ما يميز الطفل عن القرد ـ في هذا المجال . من أجل ذلك يتأخر الطفل البشري عن طفل القردة في الاستجابة لمن يحيط به هو سيبقى (قرداً) ولكن بتأثيرات ومشاعر إيجابية ليكتسب شخصية ناصعة .

---

(1) André Bely, L'enfant instable, p. 31

ـ ط ـ

العلاج النفسي عن طريق اللعب

نحن نميل إلى الاعتقاد بأن الغالبية العظمى من الجانحين هم من المصابين بالأمراض النفسية ، والاضطراب النفسي عند الأطفال ـ كما أشرنا ـ قد يكون أحد مؤشرات الجنوح ، لذلك ، أردنا من موضوع العلاج النفسي عن طريق اللعب إصابة هدفين في آن معاً . أولهما : تخليص الطفل من صراعاته النفسية التي تعمل على اضطراب تكيفه مع الوسط الذي يعيش فيه ، وتشل قدرته عن العطاء في المجال العلمي ، والهدف الثاني ، هو العمل على وقاية هذا الطفل من استفحال وتأزم وضعه النفسي الذي سيقود حتماً إلى الانحراف والجنوح .

والحقيقة أن مسألة العلاج النفسي أصبحت مسألة ضرورية في هذا العصر الذي أطلق عليه اسم ـ عصر القلق ـ نتيجة لازدياد الضغوط النفسية الناتجة عن تعقيد الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وإن الإنسان أصبح يعيش في حالة توتر دائم نتيجة الخوف والرعب الشديدين، من وقوع الحروب المدمرة، حتى إن التقدم التكنولوجي الهائل أصبح هو العامل المهدد للكيان البشري من خلال الأسلحة النووية ، وأسلحة الدمار الشامل ، بدلاً من أن يكون هذا التقدم مبعث اطمئنان وسلام لإنسان هذا العصر .

وقد أصبحت الدول الكبرى تتحكم بمصائر الشعوب ، التي تجد نفسها

موزعة بين المطرقة والسندان ، فإما أن تكون تحت رحمة تلك الدول الكبرى المستغلة التي تستخدمها كجماعة من المستهلكين لإنتاجها ، كعبيد ، وأجراء ، لا حول لهم ولا قوة ، مسلوبو القوة والحرية أو أن يناضلوا في سبيل الحرية والاستقلال والعيش الكريم ، وفي كلتا الحالتين يبقى الإنسان بين أشداق القلق ، يفتك بأعصابه ، مما يظهر الحاجة إلى العلاج النفسي ، وجعله ضرورة من ضرورات هذا العصر . والعلاج النفسي يخفف الكثير من المآسي والشقاء والآلام التي تؤرق العيش «والعلاج النفسي ضرورة إنسانية وحضارية راقية ، وفي نفس الوقت هو استثمار اقتصادي مفيد لأن المرض النفسي يبدد طاقة الإنسان ويهددها ويحولها إلى قنوات غير نافعة»[1] .

والأخطر من ذلك أن هذا القلق انتقل من الآباء إلى الأبناء ، حتى الأطفال منهم ، فهم يقلدون الآباء ، ويتقمصون شخصياتهم ، ويحاكونهم في همومهم وقلقهم ، وبتبرمهم من مشكلات العصر ، حتى بات هؤلاء الأطفال أشبه (بشاشة الرادار) التي تنعكس عليها هموم الأهل وآلامهم . وهم في سن لا يستطيعون معها تحمل هذه الأعباء النفسية الشديدة .

لذلك فنحن نميل إلى عدم إشراك الأطفال في هذه الهموم ، وعدم الحديث عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية على مسامعهم ، أو التأفف والتبرم من الحياة ، وضيق الحال ، وقساوة الدهر ، وما شاكل ذلك من عبارات سوداوية لأن ذلك يؤثر على سلوكهم ويوتر أعصابهم . وهذا التوتر يقود إلى مشكلات تربوية عدة ـ كنا قد أشرنا إلى الكثير منها ـ .

من أجل ذلك يأتي العلاج النفسي ليكون البلسم للجراح التي تحدثها أزمات القلق وليكون صمام الأمان ، ضد المشكلات التربوية التي تهدد كيان الطفل النفسي بطبيعة الحال ، فإن أساليب العلاج تختلف عند البالغين عنها عند

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، الإرشاد النفسي ، ص 425 .

الأطفال ففي حين يمكن المعالجة من خلال اللعب عند الأطفال ـ وهذا ماستتحدث عنه ـ نشير إلى أساليب العلاج بالنسبة للبالغين والتي تتلخص بالوسائل التالية :

1 ـ عن طريق التحليل النفسي .

2 ـ عن طريق الثواب والعقاب .

3 ـ العلاج الجماعي القائم على النقاش والحوار بين الجماعة .

4 ـ العلاج بواسطة اللقاء المباشر مع المرشد النفسي .

ـ العلاج عن طريق اللعب (للأطفال) :

عن طريق اللعب ، يتخلص الطفل من بعض التوترات التي تعصف في داخله ، وكذلك فهو يتخلص من أعراض سوء التكيف الذي يكون مصاباً به ، فماصعب عليه في عالم الواقع ، يأتي به في عالم اللعب. . حتى مسألة التعبير عن العدوان ، يمكن أن ينفذها من خلال اللعب ، فإن عجز عن تأديب والده أو أخيه الأكبر ، أو والدته ، فهو يؤدب لعبته . ومن هنا فنحن نرى الطفل ، يخاطب لعبته بلهجة الآمر والناهي أحياناً ، وبلهجة المرشد والموجه ، والمداعب أحياناً أخرى ، وخاصة وهو في مرحلة الإحيائية .

ومع أن ذلك يؤدي إلى تفريغ الشحنات الانفعالية الحبيسة داخل الطفل لكنها لا تحقق الشفاء التام ، وإنما يقدم المعالج هذه الألعاب لتنظيم الموقف وتفهم ظروفه ويمكن أن يحل اللعب ، محل المقابلة الشخصية ، حيث يعبر الطفل عن صراعاته من خلال اللعب . فالألعاب بالنسبة له ترمز لأفراد الأسرة ، الذين يعيشون معه ، وتعامله مع هذه الألعاب هو سلوك رمزي لتعامله مع الأسرة بجميع أفرادها . ومن أجل ذلك اهتم علماء النفس اهتماماً كبيراً باللعب عند الأطفال ، واختاروا نوع الألعاب الواجب تقديمها للطفل ،وخلق الظروف

والأجواء الطبيعية للعب ، ومن ثم المراقبة الجانبية لسلوكه وتدوين الملاحظات المستخلصة من ذلك .

بعضهم يُعزي الاهتمام باللعب عند الأطفال إلى نقص في أسلوب التفاهم اللفظي حول موضوعات معينة تهمهم أو بسبب ضيق أفق تفكيرهم أو ندرة المشاكل أو الموضوعات التي تحظى باهتمامهم المشترك ، والتي تخص عالم طفولتهم ، فيجدون أن اللعب هو أفضل وسائل التعبير بالنسبة لهم . ولذلك يكتسب اللعب عند الأطفال طابع الحيوية والنشاط والاهتمام الزائد ، حتى لترى حماسهم أثناء القيام باللعب ، هو أشد من حماس رجال السياسة ، وهم يناقشون القضايا السياسية المصيرية في مجالسهم العليا في خطبهم اللاهبة .

وقد بدأ العلاج باللعب منذ العشرينات من القرن الحالي ، مع مدرسة التحليل النفسي وكان الهدف هو تعزيز (الأنا) أو الذات الوسطى Ego وتخليصها من ضغط الذات الدنيا - Id - والذات العليا Super Ego .

وسرعان ما تبنت معظم الاتجاهات في علم النفس هذا الأسلوب الذي لم يعد وقفاً على مدرسة التحليل النفسي وحدها .

ويتطلب العلاج تقنيات خاصة ، كتجهيز غرفة خاصة باللعب ، بعيدة عن الضوضاء ، وأن تكون مريحة وسارة ، والأدوات الموجودة فيها (الألعاب) أو الأثاث (الكراسي والطاولات) غير قابلة للكسر . فيها كل المشوقات والإغراءات ثم توضع بالإضافة إلى ذلك بعض اللعب الرخيصة القابلة للكسر ، والتي يمكن تحطيمها . وتسمح هذه اللعب للطفل أن يعبر عن غضبه وعدوانه ، فهو إما أن يقتلع رأس الدمية ، أو يثقب عينها أو أن يرمي بها إلى الأرض ويرفسها برجله أو أن يضمها إلى صدره ، ويلاطفها ، أو أن ينظر إليها نظرة فاحصة ، فيحاول القيام بالفك والتركيب ، وكشف الأسرار الميكانيكية أو التصنيعية .

وفي بعض البيوت يخصص مجال للرمل والصلصال والماء ، حيث يمكن

للطفل أن يعبر عن ذاته بكل الوسائل المتوفرة لديه . ونلفت نظر الأمهات هنا إلى عدم الانزعاج من توسيخ ثياب الطفل . وكثيرات هن الأمهات اللواتي يخصصن ثياباً خاصة لأطفالهن يطلق عليها في العادة (ثياب اللعب) فممارسة نشاط الطفل وعلاجه هو أثمن بكثير من الثياب وتوسيخ الثياب! . . .

ولوحظ كذلك أن بعض الأطفال المرضى يعبرون عن نقمتهم من خلال رفضهم للألعاب وتحطيمها ، وعن سوء التكيف بالوقوف الموقف السلبي من الدمية ، ولا يتناولها الطفل إلاّ بعد تدريبات ومشوِّقات ، وتقديمها له بأسلوب جذّاب .

ورداً على الذين يخشون أن يكون العلاج باللعب بمثابة حوافز للطفل لكي ينفذ عدوانه في الواقع العملي ، بعد أن تدرب على ذلك ومارسه في عالم اللعب أن الرد على هذا الاعتراض ، هو أن الطفل عندما يُفرغ انفعالاته على الأشياء (الدمى مثلاً) يستفيد من تجاربه ، ومن الشعور بالندم ، وهذا ما يحدث في غالب الأحيان ، فينقل إلى المجتمع نتيجة مشاعره التي تخلصت من العدوان ، وغيره من الأزمات النفسية .

ويمكن القول ، وبمعنى آخر ، أن نفسه تكون قد تطهرت من الصراعات التي عصفت بها فيعود إلى الواقع الاجتماعي ، هادئاً ، متزناً ، خالياً من التوتر .

- ومنهج العلاج باللعب ، منهج متقدم ومتطور ، فقد كان قبل ذلك يعالج الأطفال عن طريق المنهج التحليلي . والأطفال لنقص أسلوبهم التعبيري اللفظي ، فهم يعبرون بالحركة واللعب ، فيسقطون على هذه الدمى الجامدة أسماء أسطوريّة ، ويعطونها أدواراً وهمية ، ويحركونها وفق رغباتهم وإرادتهم فيشبعون نزعتهم إلى القيادة .

من أجل ذلك يرى العلماء أن العلاج القائم على الكلام ـ عند الأطفال ـ

لا يؤدي في كثير من الأحيان إلى نتيجة ، ويعتبر محاولة فاشلة ، قليلة النفع فالتواصل مع الطفل من خلال اللعب ، هو أهم بكثير من التواصل الكلامي الذي لا يؤدي إلى الهدف المطلوب .

وفي بعض الأحيان يُعطى الطفل بعض الألعاب التي تثير في نفسه المخاوف ، لتعويده عليها وتخليصه من مشاعر الخوف المكبوتة ، فتكون هذه الطريقة العلاجية ، طريقة عملية ، ميدانية ، يتم تزويد الطفل بها من خلال اللعب .

والطفل يعبر بواسطة اللعب عن كثير من الأمور المعتبرة سرية لديه ، فهو ينفذ أحكامه على الألعاب في الوقت الذي كبتت فيه هذه المشاعر نحو الأشخاص الأقرباء منه ، وبالأخص والديه وأخوته .

والمعالج يحصل على معلومات مهمة من خلال مراقبة ألعاب الطفل ، لم يستطع الحصول عليها في الظروف العادية ، وفي المجال العادي ، في الأسرة ، أو في الفصل الدراسي . وبالنسبة (للأطفال الكبار) الذين هم في سن العاشرة يمكن للمعالج أن يعرفهم بمشاعرهم وباستنتاجاته من خلال أحاديثه معهم ، ومن خلال مراقبته لألعابهم . ويتفق العلماء على تسمية هذا النوع من العلاج : العلاج بالتنفيس أو بالتصريف .

* * *

الفصل الرابع

التوافق المدرسي والمثابرة

أ - التوافق

ب - التوافق الطفولي

ج - التوافق المدرسي

د - مشكلة النظام

هـ - المثابرة

و - الذكاء والإبداع

ـ أ ـ

التوافق

يسعى الفرد طيلة حياته مجاهداً من أجل التوافق ، وهو هدف أساسي من أهداف الإنسان ، يتعلم كيف يدور حول الصعوبات ، وكيف يسلك لمواجهة المشكلات التي تعصف به ، ونجاحه في عملية التوافق هذه يصبح أكثر كفاءة في علاقاته مع بيئته ، «وحياة الفرد سلسلة مستمرة من عمليات التوافق ، فحينما يشعر الفرد أو الكائن الحي بدافع معين فإنه يقوم بنشاط يؤدي إلى إشباع هذا الدافع ، وما دام الكائن الحي قادراً على القيام بهذا التوافق فإنه يستطيع الحياة والبقاء»[1] وإذا فشل في تحقيق هذا التوافق ترتب على ذلك القلق والاضطراب .

وطالما أن هناك في الحياة اليومية جديداً ، فإن ذلك يستدعي توافقاً جديداً ، والتوافق عملية نسبية ، ولا بد أن تتوفر فيها العناصر المادية والاجتماعية والنفسية . وهي أحياناً مفروضة على الفرد بحكم تكوينه ، وتربيته على كيفية التوافق .

«وفي كل موقف توافقي هناك ثلاثة عناصر هي : الفرد ، وحاجاته من البيئة أو إمكانيات الظروف الميسرة له ، والآخرون الذين يشاركونه الموقف ، ولا غنى له عن استرضائهم إلى جانب ترضية نفسه أيضاً»[2] .

(1) د. محمد فرغلي فراج ، مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم ، ص 9 .

(2) د. كمال الدسوقي ، علم النفس ودراسة التوافق ، ص 385 .

وإذا صُدمت رغبات الفرد بشكل أو بآخر فإنه يعدل من سلوكه ، ويعود لاتباع التقاليد ، وتنفيذ الالتزامات التي يطلبها من المجتمع ، فيغير من سلوكياته ليتكيف مع الجماعة التي يعيش معها ، فنحن من أجل التكيف مع مواقف الحياة ، نستخدم مختلف الأساليب التوافقية .

ففي مرحلة الطفولة يكتسي التكيف طابعاً مميزاً ، فهو عند الطفل توافق مع الموقف الجديد فعندما يولد طفل جديد للأسرة تهتز عملية التوافق السابقة عند الطفل الأول ، فيعمل لمواجهة الموقف الجديد ، بواحد من الأساليب المتوفرة لديه . فإما أن يظهر اهتمامه بالطفل الجديد ، والمشاركة في العناية به ، باعتبار أن ذلك يشد الأنظار إليه ، ويزيل الظن بوجود الغيرة الطفلية ، وتغطية النزعة العدوانية ، أو أن ينصرف إلى نشاطات تعويضية ـ بديلة ، فيلجأ إلى القراءة والرسم والأشغال اليدوية وهذه نشاطات إيجابية ، وقد يقوم بنشاطات سلبية (كالشقاوة) والعدوان وإذا لم يجد مجالاً بالطرق المشار إليها فإنه يلجأ ـ لاستعادة الاهتمام المفقود ـ إلى المرض أو التمارض ، ليعيد انتباه والديه إليه ، وينعم بالقسط اللازم من العطف .

وقد يلجأ بعض الأطفال إلى أسلوب آخر من التوافق الشاذ فيسرف في أحلام اليقظة ، فيتصور نفسه بطلاً من أبطال المغامرات ، أو نجماً سينمائياً معروفاً ، وقد ينتهي به الأمر إلى المرض العقلي أو الجنون إذا ما أغرق في هذه الأحلام أو قد يفكر في الانتحار ، وهذا ما يحدث لبعض الأطفال العصابيين .

ولا شك في أنه من أجل التوافق يبذل الفرد نشاطاً ، للتغلب على الصعوبات الناشئة ، فالطفل الذي يشعر أنه تخلف عن رفاقه في الفصل ، وبدأت توجه إليه الملاحظات ، وعبارات التأنيب من الأهل والمدرسين ، يشعر بأن عملية التوافق قد هددت فلا بد هنا من أن يكثف جهوده ، ويغير الكثير من أنماط سلوكه ، وطريقة عمله المدرسي ليعيد التوازن المفقود ، ويزيل كابوس

النقد واللوم والقصاص ، ويزيل الشعور بالنقص والدونية الذي ألمَّ به نتيجة الإهمال . وهذه وسيلة كما أشرنا من وسائل التوافق الإيجابي . أما الوسيلة السلبية .فتتمثل بالسلوك الانسحابي والاستغراق في الوهم والخيال ـ وهذا أسلوب نكوصي ـ في التوافق . ـ وقليلون هم الذين يستخدمون وسيلة ناجحة لإعادة التكيف من المرة الأولى ، فالغالبية العظمى من التلامذة يستخدمون وسائل عدة بطريقة غير مباشرة ، ليستقروا بعد ذلك على الوسيلة الأفضل والأمثل ، الوسيلة الإيجابية في إعادة التوافق . والشخصية القوية السليمة هي التي يقوم صاحبها بعملية المواءمة فور اختلال عملية التكيف ، حيث يقدر على مواجهة المواقف الجديدة بحكمة وحزم وواقعية ، وفي حال نجاح التجربة التوافقية الأولى وثباتها فإنه من السهل تكرارها في مواقف أخرى مشابهة «وكما الإحباط يبتدىء منذ الميلاد وينتهي بالوفاة ، فإن التوافق يبتدىء مبكراً جداً في الحياة ويستمر حتى الوفاة»[1] وفي الحالات السلبية يكون التوافق بالنكوص (والنكوص عملية لا شعورية يعود فيها المرء تحت تأثير ظروف معينة إلى أنماط سلوكية طفلية مبكرة) وهذا نوع من أنواع التقهقر إلى الوراء ، وأسلوب شاذ من أساليب التوافق ، هذا في حين يعتمد الأفراد من ذوي الصحة النفسية السليمة إلى الروية والتفكير ومواجهة المشكلات بعقلانية .

والتوافق غاية مهمة من غايات الإنسان ، وهدف من أهدافه ، يسعى إليه من أجل الاستقرار النفسي والاطمئنان . والتكيف مع البيئة مبعث للارتياح في النفس ، ومن دواعي السرور ، ووضع حد للقلق ، والوهم والتوتر .

منذ أقدم العصور لجأ الإنسان إلى عملية التوافق بطرق بدائية ، وعن طريق السحر والتعاويذ والطلاسم ، ومحاولة كشف الغيب ، ومن ذلك الوقت وحتى تاريخه ، ما يزال الكثيرون يعتقدون بالحظ وبالتفاؤل والتشاؤم ، وبأيام

---

(1) د. عبد المنعم المليجي ، د. حلمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 392 .

سعد ، وأيام نحس ، ومن أرقام تبعث على التشاؤم ، وأخرى تبعث على التفاؤل ، وكأنها مؤشرات إلهية على حسن أو سوء طالعنا .

«والتوافق اتصال مباشر للفرد ببيئته ، بقصد إشباع حاجاته ، فلا تجاوز للواقع العِلّي إلى الغيبيات ، ولا لزوم للتوسط أو الشفاعة ، ولنأخذ بالأسباب بدل الرغبات والتخيلات»[1] .

ولكي يتوافق الإنسان ، عليه أن يعرف ما يريد ، وما هو مطلوب منه ، وما المطلوب من الآخرين بالمقابل ، حتى لا يحدث تعارض بين رغبته ورغباتهم .

سوء التوافق :

من الأخطاء الشائعة عند الأهل ، التي تنعكس سلباً على الطفل وتؤدي إلى سوء توافقه ، ترداد القول : (لقد وُلد خطأ. . . لقد جاء بالخطأ) وكأنها إشارة من الأهل إلى أنه طفل غير مرغوب فيه ، أو أنهم متعبون من تكلفة تربية الأبناء ، وأنه وُلد ، ليكون بمثابة عبء جديد ، وهم يرضخون للواقع ويقومون بتربيته تكفيراً عن الخطأ الذي ارتكبوه ، أو أنهم لم يكونوا بحاجة إلى أولاد من جنسه إذْ قد رزقوا كثيراً من هذا الجنس. .

كل هذه الأحاديث التي تتردد على سبيل الدعابة تترك أثراً بالغاً في نفس الطفل حيث تتضاءل فائدة التدليل والاعتزاز بعد ذلك ، فهو سيظل يشعر بأنه طفل لم يكن مرغوباً فيه ، وهم يتعاملون معه على أنه أمر واقع .

وحتى التدليل المقصود والموجه لإشباع رغبة الوالدية والأمومة الزائدتين عند الأب والأم ، يفقد معناه عند الطفل بعد فترة من الزمن ، حيث يكتشف أن والديه يمارسان حباً يعود لراحة نفسيهما ، فهو مصدر بهجة غير مقصودة

---

(1) د. كمال دسوقي ، علم النفس ودراسة التوافق ، ص 385 .

لذاتها . لكن هذه الفئة قليلة من الوالدين ـ إذ أنه غالباً ما يمتزج هذا النوع من المحبة بالأثرة والتضحية فيتعب الأهل ليرتاح الولد ، ويسهرون لينام ، ويجوعون ليأكل ويغتذي ، وينمو ويتألمون لينعم بالفرح والسرور .

وقمة الرفض وسوء التوافق ، يظهر عند الطفل في السنة الثالثة من العمر ، فهو معاكس ، سلبي عنيد ، وغالباً ما يكون ذلك نتيجة عدم تسامح الوالدين أو إعطاء الفرصة الكافية للكلام ، أو التعبير عن أفكاره. وليس أصعب عليه في هذه المرحلة من أن يُقطع كلامه بعبارات (اسكت. . . كفى ثرثرة. . . الخ) . إنّ هذه الموانع والزواجر تتحول إلى رفض الخضوع والانتقام من الأشياء المحيطة به ، من أدوات المنزل ، فيكسر عمداً أو يُتلف بعض الأغراض ، ليشد الأنظار إليه ، ويستعيد الرضا والقبول المفتقدين وهذا الأسلوب من التحدي لإرادة الكبار يرافق الطفل ولا تخف سلبيته قبل سن الرابعة من العمر .

عقبات التوافق :

هناك عوائق تحول دون التوافق النفسي والاجتماعي لدى الفرد ، وهي تنقسم إلى مجموعتين أساسيتين :

أ ـ عوائق خاصة بالفرد نفسه ، وبقدرته وأساليب توافقه .

ب ـ عوائق متعلقة بطبيعة الموقف ذاته ناشئة عن ظروف بيئية .

فالعقبات الخاصة بالقدرة ، قد تكون ممثلة في نقص السمع أو البصر ، أو أي مرض جسمي آخر ، يضاف إليها اختلال نظام الغدد . أو قد يكون نقصاً في الأداء والاستعدادات وانخفاض درجة الذكاء ، أو مبالغة الوالدين في نظرتهم إلى الطفل وأنه سيكون من الأوائل في صفه الدراسي ، أو سيكون موهوباً ، ومتفوقاً ، وهذه التبعية الملقاة على الطفل تقف عائقاً ضد توافقه .

وقد يضطر الطفل لتغيير مفاجىء في توافقه كما في حالات ، وفاة

الوالدين ، أو أحدهما ، أو ولادة أخ جديدة في الأسرة ، أو في حالة تغير اقتصادي هائلة (قفزة نوعية) نحو الأعلى أو الأسفل ، فهنا يبدو الطفل أمام موقف جديد من هذه المواقف ، فهو سيبذل جهداً كبيراً في سبيل التوافق معه ، وسيزيل السلوكيات القديمة التي كانت متوافقة مع النهج القديم ليستبدلها بتوافقات جديدة ، وأنماط سلوكية جديدة ، تتفق مع الموقف الجديد .

وهناك نوع من عدم التوافق سببه الأهل والمدرسون ، لعدم تدريبهم الأطفال على مواجهة المواقف الجديدة ، كاكتساب العادات الحسنة ، وطريقة صرف النقود والتعامل مع الآخرين ، وغالباً ما توجد هذه الأنماط في البيوت التي تعمل فيها الأمهات خارج المنزل ، وفي المدارس التي لا يهتم فيها المدرسون باعتماد الطرق التربوية والنفسية الخاصة بالطفل والداعية إلى فهمه فهماً صحيحاً ، والتعامل معه على هذا الأساس .

ومن هذه العقبات التي تقف في طريق التوافق ، هي فرض هوايات معينة على الطفل لا يحبها ولا تتفق مع ميوله ، كدفعه إلى دراسة الموسيقى أو الرسم أو غيرها من الفنون . فهو سيشعر بالتخلف عن رفاقه البارعين في هذا المضمار والذين أقبلوا على هذه الدراسة بدافع الرغبة الشديدة . وكذلك فإن الأطفال الذين يتخذون لهم رفاقاً من مستويات اجتماعية ومالية عالية تفوق مستوى أسرهم الاجتماعي والاقتصادي ، فهم سيعانون مشاعر النقص بحيث يصعب عليهم التوافق في هذه الحالة . أو التوفيق بين الصداقة وقبول الفوارق كذلك يمكن القول نفسه بالنسبة للأجنبي الذي يرافق أبناء البلاد الأصليين فهو سيبقى مدفوعاً إلى الشعور بأنه دون غيره ، ولو لناحية المواطنية والانتماء .

وهناك عقبات تنشأ عن التشبث بعقائد باطلة التي تبدو غير منسجمة مع التطلقات الجديدة للمجتمع الجديد ، ومعظم نماذج هذه الفئة هم من غير الناضجين انفعالياً واجتماعياً ، لذلك يجب أن يتم تزويد الطفل بعوامل هذا النمو منذ السنوات الأولى لطفولته .

ومن العقبات التي تقف حجر عثرة في طريق التكيف هي الانتقال المتتالي لسبب أو لآخر من مدرسة إلى مدرسة أخرى ، حيث نجد الطفل في كل منها معرضاً لنوع جديد من التكيف وكذلك الانتقال من بيت إلى بيت ، أو من حي إلى حي . كل ذلك يتطلب من الطفل إعادة تنظيم مواقفه من جديد ، وتنظيم توافقه من جديد ، وأحياناً يحدث أنه ما أن يتكيف مع هذا المجتمع الجديد حتى يُنقل إلى مجتمع آخر ، ويقال الأمر عينه بالنسبة للانتقال من عمل إلى آخر .

* * *

ـ ب ـ

التوافق الطفولي

يكاد يكون عمر الإنسان عبارة عن توافقات متتابعة ، مع تطور مراحل العمر ، ويشار إلى أن أول عملية توافق يقوم بها الطفل الحديث الولادة تلقائياً هي توافقه مع نظام الغذاء ، والخضوع لنظام الوجبات . ونذكر الأم هنا بعدم الرضوخ لصراخ الطفل المطالب بالغذاء حفاظاً على نظام التكيف ، الذي يتطور تدريجياً حتى ينجح كنظام الكبار (أي ثلاث وجبات في اليوم) ، وبذلك تتلاءم الوجبات مع نظام المدرسة أيضاً ، وما يقال عن تناول الوجبات ، يقال عن موعد الذهاب إلى النوم في ساعة محددة .

ونشير هنا إلى مراحل عمر الإنسان . مع امتداداتها ، وفق جدول خاص بذلك(*) .

اسم المرحلة	امتداداتها
1 ـ مرحلة ما قبل الولادة	من الحمل إلى الميلاد
2 ـ الوليد	من الميلاد إلى نهاية الأسبوع الثاني
3 ـ الرضيع	من الأسبوعين إلى السنتين
4 ـ الصبا المبكّر	من 2 - 6 سنوات

(*) جلدارد ، وايلي ، أسس علم النفس 1963 .

اسم المرحلة	امتداداتها
5 ـ الصِبا المتأخر	من 6 - 12 سنوات
6 ـ البلـوغ	من 12 - 14 سنة
7 ـ المراهقة الأولى	من 14 - 17 سنة
8 ـ المراهقة الثانية	من 17 - 21 سنة
9 ـ نضج الرشد.	من 21 - 60 سنة
10 ـ الهـرم.	من 60 حتى الوفاة .

وتأتي الخطوة الثانية من التوافق الطفولي ، وهي ضبط التبول والإخراج والنظافة بشكلٍ عام ، وأن يأخذ دوره تدريجياً في عملية تنظيف نفسه ، وبالمناسبة يجب أن يلفت الطفل وبعناية وهدوء إلى مكان الإخراج والأمهات لا يتدخلن كثيراً في هذه العملية ، ويتركن الطفل ليتكيف آلياً ، ومع تطور نموه الجسدي ـ وهذا صحيح ـ لكن على أن تضبط هذه العمليات في المراحل الأولى من قبل الأم وتحت إشرافها وتوجيهها فإن ذلك من شأنه أن يحقق سِمة الدقة والتنظيم في حياة الطفل ، وفي كيفية قضاء حاجاته بالذات . ويجب أن يعرف الطفل ، ومنذ نعومة أظفاره أن للأشياء حدوداً وقيوداً لا يمكن تجاوزها . فالأكل والنوم ، والصياح . . . وغيرها ، هي ليست مجالات مفتوحة أمامه بشكل دائم ، وبالقدر الذي يريده الطفل ، فلا بد أن يوجه إلى وجوب أخذ القسط الكافي من ذلك كله ، ولا يتجاوزه حفاظاً على صحته ، وصحة الآخرين ، وعلى راحته وراحة الآخرين . ويجب أن يُدرب على الاعتقاد بأنه لا يعيش لذاته فقط بل ، ولغيره ، وهذا الغير يعمل من أجله ، وهذه أولى محاولات التفاعل الاجتماعي بصورتها المبدئية . وهذه بالتالي هي الخطوات الأولى نحو معرفة الخطأ والصواب ، الخير والشر .

أما ذلك الإزعاج الذي يشعر به الوالدان بسبب مخالفة الأطفال لهذه

الضوابط ، فلا يدرك الطفل سببه تماماً . فهو لا يدرك مثلاً أن الأمر الذي أحدثه مزعج ، وكل ما يدركه أن الأهل قد غيروا سلوكهم نحوه ، من السلوك الإيجابي إلى السلوك السلبي ، ولذا كانت عمليات الضرب والقسوة في قصاص الطفل ليست ذات فائدة ، إذا لم تكن مقترنة بالتوجيه وربط القصاص بالذنب ، على أن تكون القصاصات طبعاً بمقدار الذنب ، لا أن تكون تعبيراً عن درجة انفعال الأم وعدم ارتياحها من أمر ما ، فتسقط انفعالاتها على رأس الطفل المسكين .

وكعملية تساهل من أحد الوالدين أو كليهما ، يهملان القصاص أو يتجاهلاته مرة ويطبقانه مرة أخرى بحجة أنهما لا يريدان الإكثار من القصاص لسلامة صحة الولد النفسية ، ولكن مثل هذا التسامح ـ الذي هو في غير محله ـ يُضر بتربية الطفل ، واختلال مفاهيم القصاص في ذهنه ، لذلك يقتضي ألا تترك غلطة إلاَّ ويلفت النظر إليها ويُعطى التوجيه اللازم ثم يطلب التصحيح . أما استعمال القصاص الجسدي أو عدم استعماله فيعود تقديره للأهل ولكن لا بد من موقف يسجله الأهل تجاه عمل الطفل ليشعر أن أفعاله كلها مرتبطة إن لم نقل بالثواب والعقاب ، فهي على الأقل مرتبطة بمفهوم (المقبولة وغير المقبولة) التي يجب أن يدلي بها الأهل صراحة إزاء عمل الطفل .

وفي غمرة الحديث عن التوافق الطفولي نشير أيضاً إلى مسألة لا يمكن أن نغفلها ، وهي ضرورة إحاطة الطفل في هذه المرحلة التوافقية التطبيقية بكثير من العطف والحنان وخاصة من الأم . فحبها لطفلها أكثر أهمية في نموه النفسي والجسدي من الڤيتامينات على أنواعها . وعلى الأم أن تدرك أنها ليست مجرد أداة للتغذية والمحافظة على المأكل والمشرب والملبس الخاص به ، بل هي ينبوع متدفق من حنان وعطف ، فهو يأنس بقربها ، ويفزع إليها إذا أحسَّ بألم أو خوف أو أذى .

إن في معانقته لها بشوق ولهفة ، وهو قادم من غياب ساعات في روضة الأطفال لدليل على ذلك الجوع العاطفي الذي لا تشبعه ألعاب الدنيا وزينتها ، وحلواها ومباهجها . وأكثر الأمهات جهلاً هي تلك التي تميل بوجهها عن الطفل عندما يهرع إليها بحجة أنها منهمكة بالعمل البيتي أو بالمطالعة ، أو بأي عمل آخر ، إنها تحرم الطفل من حق مقدس من حقوق الطفولة ، فهي والحال هذه تفقد رمز الأمومة ولم تعد سوى مولِّدة بيولوجية لإنجاب الأطفال فقط . وأما الطفل المسكين الذين يلقى مثل هذه المعاملة من مثل هذه الأم فسيقابل ذلك بالاحتجاج وعلى طريقته الطفولية بالصراخ أو الرفض ، أو بالعبث بأواني المنزل ، أو بالاكتئاب ومشاعر الخيبة والمرارة . وقد يتحول عن أمه إلى أشياء أخرى ، إلى اللعب ، والحلوى ، ولكن أنى لهذه الأشياء أن تحل محل الأم وتشبع الرغبات التي تشبعها الأم .

وعلى الأم ألا تنسى المعاناة التي عانتها في حمله والتي يشير إليها القرآن الكريم(*) وهي أول لفظة درجت على لسانه منذ قدومه إلى هذا العالم (ماما) وإليها قدم أول ابتسامة رضا إبتسمها لهذا العالم المليء بالقهر والعذاب . وماذا بعد ذلك»؟! . .

وتترافق مسألة حاجة الطفل إلى حب وحنان الأم مع موضوع حب الاستئثار بالأم أو بالأب ، فالطفل يرغب في أن تكون الأم أمه وحده ، وكثيراً ما يزعجه أن تكون أماً للآخرين ، إنها ملكيته الخاصة ، وهو غير مستعد للتنازل عنها لأحد . ويرى علماء علم النفس التربوي في هذا الموضوع أنه من المفضل أن يُترك الطفل ليكتشف تدريجياً أن أمه هي أم لغيره أيضاً ، ووالده هو والد لغيره ، ومع هذا الاكتشاف تكون النقلة من الأنانية إلى الغيرية . وهي

(*) ﴿. . . حملته أمه كُرهاً ، ووضعته كُرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً. .﴾ إلى آخر الآية الكريمة [سورة الأحقاف : الآية 15] .

مراحل حتمية لا بد من أن يمر بها الطفل .

وينتقل هذا الشعور عند الطفل من الأبوين إلى المعلم في السنوات الأولى من مراحل التعليم حيث يتمنى الطفل ويرغب في أن يكون المعلم ـ وهو هنا البديل المؤقت للأب ـ أن يكون له وحده لكنه سيدرك أيضاً وبعد وقت قصير أن المعلم هو كوالد الجميع ، وليس وقفاً عليه وحده . وعلى الآباء والمدرسين اعتماد الحكمة والروية إزاء هذه المرحلة الانتقالية في حياة الطفل فلا يُكثروا من الزواجر والنواهي الجافة المتشددة ، وأن يساعدوا الطفل على اجتياز هذه المرحلة بروح العطف والمودة حتى يبلغ أشدَّهُ .

استمرار عملية التوافق بين سن 3 سنوات وحتى البلوغ :

تبدأ حلقة الذاتية أو الأنانية ، وحالة الاستئثار عند الطفل بالاتساع نحو الغيرية ، وكذلك فالحلقة الاجتماعية هي الأخرى تزداد اتساعاً ، فيدخل في قائمة العلاقات الاجتماعية غير الأم والأب والأخوة والأخوات ، والأقارب والجيران ، إذ ما إن تأتي سن الدراسة ، وإذا بعالم جديد يفتح مصراعيه فجأة أمام الأولاد ، إنه المدرسة ، حيث هناك بدائل للأم والأب . أناس غرباء لم يرهم الطفل من قبل ، وزملاء جدد في مثل عمره (من الجنسين) .

وبالانتقال من سنة دراسية إلى أخرى تزداد الرقعة الاجتماعية اتساعاً لتشمل زملاء جدد في صف جديد ، وتتطور مع ذلك الأساليب الكلامية ، واللغة ، التي تنمو ، وتزداد الثروة اللغوية فيها . والابتسامة تتحدد ملامحها ، ومواقعها ، فهي لم تعد كما كانت في مرحلة ما قبل المدرسة يمنحها الطفل لمن يشاء وأنى يشاء . فهي هنا مقصورة لرفاق معينين ، وتصبح ذات دلالة نفسية واجتماعية ، لها سمة تعبيرية عن الشعور الصافي البريء ، والتي تختلف عن الابتسامات الماكرة الكاذبة عند بعض الراشدين المتحرفين لهذا النوع من

الابتسامات ، ومع ذلك تتطور وتتسع المدارك العقلية فنطلق الأسماء على مسمياتها الحقيقية بعد أن تكون قد اكتملت صورتها في الذهن .

يرافق النمو العقلي هذا ، النمو الخلقي ، حيث يبدأ الضمير الخلقي بالتكون ، إلى جانب بعض المبادىء والقيم ، ويتدرج المثل الأعلى في الاتساع بعد أن كان محصوراً بالأب ويتوسع ليشمل المعلم ، وبعد ذلك عظماء التاريخ والأبطال ونجوم الرياضة والفن وما لم يستطع تحقيقه في الواقع يلجأ إلى تحقيقه في الخيال .

وتأتي اللعب على اختلاف أنواعها ليشكل معها الأولاد توافقاً جديداً ، فهي تعتبر بمثابة تعويض عن محبة الأم التي أضعفها اشتراك آخرين ، وهم الأب والمولود الجديد والأخوة والأخوات ، فضلاً عما تحققه هذه اللعب من مهارة ورياضة الحواس ، والمعرفة والاستطلاع . ويترك الصبيان اللعب إلى ما هو أكثر تعويضاً في المراحل التالية كالقراءة والهوايات مما يوجد في الجو المدرسي .

وما يُعرف (بسن اللعب) يبدأ في الخامسة ، عندما يبدأ الطفل بالخروج من البيت وحده ليشارك في ألعاب جماعية مع رفاقه ، من أطفال الحي ، وفي هذا الانتقال من اللُعب الجامدة إلى الأشخاص الأحياء ، نقلة من اللعب الخيالي ، إلى اللعب الواقعي .

والطفل في التاسعة أو العاشرة من العمر ؛ هو كلما كبر يقل ارتباطه بالأسرة ليتوجه إلى أسرة المدرسة . وبالتحديد إلى رفاق السن الذين يفهمهم ويفهمونه ويكتمون سره ، ويكتم أسرارهم ، ويتحول شيء من الولاء للأسرة إلى ولاء للعصبة وقائدها .

- ج -
التوافق المدرسي

إذا كان التوافق في صوره القديمة يتلخص في تعليم الأبناء لمهنة الآباء ليصبحوا قادرين على الإنتاج والاعتماد على أنفسهم . فإن هذه المهمة في العصر الحديث قد أوكلت إلى المدرسة ، لكي تهيىء الأطفال لدخول المجتمع والتكيف معه . وهذه العملية المعقدة تستغرق وقتاً طويلاً . تبدأ في سن الخامسة أو قبل ذلك أحياناً وتستمر إلى ما بعد العشرين ، يقضي فيها المتعلم ما يقارب ربع حياته ، ويكمل في البيت ، ما طلبت إليه المدرسة إنجازه .

ولما كان المجتمع قد وصل إلى درجة من التعقيد ، فالمدرسة هي الأخرى تواجه صعوبة في مسايرة حركة التطور والاجتماعي ، إذ هي أصبحت ملزمة بتغيير وتعديل مناهجها تارة والتدخل في سلوكيات روادها تارة أخرى ، لأنها تعدهم لمجتمع متغير ، متحول . من هنا تبدو عملية التوافق المدرسي ضرورية ولا سيما أن الحاجة أصبحت ملحة إلى أخصائيين في جميع المجالات العملية والحياتية .

وتنازل الأهل طائعين عن قسم أكبر من مسؤولياتهم تجاه أولادهم لصالح المدرسة ، التي عهدوا إليها القيام بمهمة التعليم والتهذيب والتربية بالنيابة عنهم . وما إرسال الأهل لأطفالهم قبل سن الخامسة من العمر إلى مدارس الروضة إلّا انعكاساً للرغبة التي تحدوهم في كسب سنوات من عمر الولد ،

يقضيها في عهدة معلمين متخصصين ، فيريحون أنفسهم وينصرفون إلى إتمام الأعمال الحياتية للإنفاق على أولادهم .

وأولى عمليات المقاومة لعملية الانفصال عن البيت والتوجه قسراً إلى الروضة وإلى المدرسة الابتدائية ، تبدو في البكاء والعويل الذي نشهده على أبواب هذه المدارس في الأيام الأولى للسنة الدراسية ، حيث تتعالى أصوات الأطفال رافضة ، مستجيرة طالبة النجدة من هذا المأزق ، وهذا الموقف الصعب الذي وُضعوا به . إنّه دفعٌ قسري للتكيف والتوافق مع مجتمع جديد يجهلونه ، وكل ما يعلمونه عنه ، أنه مقيد للحرية ، فلا حركة حرة ، ولا لعب ، ولا تناول طعام في كل وقت ، ولا كلام إلاّ بإذن خاص ، ولا هواء طلق . ولا ألعاب إلاّ في أوقات خاصة ومحدودة يقطعها صوت جرس المدرسة ، وهم في ذروة النشوة ، والويل لمن يتأخر ، ولم يستجب لصوت «هذا الجرس اللعين» .

كل هذه الصورة الوهمية تتجمع في ذهن الطفل لتشكل هاجساً كبيراً أو كابوساً مرعباً هو الذي يدفعه إلى البكاء المر والمعارضة الشديدة لدخول هذا «القفص» يضاف إلى ذلك وهو الأهم مفارقة الصديقة ، العزيزة ، الحنونة ، العطوفة ، الأم إلى وجه جديد لم يألفه بعد فتزيد مأساته وتشتد معارضته .

هذا الفطام الذي نطلق عليه عبارة (الفطام الثاني) وذلك بعد الفطام الأول الذي يتمثل بتحول الطفل عن حليب الأم إلى الغذاء الخفيف ، فإلى أطعمة الكبار . هذا الفطام الثاني المتمثل بسلخ الولد عن أسرته ، عن الأم ، والبيت ، والأخوة لهو أشد وأبلغ من الفطام الأول ، لأنه يحدث هنا ، وقد ترسخت علاقاته الوجدانية مع من يحيط بهم . من أجل ذلك سارت هذه العملية بخطين متوازيين أحدهما يتولاه الأهل ، الذين عليهم إعداد الولد بأساليب التشويق لهذه النقلة المهمة ، ولا بأس من مرافقة الأمهات لأطفالهن ليبقين إلى جانبهم

في المدرسة لبعض الوقت ، ريثما يألفون الأجواء الجديدة . والثاني تولته الإدارة المدرسية والمعلمون الذين فتحوا الأبواب والقلوب لاستقبال الوافدين الجدد ، وخففوا من القيود النظامية الثقيلة عن هؤلاء التلامذة مع منحهم بعض الامتيازات عن بقية رفاقهم في الصفوف والمراحل المتقدمة . وما أُدخل إلى رياض الأطفال من تطوير في الشكل والمضمون ، سوى الدليل الواضح على الرغبة في تخفيف وطأة هذه النقلة من مجتمع إلى مجتمع جديد ، ولتخفيف تأثيرات عملية الفطام الثاني هذه وتجاوزها بسلام .

ويدخل الطفل الروضة أو المدرسة ، وتبدأ معاناة التوافق المدرسي ، التي تسلمها المدرسون بما أوتوا من حكمة وصبر وتؤدة ، وعطف شديد ليحلوا محل الأب أو الأم ، وتحويل علاقة الطفل الجديدة معهم إلى علاقة أبوة أو أمومة ، فهم أهلٌ جدد ، وأخوة جدد . وبذلك يزول عامل القلق والخوف ليحل محله عامل الرضا والاطمئنان . والمعلم وهو البديل للأب . والمؤهل الأول لعملية توافق التلميذ مع الجو المدرسي ، تقع على عاتقه مسؤوليات جسام ، لذلك ينبغي عليه أن يكون مربياً قبل أن يكون معلماً . ملماً بمادته ، يسوقها إلى التلميذ بأسلوب مشوِّق ، حتى لا ينفر منها هذا التلميذ ، وينفر بالتالي من المدرسة ، وأن يكون موجهاً ومرشداً ، يعمل على إشباع رغبات تلامذته بالطرق التربوية المناسبة .

وحتى يستطيع المعلم أن يحقق هذا التوافق بين التلميذ ، وبين الأجواء المدرسية عليه أن يكون متوافقاً هو نفسه مع مهنته ، يحبها ويخلص لها ، فلا يُشعر التلميذ بالكراهية ، والظلم والنفور ، لأن الرمز ساعتذاك يسقط ، ومتى سقط الرمز ، سقط المرموز إليه .

وإذا المعلم لم يشبع حاجات تلميذه بما ينبغي أن تشبع ، فهو يلوذ برفاق السوء ليرتبط معهم بعلاقات مشبوهة ، إذ تجمع هؤلاء الرفاق مشاعر الإحباط والفشل وكراهية المعلم ، ويشكل أفراد العصبة هذه (مدرسة داخل المدرسة)

تقود حركة التطرف والانحراف . وهنا يأتي دور رقابة المدرسين والأهل لمنع تشكيل هذه الجماعة أو انضمام الولد إليها .

العوامل التي تساعد على التوافق الدراسي :

1 ـ إتاحة فرص التعليم أمام الجميع . والمساواة بين التلامذة .
2 ـ الكشف عن القدرات ، وتوجيه المتعلم وفق هذه القدرات .
3 ـ خلق روح التنافس الخير بين التلامذة ، وتشجيع العمل الجماعي .
4 ـ الاهتمام بالوسائل التعبيرية الشفوية ، كعمليات الخطابة والمسرح .
5 ـ تدريس المواد المتعلقة باختصاص التلميذ المستقبلي ، وعدم تحميله من المواد الدراسية ما هو فوق طاقته .

أما عن سبب عدم توافق التلامذة مع مواد دراسية معينة ، فقد أجريت استفتاءات بين طلبة المدارس حول هذا الموضوع بتوجيه سؤال : (لماذا لا يرغب بتعلم هذه المادة) ؟ فكانت الإجابات متنوعة وكلها تدل على تبريرات يوجدها التلميذ لدعم حجته ، وهذه الإجابات متفاوتة بين القول بأنها مملة ، رتيبة ، لا جدوى منها . وبين نفور من المدرس وطريقة تدريسها ، أو سلوكيات هذا المدرس مع التلامذة ، إذ يعمل بطريقة غير مباشرة على تنفيرهم منها كأن يفرضها عليهم فرضاً ، أو يقول لهم كما هو سائد في معظم المدارس (لا شأن لي في الأمر ، أنا أدرس مقرراً كلفت بتدريسه من قبل وزارة التربية ، وليس أكثر) أو أن يقول : هي مادة يجب أن تدرسونها لأن الرسوب فيها يلغي الامتحان . مثل هذه الأقوال غير المقبولة من المدرس تعزز نفور التلامذة من المادة ، فيحسون فعلاً أنهم يدرسون أمراً ليسوا بحاجة له ، ولا يميلون إليه ، فهم مكرهون على قراءته .

ويلاحظ أن مسألة ترك المدرسة في مستهل المرحلة الثانوية ، غالباً ما يكون مسبوقاً بفشل في التوافق الدراسي ، والمعالجات التقليدية التي تجري

للحيلولة دون ترك المدرسة لا تجدي نفعاً ، بل تزيد التلميذ إصراراً وتشبثاً بتركها وهو وإن رضخ للتوسل من قبل أهله واستمر في الدراسة ، فهذا الرضوخ قسري ولن يستمر طويلاً ، والحلول هنا هي في عدم تأجيل الجهود المبذولة لعدم التوافق المدرسي ، حتى تصل إلى هذه النقطة ، إذ تصبح مرضاً مستعصياً يصعب معه العلاج . والمفضل أن تجري هذه المعالجات منذ ظهور الملامح الأولى لعدم التوافق المدرسي والعمل على توضيح ما هو غامض من الأمور ، وخلق الأجواء المساعدة على التكيف مع المدرسة .

وفي استفتاءات مبدئية حول الرضا وعدم الرضا عن البرامج المدرسية والعمل المدرسي بين صفوف الطلاب ، تبين أن مجموعة الطلاب التي أعربت عن عدم الرضا كان أفرادها من غير المتوافقين مع العمل المدرسي ، ومعظمهم قد ترك المدرسة بعد ذلك بقليل . وفي تحليل الأسباب الكامنة وراء نفورهم هذا تبين وجود أمرين ملفتين :

أولهما : عدم الرضا عن المعلمين والمناهج والطريقة التي تدرس فيها .

ثانيهما : النقمة العارمة على المجتمع المحيط بها ، والذي لا يوفر الفرصة للمتعلمين ليعيشوا حياة حرة كريمة ، مما يعمل على انخفاض الدافعية ، فاليأس ، فترك المدرسة .

ـ وإعادة أسباب الفشل المدرسي في الغالب إلى نقص الذكاء ، أو نقص القدرة أو قلة الاستذكار ، أمر مشكوك فيه ، أو هي على الأقل أسباب ظاهرية ، لكن الدراسة في العمق تظهر أن المسألة مسألة توافق أو عدم توافق مع النظام المدرسي فالولد غير المتوافق مع الجو الأسري ، قد يصعب عليه التوافق مع الأجواء الدراسية فهو يتكيف قسراً .

والمدرسة تغذي الفوارق في القدرات ، فتبرز نخبة من المتفوقين ليطمحوا بالوصول إلى مراكز قيادية في مجتمعهم ، تؤهلهم لها كفاءاتهم

العلمية ، والتعليم الديمقراطي هو الذي يخلق الأجواء الكافية لتفتح هذه الإمكانيات أمام جميع أفراد الشعب ولا تعارض التربية الديمقراطية من أن يكون من الأهداف التربوية اختيار النخبة القادرة على قيادة المجتمع ، وتفسح في المجال أمام تصعيد طبقة من الفقراء لتتسلم مثل هذه المراكز القيادية ، بفضل نشاطها وإخلاصها وقدراتها وانتمائها إلى فئة النخبة أو الصفوة .

والطلاب هم الفئة الكبرى القادرة على التأثير على نظام الحكم ، بما لها من امتداد شعبي في وسط طبقات المجتمع ، وما لها من قوة تأثير منطقية وعلمية على تحريض الجماهير وتوجيهها . والحركات الطلابية غالباً ما ترتدي طابع الثورة والتغيير كما حدث في فرنسا سنة 1968 . وما قيام الطلاب بالمناداة باتحادات طلابية ، وإجراء انتخابات حرة ، لا تتدخل فيها السلطات السياسية ، سوى جزء من هذه الثورة ـ ثورة الشباب على المجتمع التقليدي ـ .

وبدأت في بعض بلدان العالم تقوم عمليات امتصاص لنقمة هؤلاء الطلاب كإشراكهم في مراكز قيادية ، ومجالس تمثيلية ، وتحميلهم المسؤولية أسوة بغيرهم من رجال السياسة ، فينزع بذلك فتيل الثورة الشاملة .

ـ د ـ

مشكلة النظام

من أكثر المشكلات التي يشكو منها الأهل والمربون ، هي مشكلة النظام ، فهم يشكون بأن أطفالهم غير منظمين ، هم فوضويون في ترتيب حاجياتهم وكتبهم وثيابهم فوضويون في توقيت تناول طعامهم ، وأوقات دراستهم ، وتنظيم حياتهم اليومية لا يميزون أحياناً بين ما هو مقبول ومحبب ، وما هو مكروه وغير مقبول ، وبالإضافة إلى ذلك فهم لا يشعرون بالمسؤولية ، ولا يكترثون للعقاب ، وغالباً ما تترافق هذه الصفات مع الأنانية والشغب والشجار مع الرفاق في المدرسة ، وفي الحي فتزداد وطأتها على الأهل .

والحقيقة «أن الأطفال المشكلين هم الأطفال الذين نمت لديهم اتجاهات خاطئة ، نحو ما يحيط بهم ، نحو الأسرة أو المدرسة ، نتيجة لظروف معينة في الحياة ، أو أخطاء تربوية يقع فيها الأهل أو المربون»[1] . والسؤال المطروح دائماً هو : متى نعلم الطفل النظام ؟

ـ في السنوات الأولى لا نستطيع تعليم الطفل شيئاً ثابتاً ودائماً ، لكن يمكن أن نضع الأساس في هذه السنوات «وأساس النظام هو الحب المتبادل والاحترام»[2] .

(1) د. عبد المنعم المليجي ، د. حلمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 411 .
(2) المرجع نفسه ، ص 412 .

فالطفل يطيع عندما يحب ، ويعصي أو يخالف إذا كره ، وهذا مؤشر واضح على أن النظام مرتبط إلى حد بعيد بالطاعة والمحبة والاحترام ، وكثيراً من الأطفال يهتمون بتحسين سلوكهم المدرسي إزاء المدرسين الذين يحبونهم ويطمحون في نيل ثقتهم ورضاهم .

وخير وسيلة لتعويد الطفل على النظام (وهو المقلِّد دائماً) ويعيش في عالم المحسوسات هو أن نكون له القدوة الحسنة ، فباتباعنا للنظام سواء في حياتنا اليومية البيتية أم في حقل العمل ، أم في اتباع قوانين الدولة والمجتمع اللذين ننتمي إليهما ، والطفل يراقب ويقلد ، فبذلك نعطيه دروساً عملية في إطاعة النظام والمحافظة عليه .

ومن ناحية ثانية يجب معاملة الطفل بالرفق والحنان والعاطفة أثناء إرشاده إلى النظام وتجنب القسوة المفرطة لأنه كما يقال (من أطاع عصاك عصاك) ويجب أن يفهم الطفل أن النظام لا يُتبع لذاته وإنما لغاية فيها راحة الشخص نفسه وراحة المجتمع .

بعض الأهل يزعزعون مفهوم النظام في أذهان أطفالهم نتيجة سوء تطبيقهم للنظام فمرة يطلبون إلى الطفل اتباع نظام معين ، ويهملون ذلك في مرات أخرى ، أو أن تطلب الأم إلى الطفل اتباع نمط معين من النظام ، فيأتي الأب ليطلب اتباع نمطٍ آخر مغاير ، ذلك يحبط همة الطفل الذي يرفض النظام بشكليه فلعله بسلبيته يتخلص من الإحراج أمام أبويه ؟!.. هذا بالإضافة إلى الأضرار التربوية الأخرى التي يلحقها تعارض آراء الوالدين حول الموضوع الواحد في تربية الطفل ..

وحتى يكون النظام أمراً محبباً ومقبولاً ومعقولاً من قبل الطفل ، يجب أن يكون واقعياً ، لا يفوق طاقة الطفل وإلاَّ نفر منه . أو لم تر أن الديانات السماوية لم تطلب إلى معتنقيها بالتكليف فوق الطاقة ﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ

وسعها﴾ وربما كان ذلك من قبيل تهيئة الأجواء المريحة للفرد ، وحفاظاً على رسالة السماء من أن تترك وتهمل لصعوبة تطبيقها ﴿ويريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ . فكيف بالطفل الذي يكلف باتباع نظام قاسٍ يفوق طاقته على التحمل ، فهو لا شك سيعمد إلى الفوضى المريحة ، ويفضّلها ألف مرة على النظام القاسي الشديد .

بعض الأطفال النابهين يسألون والديهم عن أسباب الأوامر التي يطلبون إليها تنفيذها ويناقشونهم أحياناً في جدواها وصحتها أو عدم جدواها وعدم صحتها ، ويعتبر الأهل ذلك من قبيل التحدي لإرادتهم ، أو هو نوع من التمييع والمماطلة تمهيداً لرفض الأوامر ، وإهمال النظام المرسوم لأطفالهم من قبلهم ، فيعتري هؤلاء الأهل الانفعال الغضبي الشديد ، ويصرخون في وجوه الأطفال (نحن نطلب ذلك) أو بصيغة الأمر المفرد (أنا أطلب إليك ذلك. . .) (أطلب إليك أن تفعل ، ودون مناقشة. . .) وهكذا يظهر الأب أو الأم بصورة الديكتاتور الذي يريد أن يطبق النظام والقانون بالقوة ، دون السماح بمناقشته ، ويتحول الطفل بدوره إلى منفذ للنظام على غير قناعة منه بذلك ، بل لمجرد الإطاعة القسرية ، وخشية العقاب ، وتعتمل النقمة في داخله ، وتكتب لتظهر في ما بعد بصورٍ سلوكية شتى منها عدم احترام النظام لأنه تلون بلون السلطة الظالمة .

ومن وجهة النظر التربوية ، فنحن ندعو إلى الحوار الهادىء الهادف مع الطفل لنجعله يتبنى ايديولوجية اتباع النظام ، ويؤمن جيداً بأن النظام هو طريق الخلاص ، وبواسطته نحقق المجتمع الأفضل ونريح أنفسنا ونريح الآخرين ، ونضمن سلامتنا وسلامة الآخرين ، حينئذٍ يصبح النظام ـ بعد الاقتناع والحوار ـ نابعاً من ذات الطفل ، وليس مفروضاً عليه من الخارج .

وللأسف الشديد ، فنحن كمربين ، والدين ومدرسين ، نتمسك إلى حد

بعيد بمفهوم السلطة التي يجب أن تنفذ دون نقاش . إنها الطريقة التي عوملنا بها ، والنظم السياسية التي نشأنا في ظلها ، تتمثل لدينا في عمليات إسقاطية على أطفالنا . فنحن لا نقاصص الطفل لأنه رفض الأمر ، أو لأنه لم يتبع النّظام أو خالفه ، بل لأنه لم ينفذ أوامرنا ، وكأننا ونحن نعاقبه ، نقتص منه لأنفسنا ، لكرامتنا ، التي نحس بأنها ضعفت ، أو أُسيء إليها من قبل هذا الطفل . من أجل ذلك يجب إعادة النظرة إلى ذواتنا تربوياً فلعلنا نكون نحن السبب في كراهية أطفالنا للنظام من خلال سلوكنا مع الأطفال .

وعلينا أن نناقش أنفسنا حول أهمية وفعالية الأوامر أو (الأنظمة) التي نطلب إلى الأطفال تطبيقها . فالزمن يتغير ، وربما يكون ما نطلب إليهم تطبيقه قد عفى عليه الزمن أو تجاوزه ، فلذلك يقتضي التفكير في أمر هذه الأوامر ، فما كان يمكن تطبيقه بالأمس ، قد يصعب تطبيقه اليوم ، ويجب أن يفهم الطفل أن تنفيذ القانون وإقرار النظام ، لا مصلحة شخصية لنا فيه ، بل هو من أجل صالح الطفل نفسه ، ومن أجل صالح المجتمع ، ولا بأس بالتساهل بين الفينة والأخرى ، عدم تطبيق النظام ، لترك الطفل يكتشف بنفسه مساوىء عدم تطبيق النظام ، ليفهم من ذلك أهمية وفائدة تطبيقه على طريقة ـ والضد يظهر حسنه الضد ـ .

وينصح بعض المربين بترك الطفل يخوض تجربة فاشلة ، شرط ألا تكون نتائجها مدمرة طبعاً ، فالأهل والمدرسون حريصون كل الحرص على صحة أبنائهم ومستقبلهم ، فلا يُعقل أن يُتركوا (يتجرعون السم للتجربة) ، ولكن يمكن الخضوع لتجربة محدودة المخاطر ، فيكون الاستنتاج العملي أكثر ثباتاً من المواعظ النظرية . فكما هو معروف : فالطفل لن يبتعد عن النار ما لم يحرق أصابعه .

أود هنا أن أورد حالة ميدانية من حالات الفوضى وعدم تطبيق النظام في ترتيب الملابس لأحد الأطفال :

«... نتيجة تأخره عن موعد المدرسة ، وانهماكه في تحضير كتبه ولوازمه بسرعة ، يسارع (نديم) بالتوجه إلى المدرسة ، مخلّفاً وراءه ثياب النوم مبعثرة في أرجاء الغرفة ، وبعضاً من كتبه في الغرفة الأخرى . أرادت الأم أن توجهه بطريقة لا ينساها ، وبأسلوب ذكي . تناولت بعد عشر دقائق جهاز الهاتف لتتصل بإدارة المدرسة ، وتحدثت مع الناظر حيث أخبرته بسلوك (نديم) وطلبت إليه أن يوجه له الملاحظة أمام التلامذة مشفوعة بطلب شخصي منها بأن يعود إلى البيت فوراً لترتيب أغراضه ومن ثم يعود بعدها لمتابعة دروسه . وبالفعل فقد دخل الناظر ، ونفذ طلب الأم ثم طلب إلى نديم ـ بناء لطلب والدته ـ أن يذهب إلى البيت وينفذ المهمة ثم يعود وهكذا حدث . كان الدرس للجميع ، وهكذا أرادته الأم ، وأراده الناظر ، تناقل الأطفال ، هذه القصة الطريفة ، بعضهم رأى الأمر سخيفاً ، أو أنه أعطي من الأهمية أكثر من اللازم ، ولكن نديم نفسه ، وقد أصبح اليوم من خريجي الجامعة يقول : بأنه أعظم درس تلقاه في حياته ، وكان له تأثير كبير على مسلكه الدراسي ، وطريقة حياته اليومية» .

إن التساهل في تطبيق النظام في البيت لجهة ترتيب الكتب والملابس ، والحفاظ على المواعيد التي تحددها الأسرة لأفرادها كمواعيد الأكل والنوم والرحلات ، يؤدي إلى اختلال النظام في الأمور الهامة والجوهرية . فمسألة النظام مسألة ترتبط بتنظيم شخصية الفرد وتطبعها بطابع مميز ، وهي وراء الشخصية المتزنة والسليمة .

ـ هـ ـ

المثابرة

تعرّف قواميس اللغة المثابرة على الأمر ، بأنها المداومة عليه أو المواظبة . «والمثابرة هي قدرة الشخص على الاستمرار في عمل معين ، رغم كثير من المشاق العقلية والبدنية ، ورغم ما قد يثيره العمل بطبيعته من ضيق وملل»[1] والمثابرة لا تتوقف على نوع العمل الذي يؤديه الشخص ، بل على الشخص نفسه ، فإذا ما رأيناه مستمراً في عمله بنفس الجدية والاهتمام ثم يتطور فيه نحو الأحسن والأفضل وصفناه بالمثابر ، والمثابرة صفة ثابتة في الفرد الراشد . أما عند الأطفال فهي عرضة للاهتزاز في أي وقت نتيجة تدخّل عوامل عدة ، وإغراءات خارجية كثيرة في العمل الذي يقوم به .

ونحن لا نولد مزودين بالمثابرة . هي عادة نكتسبها ، ترسخ في نفوسنا ، أو لا ترسخ شأنها في ذلك شأن الكثير من العادات الراسخة في سلوكنا .

والمثابرة لا تعني بالضرورة الاستمرار والثبات في أي عمل يوكل إلى المثابر ، فالمثابر في الأعمال البدنية ، قد لا يكون كذلك في الأعمال الذهنية أو العقلية ، فالنظرية التقليدية القائلة ـ المثابر في عمل مثابر في غيره ـ هي نظرية مبالغة في التفاؤل وليس لها حظ كبير من الصحة .

العلاقة بين المثابرة والنجاح :

العلاقة بين المثابرة والنجاح ، علاقة إيجابية ، فهي ترتفع مع ارتفاعه ،

(1) د. مصطفى سويف ، علم النفس الحديث ، ص 236 .

وتنخفض مع انخفاضه ، ويختلف الأمر عندي ذوي الذكاء المتوسط فقد لا نجد ارتباطاً بين الذكاء والمثابرة . ولكن ليس بالضرورة أن يكون الذكي مثابراً ، فقد يكون متوقد الذهن ، وهو في نفس الوقت ضئيل المثابرة ، أو يكون متوسط الذكاء ، وكثير المثابرة ، لكن المثابرة تعوِّض جزءاً كبيراً من الذكاء .

ففي الأعمال التي تتطلب سرعة في الأداء يتفوق الأذكياء ، أما في الأعمال التي تتطلب جهداً ووقتاً فيتميز فيها المثابرون ، من أجل ذلك يقال : إن الأذكياء غالباً ما ينفرون من الأعمال الروتينية ويعتبرونها مملة .

«وإذا توفر للمرء قسط وافر من المثابرة ، وقسط وافر من الذكاء السريع فهاهنا تربة خصبة للنبوغ»[1] .

هناك ركنان أساسيان لا تقوم بدونهما سِمة المثابرة وهما :

- مواصلة العمل .
- واتجاهه نحو هدف معين .

كيف نغرس سمة المثابرة في نفوس الأطفال ؟

أ ـ نضع هدفاً قريباً للأطفال ، ونطلب إليهم الوصول إليه ، شرط أن يُبذل فيه بعض الجهد والتعب ، لا أن يكون سهل المنال بحيث لا يشعر الطفل بلذة نيله .

ب ـ تجزئة الهدف إلى أهداف ، منها القريب ، ومنها البعيد . فذلك يخلق لديه حوافز جديدة ، ورغبة في المزيد من الكسب ، وتحقيق أكبر عدد من الأهداف .

ج ـ إبعاد الأهداف الجانبية التي لا علاقة لها بالموضوع ، والتي تعمل على تثبيت انتباهه وتبديد طاقته . وتطبيق هذه المسألة يحتاج إلى قدر من الوعي . والموضوعية ، والدقة بالإضافة إلى الحكمة في طريقة ونوعية

(1) المرجع نفسه ، ص 240 .

اختيار الأهداف التربوية الملائمة لتدريب الطفل على المثابرة .

قام العالم الألماني (ماكس فرتهايمر) بدراسة حول هذا الموضوع واتخذ من (أنشتاين) موضوعاً لهذه الدراسة ، وكان كل منهما يكن احتراماً كبيراً للآخر ، إذ رضي أن يكون (أنشتاين) موضوعاً للدراسة العلمية . فبعد أن كان هو الفاعل لفعل المعرفة ، أصبح أداة من أدوات هذا الفعل ، ولما لا ؟ والجوهر واحد ، وهو طريق تقدم رسالة العلم بمعناها الشامل العميق . استمرت الدراسة ، سنوات عديدة ، ونشر تقرير يثير الإعجاب بالفاحص والمفحوص . يقول (فرتهايمر) في أحد مواضع هذا التقرير : «بدأت المشكلة في ذهن (أنشتاين) عندما كان عمره ستة عشر عاماً ، وكان عندئذٍ في المدرسة الثانوية وظلَّ مشغولاً بها لمدة سبع سنوات . يقول (أنشتاين) : طوال هذه السنوات جميعاً كنت أشعر بما يمكن أن نسميه شعوراً بالاتجاه ، شعوراً بالمضي قدماً ناحية شيء معين ، وبطبيعة الحال ، فإنه من العسير عليّ ، أن أعبر عن هذا الشعور تعبيراً لفظياً ، ولكن كانت هذه حالتي فعلاً ، ولا بد من التمييز بوضوح بين هذه الحالة ، وبين الاعتبارات ، التي تلت ذلك خاصة ، بالصور العقلية للحل»(1) . هذه المعاناة الوجدانية ـ العقلية التي يشير إليها أنشتاين ، هي عنصر المثابرة . كما تعرِّفه قواميس اللغة .

ظاهرة التثاؤب عند التلامذة :

ظاهرة التثاؤب تزعج المدرسين ، لأنهم يرون فيها دليلاً على عدم المثابرة ، والشعور بالملل والكسل ، أو دليلاً على التبلد الذهني ، أو عدم الانسجام مع الجو التعليمي السائد في الصف ، إلى ما هنالك من تفسيرات ، وجميعها تثير غضب المدرسين فيبادرون إلى قصاص التلامذة وزجرهم .

وهي عادة يمقتها المجتمع ويرى فيها ، شيئاً مما يراه المدرسون ، فيقاومها بعضنا على أنها من العادات السيئة ، التي تطل برأسها إلى كياننا

(1) د. مصطفى سويف ، علم النفس الحديث ، ص 230 .

الفسيولوجي على غير رغبة منا ، فتعطي عنا صورة ، لا نرضى أن نكون فيها .

والحقيقة أنه من الناحية الفسيولوجية ؛ التثاؤب عبارة عن عملية تنفس تثار على نمط الأفعال المنعكسة ، وتكون مصحوبة بتقلص لمختلف عضلات الوجه وظيفتها العمل على زيادة كمية الأوكسيجين في الدم . وهي تحدث بشكل لا إرادي حتى عند الطفل الرضيع ، الذي لم تمضِ أشهر على ولادته بعد ، وذلك لتنشيط الدورة الدموية في المخ .

من هنا علينا أن نصحح النظرية الخاطئة السائدة في أذهان الناس عامة ، وفي أذهان المدرسين . ونوضح أن التثاؤب ليس بالضرورة دليلاً على عدم الاهتمام أو عدم الانتباه ، أو عدم الرغبة في الانتباه، والتعبير عن القلق من سماع شرح أو محاضرة ، أو حديث . فطالما أن التثاؤب يعبر عن مقاومة ضد عدم كفاية الدم الذي يروي المخ ، فهو مقاومة لعدم الانتباه ، وليس مقاومة الانتباه. . .

وعلى المدرس ألا ينسى أن التثاؤب ، هو فعل منعكس ، وأنه غير إرادي ، وخاصة عند الأطفال ، ولا يمكن قمعه بمجرد التهديد بالعقوبة . وهذه الظاهرة (ظاهرة التثاؤب) تحدث من تلقاء ذاتها بمجرد التفكير فيها .

وغالباً ما ينتقل التثاؤب بالعدوى بين الأفراد المتواجدين بعضهم مع بعضهم الآخر ، وهذا الشعور بالتعب لدى الآخرين ينتقل بالإيحاء ،ذلك مثله مثل : الشرب ، والأكل ، والسعال ، والتبول . أوَ لا ترى الأطفال ، كيف تسري بينهم هذه العدوى ، فإذا تناول أحدهم طعاماً ، هبَّ الآخرون إليه ، وإذ تبول أحدهم ، قام الآخرون بالفعل نفسه وقد صرّح (دميرت) «أن بعض المدرسين أكدوا له أن أكثر التلاميذ ذكاء هم أكثرهم تثاؤباً أثناء الدرس»[1] .

---

(1) إدوارد كلاباريد ، التربية الوظيفية ، ترجمة د. محمود قاسم وآخرون ، ص 220 .

- و -

الذكاء والإبداع

الموهوبون ، هم منارات المجتمع ، وثروته ، وطاقته ، وبفضلهم خطت البشرية من ديجور الظلمات إلى النور الساطع . «وهم الثروة القومية ، والطاقة الدافعة نحو التقدم والبناء»(1) . وعلى هذه الفئة يتوقف الأمل بالنقلة النوعية للمجتمعات ، وللإنسانية كافة ومن أقوال العقاد في هذا المجال «العبقرية هبة الله للإنسان فيرى ببصيرته ما لا يراه في بصره»(2) والتفكير الإبداعي تفكير منطلق أو متشعب ، يملك القدرة على الاستجابات عندما يكون هناك مؤثر ، بل يمكن أن نقول «إنه نوع من التفكير يملك الجديد ، والتأمل والاختراع والابتكار»(3) .

واختبارات الذكاء التقليدية لا تكشف في كل مرة عن الموهوبين . وأبرز القدرات التي يتميز بها المبدعون : الطلاقة اللفظية والفكرية ، وسرعة التفكير في اختيار الكلمات الملائمة المتصلة ، ودرجة المرونة في تفسير المواقف ، وهذه سِمة أساسية تميز المبدعين عن العاديين . أضف إلى ذلك مسألة سهولة التكيف ، وإن كنا نرى العكس أحياناً إذ ينفر المبدع من الواقع وسوء تكيفه معه وينتقل إلى مجتمع آخر .

(1) د. خليل معوض ، قدرات وسمات الموهوبين ، ص 6 .

(2) المرجع نفسه ، ص 6 .

(3) المرجع نفسه ، ص 49 .

وهناك سمة أخرى هي : السِمة التحليلية ـ التأليفية . فالمبدع يحتفظ في ذهنه بعدة متغيرات يستعين بها في إيجاد الحلول للمشكلات التي تعرض له . ويتميز المبدعون بالحدس ، ويصفها بعضهم بأنها تلك الومضات التي تحل فجأة فتضيء أفق الموهوب وتفتح بصيرته ، فيكتشف حقيقة من الحقائق العلمية ، وقد أطلق عليها بعضهم (شرارة الإبداع) وغالباً ما يحصل ذلك بعد تخزين الكثير من الأفكار والخبرات .

والإبداع ٧ يتقيد بحدود الزمان والمكان ، وبعضهم يصر ـ ودون التقليل من أهمية الومضات المشار إليها ـ أن الإبداع هو جهد وعمل لذلك انقسم المبتكرون إلى نوعين (الحدسيون الذين يعتمدون على الحدس ، والمنطقيون الذين يصرون على التفكير المنطقي المنظم) . ومن سمات الموهوبين كما استخلصها (تيرمان) : الميل الشديد للقراءة والاهتمام البالغ بالمعاجم ، والأطالس ، وفضولية المعرفة لعلوم أخرى كالتاريخ والجغرافيا ، والسِير ، ولهم هوايات مرتبطة بالكيمياء وجمع الطوابع البريدية ، والاهتمام بالزهور والحيوانات على أنواعها .

ويذهب فريق من الباحثين إلى أن العلاقة بين الذكاء والابتكار ليست كبيرة ، فقد يكون الفرد مبتكراً دون أن يكون على قدر عالٍ من الذكاء ، وقد يكون العكس صحيحاً وقد لوحظ أيضاً «أن الأذكياء يمكنهم أن يكونوا أكثر توفيقاً ونجاحاً في المناهج الدراسية أكثر من المبدعين»[1] ومن الملاحظ أيضاً أن المدرسة تجزل العطاء والمكافآت والثواب للأذكياء في حين تهمل المبتكرين . وقد لا تتعرف عليهم في كثير من الأحيان .

والموهوبون أقل نزوعاً إلى الادعاء والمفاخرة ، والمباهاة من العاديين ، بل وهم أكثر اتزاناً من الناحية الانفعالية ، واتجاهاتهم الاجتماعية أكثر سلامة واستقامة .

---

(1) د. خليل معوض ، قدرات وسمات الموهوبين ، ص 67 .

وفي دراسة أُجريت حول أسر الموهوبين . كانوا أعلى من غيرهم من الأطفال العاديين في المستوى الاقتصادي والاجتماعي إذ كان يشغل معظم آبائهم مهناً من مستوى عالٍ كالطب والقانون ، ورجال الجامعة ، بينما لم تزد نسبة من وُلدوا لآباء من طبقة العمال عن 18,5 %»[1] .

ذكاء الأطفال :

لقد استطاعت دور الحضانة أن تدحض نظرية كبيرة في تأثير الوراثة ، عندما استطاعت أن تأخذ أطفالاً من أسر مضطربة ، تخضع لظروف وراثية سيئة ، ونجحت في مواجهة الاضطرابات لدى هؤلاء الأطفال وكانت خطوة هامة في عملية التطبيع الاجتماعي والتربوي .

والطفل يحتاج إلى حديث مع أهله ، وخاصة مع الأب يتلقى فيه حديث الرجل للرجل وهذا ضروري لبناء شخصيته ، ولدعم ثقته بنفسه . ويرى بعض المربين الذين عالجوا هذا الموضوع «إن نوعية الكلام الذي يستعمله الوالدان ، ودقته ومغزاه ، ونوع العلاقة التي ينشئها كلاهما مع الطفل هي السند القوي للنمو العقلي»[2] . ومن الخطأ أن نعتبر أن معاملة الولد بقسوة يمكن أن تجعله أكثر ذكاء ، إذ لا يمكن فصل مسألة الذكاء عن باقي النواحي الوجدانية ، بحيث لا يمكن الفصل بين الأمرين ، لذا كان لسلوك الوالدين وتنمية الخلق والانفعال والاهتمام بالنواحي النفسية له تأثير كبير على تطور نسبة الذكاء عند الأطفال .

ثم إن القول بأن الذكاء صفة تنتقل بالوراثة ينطوي على صدمة للذين ينحدرون من أسر غير ذكية ، وبالتالي فإنه يشكل نوعاً من الكف والدافعية للتقدم نحو الأفضل والأحسن «والذكاء لا يُمنح للفرد لحظة ميلاده . إنما ينشأ

---

(1) المرجع نفسه ، قدرات وسمات الموهوبين ، ص 117 .

(2) برنار فوازو ، نمو الذكاء عند الأطفال ، ترجمة د. خير العصرة ، ص 335

ويتكون مع مختلف مراحل النمو ، ويخضع في ذلك لعديد من العوامل مثل مساهمة الوالدين والمناخ العائلي ، ونمط الحياة ، ورغبة الزوجين في إنجاب الأطفال»[1] .

الاختبار الشفوي لقياس الذكاء عند الأطفال :

1 ـ اختبار المعرفة المدرسية ، والثقافة العامة .

2 ـ الفهم وحسن الإدراك ، وفهم العلاقات بين الأشياء .

3 ـ المقدرة الحسابية (العمليات الأربعة) .

4 ـ اختبار المشابهة والمطابقة .

5 ـ المفردات اللغوية التي استطاع الطفل تحصيلها بالنسبة لعمره .

6 ـ تكرار المسلسلات العددية .

اختبارات الخصائص :

1 ـ تكملة صُور .

2 ـ ترتيب صُور .

3 ـ تجميع مكعبات وتركيبها .

وتستطيع مدرسة الحضانة توجيه طاقة الطفل إلى مجراها السليم ، لكن بعض الأطفال يجري تكيفهم ببطء ، نتيجة تخلف في النطق أو الإصابة برعونة حركية ، ومع ذلك تختفي هذه المشكلات ، بعد انخراط هؤلاء الأطفال في سلك الحضانة ، كنتيجة للحياة مع الجماعة .

ويجب إفهام الوالدين قيمة الاختبار النفسي ، أو اختبار الذكاء ، فهو ليس نوعاً من الإنشاء وليس ضرباً من العقاب . وللأسف ، فإن بعض الآباء والأمهات يقدمون الاختبار لأولادهم على أنه نوع من العقوبة . (إن لم تفعل

(1) برنار فوازو ، نمو الذكاء عند الأطفال ، ترجمة د. ميز العصرة ، ص 3 .

كذا فإن المرشدة أو المرشد سيفعل كذا... يغضب منك، يرسلك إلى المستشفى. يُرسِّبك في صفك) إلى ما هنالك من تعابير لا تنطوي على الحكمة اللازمة في معالجة المسائل.

فوائد مقاييس الذكاء:

لهذه المقاييس فوائد عدة أهمها:

1 ـ وضع التلميذ في الصف الذي يناسبه.
2 ـ العمل على عزل ضعاف العقول وتحويلهم إلى مدارس التأهيل الخاصة بهم.
3 ـ توزيع التلامذة وفق قدراتهم، ووفق مناهج تتلاءم مع نسبة الذكاء المطلوبة.
4 ـ توجيه التلامذة التوجيه المهني، وإرشادهم إلى مهن تتلاءم مع إمكانياتهم.
5 ـ توزيع التلامذة على فروع الدراسة، وفق درجات التفوق في مواد معينة.

ومن المعلوم أن مقاييس الذكاء لا تعتمد على نتائج الامتحانات المدرسية التقليدية بل تختبر المعلومات العامة التي يكتسبها الإنسان بطريقته الشخصية من البيئة والواقع الاجتماعي. ذلك «أن التأخر الدراسي قد يرجع إلى أسباب متعددة خارجة عن نطاق الذكاء، مثل سوء الحالة الصحية وكثرة التغيب، وعدم ملاءمة الأحوال المنزلية، وقلة التغذية وغيرها»[1].

ويحاول خبراء اختبارات الذكاء أن تكون النماذج التي يعدونها شيقة وجذابة، لأن اختبارات الذكاء التقليدية هي الأخرى أصبحت ممجوجة من قبل الكثيرين من المبحوثين وأصبحت طريقة روتينية مملة. والمقاييس متدرجة

(1) د. محمد سيد خير الله ورفاقه، القدرات وقياسها، ص 57.

حسب العمر العقلي والزمني ، وهي ذات فائدة كبيرة للفصل بين التلامذة على أساس الذكاء .

وللمدرسة دور كبير في النمو العقلي ، وتكوين اليقظة العقلية عند الأطفال ثم إن الوسائل التعليمية تمكن الأطفال من التطبع والتمثيل الاجتماعي ، لكن المؤسف أن الانتقال من الحضانة إلى المدرسة الكبيرة يشكل صدمة للطفل ، لأنه يتم بطريقة عنيفة ، ويخفق الكثيرون من الأطفال رغم عزيمتهم القوية ، نظراً لاختلاف طبيعة مرحلة الروضة عن طبيعة المدرسة الابتدائية الكبيرة وتشددها النظامي القاسي .

وغالباً ما تكون المدرسة الابتدائية ، وهي التي تلي مرحلة الحضانة مباشرة أصعب بكثير مما كان يتوقعه الطفل ، وأكبر من إمكانياته العقلية .

فالمدرسة الابتدائية تشكل بالنسبة للطفل حياة جديدة لا تزال مجهولة بالنسبة له ، محفوفة بالخوف والوهم ، وعليه أن يتكيف مع عدة عوامل ليتمكن من متابعة حياته الدراسية فيها فعليه :

أ ـ أن يتكيف مع أنظمة الدوام الجديدة .

ب ـ أن يتكيف مع علاقات جديدة ، مع مدرسين ، صارمين يختلفون عن أولئك الذين صادفهم في مرحلة الروضة (معلمات الروضة) .

ج ـ العلاقات الوجدانية الجديدة ، حيث يبدأ التنافس بينه وبين رفاقه كما لو كانت مواجهة حقيقية تبدو له شديدة وصعبة .

وهنا يأتي دور المعلم الذي عليه ألا يهتم بحشو الأفكار الجديدة والمعلومات بل أن يهتم بتكوين الذكاء لديهم ، مع فهم ومتابعة هذا التقدم ، مع الأخذ بعين الاعتبار للقدرات المتفاوتة ، بين هؤلاء التلامذة وتشجيعها وتنميتها وتوجيهها .

وعلى المعلم أن يعلم الطفل كيف يعمل وحده ، ويعلمه كيف يضبط

سلوكه وتصرفاته دون أن يزعج الآخرين ، وأهم ما يجب على المدرسة القيام به مراعاة الحفاظ على نوع من التوازن ، بين النظام المفروض من قبل المدرسة ، وبين قدرٍ من المرونة المطلوبة في العمل المدرسي اليومي ، والابتعاد قدر الإمكان عن الحزم الشديد والنظم القاسية المنفرة للتلامذة . والتربية الحديثة ، قد أظهرت فشل أساليب الحزم والقسوة ، ولكن وللأسف ما زالت هذه النظرة سائدة في مدارسنا حتى اليوم . وغالباً ما يكون سبب عدم الذهاب إلى المدرسة ناتجاً عن حالة من التوتر العصبي ، وقد يكون هذا التوتر إشارة ، إلى ما يصادفه الطفل من صعوبات في اللحاق بالأطفال الآخرين ، لذا يجب شحنه بمزيد من الثقة بالنفس دون الإلحاح الشديد في منافسة هؤلاء الطلاب بطريقة قسرية . كما لا يجب المبالغة في تقدير أهمية القراءة ، وتعثر الطفل في إجادتها فقد يكون سبب عدم إجادتها ناتجاً عن بعض الاضطرابات العاطفية ، أو نقص في النضج الكلامي ، أو نتيجة اضطرابات سلوكية . وتزول الأسباب عادة بزوال المسبب . إذن وقبل توجيه اللوم إلى الطفل نفسه ، أو إلى المعلم ، أو إلى المدرسة ، أو الوالدين ، يجب أن نبحث عن أسباب الإخفاق وتذليل المصاعب وذلك ضمن الوسائل التالية :

3 ـ مساعدة الطفل على اجتياز الأزمة النفسية وذلك بالتعاون مع المرشد النفسي في المدرسة .

2 ـ تحسين وسائل طرق التدريس التي تتلاءم مع التلامذة جميعاً لا مع النخبة فقط .

3 ـ العمل على توجيه الوالدين إلى كيفية معاملة وتوجيه الطفل في البيت .

العلاقة بين الذكاء والابتكار :

الاختبارات التقليدية لا تكشف عن الإبداع ، وإن دلت على درجة الذكاء بصورة مقبولة ، ذلك لأن هذه الاختبارات إنما تقيس القدرات المعرفية والذاكرة ، وعوامل التقييم ، ولكنها تغفل عن كشف قدرات التفكير المشعب .

وتقر (تورانس) أننا نفتقد حوالي ثلثي المبدعين إذا اعتمدنا فقط على المقاييس العقلية التقليدية (الذكاء) في اختيار الموهوبين . وربما من أجل ذلك لم يتوصل كثير من العلماء والكتاب المبدعين إلى مكانتهم المرموقة الحقيقية في الأجواء المدرسية ، وخاصة في المدارس الثانوية ، وقد تفشل هذه المدارس في التعرف على موهبتهم .

ومثل ذلك ظاهرة (التحصيل الزائد) فإذا حصل طفل على مستوى أعلى بكثير مما نتوقعه منه ، أو مما توقعته الاختبارات ، فمعنى ذلك أن تقييمنا لم يكن دقيقاً ، وحتى تقديرات المدرسين فإنها أقل ثباتاً من الاختبارات ، ولا تنبىء بدقة عن الدرجات الحقيقية التي قد يتوصل إليها الطفل في المدرسة . والواقع أن هذا التلميذ لم يعمل أكثر من طاقته ، وكل ما في الأمر ، أنه قد أسيء التقدير والحكم على إمكانياته من قبل المدرسين .

الطفل المبدع :

يعاني الطفل المبدع من سوء التكيف مع مجتمعه ، لأنه يمتاز عن غيره من الأطفال في الاستقلالية في التفكير . وقد تبعث بعض الآراء الجريئة التي يدلي بها أمام المدرسين على تبرم وضيق هؤلاء المدرسين الذين تعودوا أن يلقوا استجابات عادية ، وفوق العادية بقليل من تلامذتهم باستثناء نخبة قليلة من المدرسين الواعين المتفهمين لدلائل العبقرية ، فقد يتنبهون إلى وجود مثل هذا الطفل فيعملون على تصعيده ، وتنمية قدراته ، ومساعدته في شق طريقه نحو النبوغ والابتكار .

ويلقي الطفل المبدع الكثير من المشكلات بسبب إبداعه . فإن رفاقه ممن هم أقل منه معرفة يحاولون ـ حسداً ـ النيل منه ، أو يلجأون إلى السخرية منه والكيد له أو نبذه أحياناً . وهذا الطفل الذي يبتعد عنه أصدقاؤه ، وتنبذه الجماعة لا بد له من أن يتحول بعد ذلك إلى العدوان ليثأر لكرامته المهانة ،

كردة فعل على السلوك المعادي المتبع نحوه ، وهكذا يكون الإبداع بالنسبة لهذا الطفل مأزقاً اجتماعياً ونفسياً ، فهو إما أن يتخلى عن إبداعه ليتحول إلى طفل عادي ليزيد السخرية والمعاكسة والعدوان من صدور الجماعة المحيطة به والتي غالباً ما تتربص به شراً ، أو أن يستمر في إبداعه منبوذاً ، فهو بين أمرين كلاهما مر .

هذه تعتبر من أهم المشكلات التي يعانيها الموهوب ، لذلك فإن على الوالدين والمدرسين أن يتنبهوا جيداً إلى هذه الظاهرة «والطفل المبدع لا يستطيع التوقف عن العمل لأنه لا يستطيع التوقف عن التفكير»[1] .

والموهوب لا يبتغي جزاء أو مكافأة على إبداعه ، فلذته في الإبداع هي الجزاء والمكافأة هذا لا يعني أننا يجب أن نقف مكتوفي الأيدي ، وموقف اللامبالاة أمام إنجازاته بل يجب تشجيعه وتسهيل عمليات الإبداع ، وتذليل المصاعب التي تعترض طريقه .

والغريب أن بعض الأطفال العباقرة غالباً ما يكونون غير متكاملين مع فصولهم الدراسية ، حتى إن بعضهم تنخفض قدراتهم اللفظية عن غيرهم ، ويخيل للمدرسين أن بعض هؤلاء العباقرة ـ وهذا قبل اكتشاف عبقريتهم طبعاً ـ أنهم أغبياء ولا يصلحون للدراسة . من أمثال هؤلاء المخترع الأميركي (توماس أديسون) والعالم (أنشتاين) و (دارون) و (أناتول فرنس) ، وغيرهم ممن كانت مدارسهم تشكو من سلوكياتهم ، وكان مدرسوهم يتهمونهم بالشقاوة وعدم الصلاحية وقد هُددوا بالطرد من مدارسهم عدة مرات ، والذي لم يهدد مثل (دارون) كان يأتي بنتائج عادية في الفصل الدراسي ، ولا يظهر عليه آثار التفوق .

---

(1) د. عبد المنعم المليجي ، د. حليمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 430 .

ويلاحظ أيضاً من خلال المراقبة الميدانية لبعض الأطفال الذين تبدو عليهم سمات الإبداع ، ويتوقع منهم أن يكونوا من النابغين المبتكرين في المستقبل ، يلاحظ على هؤلاء الأطفال أنهم يميلون إلى التعلم بأنفسهم ، ومن دون مساعدة ، ويعتمدون على ذواتهم في التحصيل واكتساب الخبرات . ولكن من أين لنا بالمدارس التي تتيح الفرص الخاصة بالابتكار والتحصيل الذاتي . واستطراداً فإن الطفل الموهوب يحاول أحياناً القيام بأعمال خطيرة . وربما تكون تجربة (عباس بن فرناس) الذي حاول أن يطبق فكرة الطائرة ، فصنع لنفسه جناحين من الريش ، هي من قبيل الأعمال الخطيرة ، وقد حاول عباس هذا الطيران ، لكنه نسي أو غفل عن صنع ذنب له لحفظ التوازن فسقط من الأعلى ميتاً .

وهناك قصص كثيرة عن عباقرة سقطوا قتلى أو جرحى نتيجة اندفاعهم الشديد ومحبتهم للاكتشاف أو الاختراع . وعلى المجتمع كله الاهتمام بهذه الفئة من الأطفال والاستفادة من قدراتها لمصلحة الإنسانية جمعاء . ويتميز أفراد هذه الفئة بشجاعتهم والثقة المفرطة بأنفسهم وبرغبتهم الجامحة في كشف الأسرار العلمية .

والطفل الموهوب يبحث عن فرديته بشكل دائم ، وهي فردية فريدة ومميزة «والطفل يكون مفهومه عن نفسه من فكرة الآخرين عنه ، ومدى تقديرهم أو تحقيرهم لأعماله»[1] ومن ذلك يستمد الطفل قسطاً كبيراً من الدافعية لزيادة نشاطه ومضاعفته لذلك فالتشجيع المعنوي له آثاره الإيجابية البالغة في نفس الطفل ، حيث يعتبر كمحرك للنشاط .

ويجب على المربين أن يساعدوا الأطفال على قبول أنفسهم بعد معرفتها معرفة تامة فالطفل الذي يرى أن موهبته قد تكون سبباً في إبعاد الناس عنه ،

---

(1) د. عبد المنعم المليجي ، حلمي المليجي ، النمو النفسي ، ص 433 .

ربما يفضل تحطيم هذه الموهبة والتضحية بها من أجل بقائه عضواً في المجتمع ، يبادل الآخرين ويبادلونه الحب . فالاستقرار الاجتماعي والتكيف مع الجماعة ضروري لبناء شخصية الفرد وسعادته .

وقد تعوّد الناس ، ومنهم بعض الباحثين أن يربطوا بين العبقرية والجنون ، ويصفون العباقرة بأنهم مجانين ، وإذا ما رسخت هذه المقولة المغلوطة في أذهان الأطفال فهم سيجعلون منها ذريعة لتبرير أنفسهم فهم لن يكونوا عباقرة ، حتى لا يوصفون بالمجانين! . . أو قد يفهمون خطأً أن أي مظهر سلوكي شاذ قد يخفي بين طياته العبقرية المدفونة التي ستظهر في يوم من الأيام .

إن الربط بين العبقرية والجنون فيه نوع من التعسف والتسرع في إبداء الأحكام . وإن كنا نرى أن كلاً من العباقرة والمتخلفين يصنفون في خانة الشواذ ، لأنهم غرباء عن المجتمع العادي وسلوكياته ، وهم غير قادرين على مجاراة الآخرين في أعمالهم الروتينية . لكن شتان بين الإثنين! . . فالعبقري مشغول عن المجتمع بما في عقله من أفكار وتصورات بنّاءة مثمرة يضج بها كيانه ، لتولد ـ بعد مخاض عسير ـ اكتشافاً أو اختراعاً أو ابتكاراً فتضيء الطريق أمام السالكين في مجال العلم . لكن من أين للمتخلف أن يأتي بذلك !؟ فهو وإن لم يتكيف مع المجتمع ، لكنه لم ولن يبدع شيئاً ، فالعبقرية والجنون وإن اشتركا في خاصية معينة هي الغربة عن المجتمع ، لكن هذا لا يعني ارتباط العبقرية بالجنون أو العكس .

وهناك ظاهرة تربوية ملفتة هي كثرة الأسئلة التي يطرحها الأطفال على المدرسين والأهل في البيت أو في الصف ، أو في المختبر ، أو أثناء النشاطات المدرسية ، وغالباً ما يضيق هؤلاء ذرعاً بالأطفال ويجيبون على أسئلتهم بفظاظة وبشيء من الشدة والقسوة مشيرين بعدم إلقاء المزيد من الأسئلة ، لأن ذلك لا

يدخل ضمن المقرر ـ حسب زعمهم ـ أو أن لا حاجة للطفل به . وهم بذلك يخمدون جذوة الروح العلمية الابتكارية المتأججة في صدر الطفل . ولذلك يجب ألا يُهمل سؤال الطفل ، وأن يُجاب عليه بوضوح وبصدر رحب ، وبالإطراء عليه ، لأن طرح مثل هذه الأسئلة دليل إعمال الفكر في الموضوع المراد بحثه .

كتب أحد المدرسين : «وأنا غالباً ما أهنىء تلامذتي الصغار على السؤال الذي يطرحونه عليّ قبل الإجابة ، فأقول مثلاً : لقد أحسنت في طرح هذا السؤال ، أو إنه سؤال هام ، سيفتح الطريق أمام إجابة يجب أن تكون معلومة لدى الجميع ، إن سؤالك يا. . . هو دليل الفهم . ثم أشرع بشرح الإجابة بإسهاب ودقة وموضوعية بحيث أجيب على كل نقطة على حدة ، وكأني أشرح درساً جديداً» . ثم يجب أن يتوجه المدرس بالسؤال إلى بقية الأطفال للتأكد من فهمهم له ، ويعود إلى التلميذ (العبقري) ليستوضحه عن اقتناعه بالإجابة ، وهل لديه رد على الرد ؟!

هذا نموذج من المدرسين الطموحين ، الذي يمكن أن نطلق عليه صفة المدرس النموذجي ، الباحث عن العبقرية ، والمبتكرين ، ليقدمهما للمجتمع وللوطن كعمل إنساني رائع ، وإنجاز وطني وقومي . ونذكر هنا بالقول المعروف : (يعرفون من أسئلتهم) فنوعية السؤال وعمقه ، وفحواه يكشف عن المستوى العقلي للطفل السائل ، ونسبة ذكائه وموضوعات اهتمامه . ويلاحظ أن أكثر الأماكن خصباً لطرح الأسئلة هو المعمل أو المصنع ، والأوقات التي يمارس فيها الأطفال النشاطات اللاصفية ، فالوسائل الجديدة المعقدة تثير تساؤلات الطفل فيسعى وراء مزيد من المعرفة ، ليشبع فضوله العلمي ، لذا يجب الإكثار من خلق الفرص لزيارة المصانع والمتاحف ، وممارسة النشاطات المدرسية على اختلافها ، وفتح باب الحوار لجميع الأطفال ليسألون .

دور الجنسين في الإبداع :

أصبح من شبه المتعارف عليه بأن الإبداع المعين ، مرتبط بجنس معين ، ثم وزعت النشاطات على أساس الجنس ، فهناك مجالات خاصة بالإناث ، وأخرى خاصة بالذكور ، وتكرست هذه النظرة حتى كادت تصبح تقليداً يتمشى عليه الكثيرون في توجيههم التربوي ، ولكن منذ أن بدأت الفوارق بين الجنسين تزول تدريجياً ، ونالت المرأة حقوقها في مناطق كثيرة من العالم ، ثم استطاعت أن تدخل معظم ميادين العمل التي يشغلها الرجل بدأت النظرة تختلف إليها ، وبدأ اختراقها ودخولها المهن التي كانت وقفاً على الذكور .

ولما كان الإبداع يحتاج إلى الاستقلال الفكري والحساسية «والحساسية في ثقافتنا فضيلة أنثوية ، والاستقلال في التفكير إحدى فضائل الذكورة ، وهكذا فإن الأولاد ذوي الإبداع الرفيع من المحتمل أن يميل مظهرهم نحو الأنوثة أكثر من زملائهم بينما تميل البنات ذات الإبداع الرفيع نحو الذكور أكثر من زميلاتهن»[1] .

وهناك مسألة يجب التنبه لها إذا ما أردنا أن نسوي بين الصبي والبنت ، هو أن توجههما توجيهاً مشتركاً ، حتى النشاطات المدرسية ، لا يجب أن يكون بعضها خاصاً بالصبيان ، وبعضها الآخر خاصاً بالبنات ، إلاّ بقدر ما تقتضيه الطبيعة الأنثوية ، فنحن ننادي بوجوب الاستفادة المتوازية من النصف الثاني من المجتمع .

إن تكريس مهن (التمريض ، الخياطة ، العلوم الإنسانية ، التدريب المنزلي) للإناث ومهن (الكهرباء ، الحدادة ، النجارة ، قيادة الحافلات ، وأعمال البناء) للذكور جعل هذا المفهوم بمثابة التقليد والعرف . حتى بات بعضهم يقول : (أنا صبي وهذا ليس عملي ، إنه عمل البنت) ، والبنات يقلن ذلك أيضاً .

---

(1) حلمي المليجي ، وعبد المنعم المليجي ، النمو النفسي ، ص 435 .

إن الفصل بين الجنسين بهذا الشكل الحاد يتنافى مع الطروحات السياسية والاجتماعية التي يُنادى بها من أجل المرأة وإنصافها وإعطائها الحرية التامة ، ومن معوقات الابتكار عند كل من الجنسين ، التي يقوم بها المجتمع ، أن الناس أصبحوا يعتبرون الخروج على هذا التوزيع للمهن بين الجنسين نوعاً من الشذوذ، يجب أن يقاوم أو يستنكرَ على الأقل، ثم تمارس الضغوط من أجل تطبيق هذا المفهوم الخاطىء ، فيكف المبدعون من الجنسين عن العطاء والإبداع تحت تأثير هذه الضغوط .

الامتحانات التقليدية واكتشاف النبوغ :

استطاع العالم (دروز) تصنيف ثلاثة أنواع من التلامذة في المدرسة : «القادة الاجتماعيون ، المتفوقون في التحصيل الدراسي ، المبدعون عقلياً . والنوع الثاني يحصل على الترتيب الأول في الامتحانات المدرسية التقليدية ، وأدنى المراتب هو ترتيب المبدع عقلياً»[1] . وهذه الملاحظة تشير إلى أن الامتحانات المدرسية ، غير موجهة في الأساس لاكتشاف المبدعين . وهناك وسائل أخرى تعتمد لاكتشاف المبدعين ، وأخصائيون يستطيعون التعرف على المميزات الخاصة للمبدعين ، كما أن هناك روائز خاصة تعتمد لمعرفتهم واكتشافهم . وهذا الذي نجده في الامتحانات المدرسة العادية التقليدية والذي رآه العالم (دروز) إنما يقيس أموراً أخرى ، قد يكون الإبداع أحدها ولكن قد يكون دوره هو الأقل ، فهذه الامتحانات صححت لمعرفة قابلية وإمكانية بعض التلامذة واجتياز مرحلة إلى أخرى ، ومعرفة مهارات كل منهم في مختلف المواد الدراسية ، ودرجة هذه المعرفة ، وعلى هذا الأساس يجري الترفيع أو الترسيب ، وتقيس هذه الامتحانات : الذاكرة ، قوتها ، مخزونها ، وتنظيمها ، وقد لوحظ ميدانياً أن المبدعين وقبيل الامتحانات يشغلون أنفسهم بقراءات خارجة عن المقرر تنمي عقولهم ، وتشبع فضولهم العلمي ، في حين ينهمك

(1) المرجع نفسه ، ص 437 .

غيرهم من التلامذة في مراجعة وحفظ المقرر المطلوب من قبل الإدارة المدرسية .

بعض الأطفال في المرحلة الابتدائية لا يجيبون على الأسئلة البديهية البسيطة التي يطرحها عليهم الأهل أو المدرسون ، مع معرفتهم التامة لإجاباتها الصحيحة . ذلك لأنها لا تتناسب مع قدراتهم العالية ، فهم يقابلونها بشيء من الاستخفاف . من هنا ندرك أن تدريس المقررات العادية لا يلائم الأطفال المبدعين . حيث يعتبرونها أمراً سهلاً ، وسرعان ما يتحولون عنها إلى الانشغال بأمور أكبر تتيح لطاقاتهم الفكرية والإبداعية أن تتحرك وأن تنتج .

وأسوأ ما في الأمر أن بعض المدرسين قد لا يكتشفون ذلك ، فيوسمون أولئك الأطفال بِسِمة الغباء ، أو بطء التعلم ، كما حدث مع كبار العلماء والمفكرين أثناء طفولتهم المدرسية. . . ثم تأتي بعد فترة ، الاختبارات المقننة والخاصة باكتشاف القدرات ، أو يحل مدرس جديد نبيه ، وفطين محل المدرس الأول ، ليس لديه انطباع مسبق أو أفكار سلفية عن كل تلميذ ، ونكتشف عند ذلك الأطفال المبتكرين ، المبدعين في الوقت الذي كانوا فيه قبل ذلك من المغمورين .

ومن أخطاء المدرسين في هذا المجال أيضاً ، أن يوصف أحد الأطفال المبدعين بالشاذ أو يتهم بالانحراف ـ كما ألمحنا ـ قبل دراسة حالته ، واكتشاف قدراته ، ومعالجة الأمر بما يجب ، وتوجيهه نحو تنمية هذه القدرات واستغلالها للاستفادة منها. . .

والنقد الجارح من قبل المدرس ، والتلامذة . للتلميذ المبدع يجعل من إمكانياته إمكانات مخبوءة ، لا تجد سبيلاً إلى الظهور إلى دائرة الضوء ، وأحياناً يرد هذا المبدع بسلوكيات عدوانية ، كرد فعل على عدم قبول آرائه وأفكاره ، ومكانته ، وأحياناً يميل إلى الانطواء ، والانطواء بدوره يؤدي إلى

عرقلة النمو الإبداعي ، وفي حال زيادة الكبت والقمع ، فإن التوتر الناتج عنهما يؤدي بالطفل فعلاً إلى الاضطراب العقلي ولا نستطيع في النهاية أن نحمِّل المدرسة كل المسؤولية عن نمو الإبداع ، فالمجتمع مسؤول أيضاً وسياسة الدولة التربوية ، مسؤولة هي الأخرى .

وكما أن الطفل الناجح في تحصيله المدرسي يلقى التقدير ، كذلك فإن المتوافق مع مجتمعه أيضاً يجب أن يقدر ، وبالمقابل يجب تخليص المبدعين من القلق والتوتر اللذين يُسببهما لهم المجتمع . وأن يحظوا بالتقدير والاحترام والتشجيع . لأن التأزم النفسي والإحباط يقتل روح الإبداع عند المبدع .

* * *

الفصل الخامس
الصحة النفسية للأطفال

أ - مفهوم الصحة النفسية

ب - مظاهر الصحة النفسية

ج - الاتزان الانفعالي والصحة النفسية

د - المحافظة على الصحة النفسية

هـ - الصحة النفسية للأهل والمجتمع

و - الأسباب المهيئة للمرض النفسي ، والعلاج

ز - العلاج النفسي في المدارس

ـ أ ـ

تعريف الصحة النفسية

يرتبط مفهوم الصحة النفسية في أذهان الناس ، بأنه الخلو من الأمراض النفسية والعقلية ، والانحرافات السلوكية الشاذة . وهذا في الواقع تحديد ضيق وغير كافٍ للصحة النفسية ، فهي بالمعنى المطلق أمر نادر ، وكما أن الخلوّ من المرض الجسدي لا يعني تمتع الشخص بالصحة التامة ، مئة بالمئة ، فكذلك لا يمكن أن يعتبر الخلو من بعض الأمراض النفسية والعقلية والسلوكية دليلاً كافياً على الصحة النفسية السليمة .

هناك معايير يجب أن تؤخذ بالاعتبار عند حكمنا على الصحة النفسية ، وهي : مدى النضج الانفعالي ، والاجتماعي للفرد ، ومدى توافقه مع نفسه ومع المجتمع ، ومعرفته التامة لنفسه ، ما يستطيعه وما لا يستطيعه ، وتقدير نفسه حق قدرها ، دون المبالغة في ذلك ، أو الشعور بالدونية والنقص . كذلك النجاح في الحياة الاجتماعية والأسرية ، والمقدرة على تحمل المسؤولية ، والتحلي بالشجاعة الأدبية ومواجهة الظروف بحكمة ورباطة جأش دون اضطراب أو خوف أو انهزام مع الصلابة والثبات في الموقف . وأن يكون له وجهات نظر ثابتة يؤمن بها هذا الشخص ويدافع عنها ، ويحاور بروح رياضية وبموضوعية .

«والصحة النفسية في جوهرها مسألة نسبية وليست مطلقة ، فالفرد السوي

يخاف ويشك ويثور ، ويغضب وينفعل ويفرح ويحزن ، والتكيف المطلق أمر لا يمكن تحقيقه»[1] والإنسان الممتع بالصحة النفسية هو الإنسان المتكيف مع الواقع ، وعملية التكيف عملية مستمرة . وهي ضرورية للمحافظة على الصحة النفسية وتقوية الوظائف الفعلية ليستطيع الفرد مجابهة مصاعب الحياة .

أما معنى الصحة النفسية فيمكن أن يشار إليه «بأنه التوافق التام والتكامل بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ عادة على الإنسان مع الإحساس الإيجابي بالسعادة»[2] . فالصحة النفسية لا تعني الخلو من الأمراض فقط بل هي في مواجهة الأزمات الشديدة والصعبة مع الشعور الإيجابي الواعي بالكفاية . ويتداخل مفهوم الصحة النفسية مع التوافق إذ ليس هناك فاصل يفصل بينهما ، والفرق بينهما ليس سوى الفرق بالدرجة .

ويرى علماء آخرون أن الصحة النفسية «حالة دينامية تبدو في قدرة الفرد على التوافق المرن الذي يناسب الموقف الذي يمر به أو يخبره»[1] .

ويمكن القول أن الصحة النفسية هي التوافق التام مع الذات ، ومع المجتمع ، وهذا في نظرنا أمر على درجة من الصعوبة ، لأنه ليس هناك من إنسان يستطيع تجنب الوقوع في الخطأ مع الآخرين ، وحتى مع ذاته ، فكم مرة من المرات نسيء فيها تقدير ذواتنا أو نتصرف تماماً كالمصابين بأمراض نفسية أو عقلية ، وذلك تحت تأثير الانفعال الشديد . هذا كله يطرح مسألة نسبية الصحة النفسية ، ثم إن اختلافات السلوك من مجتمع إلى آخر ، تجعل من السلوك السوي في بلدٍ ما سلوكاً شاذاً في بلد آخر ، وذلك يعود بنا إلى ارتباط الصحة النفسية بالزمان والمكان أو البيئة الاجتماعية . أو لم تكن هناك عادات

---

(1) عبد الرحمٰن العيسوي ، علم النفس ومشكلات الفرد ، ص 333 .

(2) المرجع نفسه ، علم النفس ومشكلات الفرد ، ص 332 .

(3) د. عباس محمود عوض ، الموجز في الصحة النفسية ، ص 3 .

وتقاليد محترمة ومرموقة ، وذات دلالة على القيم الرفيعة الممتازة وأصحابها يوسمون بأنهم من نخبة وأفاضل القوم ، يوصفون اليوم بالرجعيين والتقليديين والمتأخرين ، وما شابه من النعوت الظالمة القاسية .

والمشتغلين في علم النفس الإكلينيكي «كثيراً ما يطلقون المصطلحين ، صحة عقلية ، وصحة نفسية للدلالة على قدرة الفرد على التكيف مع نفسه ومع البيئة التي يعيش فيها»[1] .

وسلوك الإنسان مرتبط كل الارتباط بتكوينه النفسي ، من أجل ذلك تلعب المعرفة السيكولوجية دوراً هاماً في تفهم شتى نواحي النشاط الإنساني . وبهذه المعرفة يتوصل الإنسان إلى فهم نفسه وفهم الآخرين مما يسهل عملية التفاعل الاجتماعي معهم . والحقيقة أن كل شخص يتميز بالقدرة على السيطرة على العوامل المؤدية إلى الإحباط أو اليأس أو الهزيمة ، ويصمد أمام الصراع العنيف ، يمكن وصفه بأنه إنسان سوي ويتمتع بصحة نفسية ممتازة . فالتكيف والتوافق النفسي يهدف دائماً إلى تماسك الشخصية ووحدتها ، وتقبل الفرد لذاته ، وتقبل الآخرين له ، بحيث يترتب على هذا كله شعور بالسعادة والراحة النفسية .

ومن طريف ما كتب حول هذا الموضوع خاطرة حول مفهوم الصحة النفسية يقول فيها كاتبها : (أوَليس من الأولى أن ينصب الاهتمام على الرغيف وإيجاد فرص العمل ، والاهتمام بفتح مدارس للأطفال ، بدل البحث في هذه الأمور الكمالية المسماة في علم النفس بالصحة النفسية ! . ثم يسترسل الكاتب إلى الحد الذي يظهر فيه عدم اقتناعه بهذه التحليلات وبعلم النفس عامة جملة وتفصيلاً» . وبالتعليق على هذه الخاطرة نشير إلى أن صاحبها محق في مطالبته بأن ترتفع الأصوات من أجل المسألة الاقتصادية ومن أجل الرغيف وفرص

---

(1) د. مصطفى فهمي ، الإنسان وصحته النفسية ، ص 9 .

العمل ، لكن لا يمكن بحال من الأحوال الاستخفاف بالمسائل النفسية .

وما يجب أن يعرفه الجميع ، أن الجيل السليم نفسياً ، هو القادر على العطاء والإنتاج ولا يمكن أن يقال العكس ، فلو وُفرت جميع الإمكانيات وخسرنا الصحة النفسية لضاع كل شيء ، فالعناية بالصحة النفسية أمر وطني واجتماعي وإنساني ، بالإضافة إلى كونه عملاً اقتصادياً وإنتاجياً وتنموياً . والجيل المتمتع بالصحة النفسية التامة هو الجيل القادر على التعاطي مع التكنولوجيا ، ومع وسائل الإنتاج المعقدة ، والصناعات الحديثة والمتطورة .

\- ب -

مظاهر الصحة النفسية

المتحدثون عن مظاهر الصحة النفسية من علماء النفس والتربية يقدمون للقارىء صورة تكاد تكون أقرب إلى عالم المثل ، أو عالم المدينة الفاضلة ، منها إلى العالم الحقيقي المعاش . والحقيقة أنَ ذلك ينطوي على سلاح ذو حدين : الحد الإيجابي ، وهو واجب العالِم الذي تتطلب منه الأمانة العلمية أن ينقل الصورة الصحيحة ، لتكون المثال والقدوة ، والتي يسعى السالكون للوصول إليها والتمسك بها ، أو على الأقل الاقتراب منها قدر المستطاع . وما دام الإنسان يناضل طيلة حياته من أجل زيادة خبراته وتدعيم سلوكياته ، وتصحيح أخطائه ، وعلاج نفسه جسدياً ونفسياً ، فهو يتوق نحو الأفضل والأحسن .

أما الحد السلبي ، والذي نود أن نلفت إليه ، هو ألا يشعر القارىء بشيء من القلق والاضطراب إذا ما أحسَّ بقصوره عن حيازة جميع الشروط المطلوبة للصحة النفسية أو لمعظمها ، فقد ألمحنا أن مسألة الصحة النفسية مسألة نسبية وأن الأصحاء مئة بالمئة نادرون ، فلا يعترين أحدنا الشك أو الخوف العام أمام هذه الحقائق العلمية .

وهذه بعض مظاهر الصحة النفسية :

أولاً : التكيف الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية :

نظراً لكون الإنسان عضواً في جماعة ، في قياس صحته النفسية يتمثل بمدى تكيفه مع هذه الجماعة ، وعقد علاقاتٍ اجتماعية ناجحة معها ، وإمكانية التفاعل وسط هذا الجو الاجتماعي ، حيث يكون محبوباً من قبل الآخرين ، يتقبلون آراءه ويحترمونه .

ثانياً : الشعور بالرضى عن النفس :

من أكثر المشكلات النفسية تعقيداً عدم رضا الفرد عن ذاته ، وينشأ ذلك عن عدم المواءمة بين القدرات والطموحات ، حتى أن أحد البلغاء يقول : «أتعس الناس تحت وجه الشمس هم أولئك الذين يحلمون بأكثر ما يستطيعون» فمثل هؤلاء لا يشعرون بالسعادة ، بل هم في حالة إحباط دائم ، وشعور بعدم الرضا . وأفضل وسيلة لتحقيق الاستقرار النفسي أن يحقق المرء أهدافاً تتفق مع إمكاناته المادية والمعنوية .

ثالثاً : الأخلاق الكريمة :

ونعني بها مجموعة القيم المتمثلة بالصدق ، والوفاء ، والإخلاص ، والأمانة ، ولا تكون صفات نظرية ، بل يجب أن يؤكدها صاحبها في حياته اليومية ، وفي تعاطيه مع الآخرين ، وأن يتسم بها سلوكه بشكل عام ، والخلق الكريم سمة هامة من سمات الشخصية السوية الجذابة .

رابعاً : الإرادة القوية ، والأهداف الواضحة :

لا يمكن لضعيف الإرادة أن يصمد أمام الإغراءات أو الشهوات ، فهو معرض للسقوط تحت تأثير الرغبات ، فالإرادة القوية هي التي تمكن صاحبها من المقاومة «والسلوك الإرادي يختلف عن السلوك الاندفاعي» وذلك أن السلوك الإرادي تسبقه الروية والتفكير ولذا يكون في معظمه سلوكاً سوياً . أما

السلوك الاندفاعي فهو سلوك أهوج يغلب عليه الخطأ»[1] كذلك فإنّ السلوك الإرادي يختلف عن السلوك اللاشعوري ، في أن الأول سلوك سوي ، والآخر سلوك مرضي شاذ وقوي الإرادة يستطيع تحديد أهدافه بثبات ووضوح ويسعى لتحقيقها بخطى ثابتة وبوعي ثم «إن الأهداف والآمال في حياتنا تعطي للحياة قيمة ومعنى وتساعد على تكامل شخصية الفرد»[2] .

خامساً : التكيف الذاتي والاتزان الانفعالي :

التكيف الذاتي هو متمم للشعور بالرضى عن النفس ، أو هو مظهر من مظاهره ، أما الاتزان الانفعالي ، فهو الميزان الذي يوفق بين مطالب القوى النفسية المختلفة في الفرد . ويعتبر من أهم مزايا الصحة النفسية ، وهو الذي ينظم التوازن بين قوى الأنا والأنا العليا والهو .

سادساً : الحب والتفاؤل والإقبال على الحياة :

ويتمثل في النظر إلى الآخرين نظرة ملؤها الحب ، هو انعكاس لصفاء السريرة ، ولسلامة الشخصية وقد قال الشاعر «كن جميلاً ترَ الوجود جميلاً» فالنظرة إلى الحياة بمنظار التفاؤل يجعلها جميلة أكثر ، وصاحب هذه النظرة يقبل على الحياة بدفق وحماس وحيوية . وهذه سمة من سمات الشخصية السوية القيمة . وقيل في الأمثال «عين المحب عن كل عيب كليلة» فالمحب لا يرى سوى المحاسن والمباهج والذي تملأ نفسه الكراهية ، ينظر إلى الكون بمنظار أسود بلون التشاؤم واليأس .

سابعاً : الإنتاج الملائم والنجاح في العمل :

المتمتع بالصحة النفسية هو إنسان منتج ، يكسب رزقه مقابل جهد يبذله ، فيحصل على إنتاج يتناسب مع الجهد المبذول ، فهو رزق حلال ،

(1) محمد السيد الهابط ، حول صحتك النفسية ، ص 221 .

(2) المرجع نفسه ، ص 223 .

وصاحبه ناضج في عمله مقدر ، ومحترم من رؤسائه ، وبناء على ذلك فهو يتقدم ويتطور في زيادة الإنتاج وهذا يعمل على تنمية شخصيته وتطور صحته النفسية .

ثامناً : الثقة بالنفس وبالآخرين :

إن انهيار الثقة بالنفس وبالآخرين ، هو مظهر من مظاهر تردي الصحة النفسية فمن أبرزها مظاهر الصحة النفسية أن ينظر الفرد لنفسه بثقة ، لا يتردد ولا يتشكك في كل شيء إلّا بالقدر الذي تقتضيه طبيعة حب المعرفة على طريقة الفلاسفة العقليين ـ الشك هو بداية الطريق إلى اليقين ـ ثم الثقة بالآخرين ، مِمن هم أهلٌ لهذه الثقة ثم تنمية هذه الثقة وتدعيمها لتصبح تواصلاً وجدانياً وتفاعلاً اجتماعياً دائماً .

تاسعاً : الاستقلال والثبات في الاتجاهات :

من مظاهر الصحة النفسية ، عدم التبعية ، واستقلال الفرد باستنباط آرائه والدفاع عنها ، أمام الآخرين ، وحمايتها بمنطق وفوضوية ، لكن على ألا يصل الأمر إلى درجة التصلب بالرأي ، أو التزمت ، في نفس الوقت يتوجب أن تكون الاتجاهات ثابتة . لا تتذبذب بين القبول والرفض ، فيؤمن اليوم باتجاه فينزع عنه إلى غيره في اليوم الثاني ، ولا يكون له رأي مستقر ، فالاستقلال والثبات في الاتجاهات مظهران من مظاهر تماسك الشخصية ، وتعبير عن الصحة النفسية السليمة .

- ح -
الاتزان الانفعالي والصحة النفسية

الاتزان الانفعالي مظهر بارز من مظاهر الصحة النفسية ، وهو يميز بين الأسوياء وغير الأسوياء . وهو مظهر من مظاهر التوافق الاجتماعي أيضاً والتفاعل مع المجتمع بواقعية ووضوح . عدم الاتزان الانفعالي يؤدي إلى العصاب ، والعصاب اضطراب وظيفي يضرب الشخصية ، ويتمثل بالشكوك الدائمة والمخاوف اللاواعية والوساوس «وهو محاولة شاذة لحل أزمة نفسية مستعصية ، أو تغطية لاضطرابات ومشكلات التكيف لدى الفرد ، أو انتهاج مسلكٍ ملتوٍ لتفادي ما يؤلمه»[1] .

ونلاحظ اختلافاً بين العلماء حول الصحة النفسية ، ومفهومها ، وقد تشعبت آراؤهم في هذا الموضوع . ففي حين اعتبرها بعضهم متمثلة في المقدرة على التوافق السليم رآها بعض آخر في الخلو من الأمراض النفسية والعقلية ، وربطها بعض آخر بالاتزان الانفعالي ، والخلو من الصراعات المرضية ، وقوة الأنا في مواجهة الضغوط الموجهة من جانب الهو ، والأنا العليا ، والتوفيق بينهما . وقد قامت دراسات عديدة وكثيرة حول (الأنا) وتأثيرها على مدى توافق الفرد ، وتوفيقه بين رغباته ومتطلبات المجتمع . وقد عرَّف «أريكسون» الأنا بأنها «طاقة الفرد لتقييم الحدود المعقولة في تفسيراته وإدراكاته للبيئة»[2] .

(1) د. إبراهيم أبو زيد ، سيكولوجية الذات والتوافق ، ص 198 .

(2) المرجع نفسه ، سيكولوجية الذات والتوافق ، ص 199 .

وقد أكد كثيرون من العلماء بالإضافة إلى (أريكسون) على قوة الأنا والنظر إليها كمقياس لتحرر الشخص من التشوهات الإدراكية . فتبين أن انخفاض قوة (الأنا) تشكل نقصاً في السيطرة على البيئة وفي كبح الذات ، وفي معالجة الضغوط والمشكلات النفسية . وللأنا في نظر فرويد وجماعته من مدرسة التحليل النفسي أثر هام في إقامة التوازن بين الهو ، والأنا العليا ، وإخفاقها في إقامة هذا التوازن يؤدي إلى العصاب . وقد رأى (أدلر) أن الشخص العصابي يعمل من أجل تقدير الذات ، وهذا هدف أناني محض ، بينما يكافح السوي من أجل الأهداف الاجتماعية .

«ومن معايير التفرقة بين السّواء والمرض في الشّخصية الشعور بالسعادة ، ومعيار الشعور بالارتباط مع الآخرين ، ومعيار التوافق مع النفس»[1] .

---

(1) المرجع نفسه ، سيكولوجية الذات والتوافق ، ص 201 .

ـ د ـ

المحافظة على الصحة النفسية

يقترح علماء النفس مجموعة من الشروط تقدم على شكل نصائح وتوجيهات للفرد ، كيف يحافظ على صحته النفسية ضد الإصابة ، واضطرابات الشخصية . وهذه أهم النصائح .

أولاً : معرفة النفس :

وهذا شرط أساسي فكل واحد يجب أن يعرف حجم قدراته ، وطاقاته ، مواطن عيوبه ، وضعفه ، فيسلك على هذا الأساس ، حتى ليقال (رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه) . فعلى أساس الصدق مع الذات والمعرفة الدقيقة لها يحدد طموحاته . وعلى الفرد ألا يخجل من سقطاته وعيوبه ، فيرافقه الشعور بالذنب أو المهانة ، طيلة حياته ، فيؤرّق مضجعه ، ويهدد صحته النفسيّة ، وعليه أن يواجه الأمور بشجاعة وواقعية ، ثم يجب التركيز على هدف واحد ، دون تشتت في الذهن في عدة أهداف ، حتى لا تتوزع الطاقة وترهق النفس ، ويعتريها اليأس . فليكن انتقالنا تدريجياً من هدف إلى آخر جاعلين رائدنا الثبات والصبر ، وإرادة الاستمرار والتقدم .

ثانياً : التركيز على الحاضر :

«الماضي. . مضى ، والمؤمل غيبٌ ، وليس لك إلاّ الساعة التي أنت فيها» . قولٌ يُختصر فيه الكثير مما يجب أن يقال في اصطلاح الأزمنة الثلاثة

(الماضي والحاضر والمستقبل) . فالشخصية السليمة هي التي يستطيع صاحبها التعاطي مع هذه الأزمنة بطريقة موضوعية وواقعية ، فلا بأس من التفكير في الماضي لنستلهم منه العبرة والدروس التي تفيدنا في الحاضر . أما أن نعيش هموم الماضي بشكل دائم ، ففي ذلك ضعف ، وتأثير سيء على الصحة النفسية (ما فات مات) .

أما بالنسبة للمستقبل فإن شحن الذهن والأعصاب بطموحات كبيرة واستعجال حركة الزمن التي تجري وفق نظام دقيق ، قدره الله لها ، فهو أمر مرهق ومتعب للنفس وللأعصاب ، ويثقل الحاضر بهموم إضافية . يمكن التفكير في المستقبل وحتى لو كان ذلك ـ عن طريق أحلام اليقظة ـ لبعض اللحظات ، فهذه ظاهرة صحية لكن على ألا تستغرق كثيراً في هذه الأحلام حتى لا يتحول الأمر إلى حالة مرضية ، والتفكير في المستقبل إن كان لهدف انتزاع شحنة من التفاؤل والدافعية ، وتنمية الحوافز في الحاضر ، فهذا مظهر سليم من مظاهر الصحة النفسية ، على ألا يتجاوز الحد الذي أشرنا إليه . يبقى أن نركِّز على الحاضر ، هذا الحاضر الذي يجب علينا أن نتعاطى معه بصحة نفسية سليمة . وعقل راجح . وأعصاب متينة . واستطعنا بذلك تحقيق أهدافنا التي نطمح إليها . ولا يجب أن يغيب عن البال أن هذا الحاضر سيضاف بعد وقت قليل إلى الماضي ، فما هو اليوم حاضر ، سيصبح ماضياً في الغد ، ويضاف إلى صيغة الماضي في التصنيفات ويتحول إلى ذكرى ، فلتكن ذكريات سعيدة مشرقة لا ذكريات مخزية ومحبطة . أما المستقبل فهو الآخر صنع أيدينا ، لأنه بإتقاننا للعمل في الحاضر ، وسلوكنا السوي في الحاضر نحقق المستقبل الأفضل والغد المشرق لأنفسنا ولمجتمعنا .

ثالثاً : النظرة الصحيحة إلى النجاح والفشل :

النجاح والفشل أمران حتميان في الحياة ، وهما متغيران ، فلا نجاح دائم ، ولا فشل دائم في هذه الحياة ، والإيمان بأن الحياة نجاح دائم ، هو أمر

مبالغ فيه ، وقد يكون القائل بذلك مغروراً أو متهوساً ، كذلك القول بأن الفشل هو حليف دائم لإنسان ما ، ينطوي على التشاؤم واليأس ، فالحياة مليئة بالنجاحات والإحباطات ، والخوف من الفشل يؤدي إليه . والهروب من أمر ما خشية الفشل هو أسوأ من الفشل نفسه . والذي يفعل ذلك فإنه يؤذي صحته النفسية بما هو أشد مرارة من الفشل دون أن يدري . فقبل كل عمل على الفرد أن يهيء نفسه للأمرين أو للاحتمالين ، وأن يكون شجاعاً في مواجهة النتائج مهما كان نوعها . ولضمان النجاح يجب تحديد هدف واضح مدروس ، نتجه إليه بصدق وعزيمة وسنصل . ذلك أفضل من اعتماد العشوائية ، كالذين يتخذون عدة أهداف ، ويعتمدون على الصدفة والحظ ، فيتعثرون ويصابون بالإحباط .

والحقيقة أن ترك الأمور تحت رحمة الصدفة والحظ يمنع سلامة اتخاذ القرار المناسب الصحيح .

رابعاً : المسالمة ، وطريقة حل المشكلات :

لا نعني بالمسالمة الاستسلام بل الصبر على المكاره ، وانتظار جلاء الأمور وصفائها . وترقب الظروف المناسبة ، وإلاَّ فإن مثالنا سيصبح مثال ذلك الذي قال فيه الشاعر :

ـ كناطح صخرة يوماً ليوهنها   فلم يضرها، وأوهى قرنه الوعل؟

وفي الأقوال المأثورة : الصبر صبران : صبرٌ على ما تحب ، وصبر على ما تكره . فنحن ضعفاء أمام الأقدار الكبيرة ، وفي نفس الوقت ، يجب أن يتميز المرء في هذه الحالات بحله للمشاكل بطريقة واقعية تتوافق مع الظروف الزمانية والمكانية ، وأية حلول خيالية أو مثالية لا يكتب لها النجاح ، إذا لم تأخذ بالاعتبار هذه الأمور مجتمعة ، وكما قال أحد الحكماء (والبس لكل زمان بردته) ولا يجب أن يفهم من ذلك ، مخادعة ومجاملة الآخرين ، والتخلي عن

القناعات ، بل ما نقصده هو ألا يرمي المرء بنفسه إلى التهلكة في ظروف صعبة .

خامساً : ضرورة وجود الصديق :

الأقوال التي قيلت في الصديق ، في كتب الأدب كثيرة ، وهي لا تحصى ، وكلها تشيد ، وتلح في ضرورة اتخاذ صديق ، واللفظة لا تطلق على كل من نصادفهم ، أو نتحدث معهم لفترات ، ثم يمضي كل في طريقه بعد انقضاء مناسبة اللقاء ، فالصديق هو من صدقك القول ، لا من صدَّقك فقط . هو المرآة التي ترى فيها نفسك على حقيقتها ، هو مخزن الأسرار ، ومفرج الهم إليه تشكو قساوة دهرك ، أو هموم يومك ، فيصغي إليك ، ويخفف عنك ، ويقدم لك العون ، هو الأخ الذي لم تلده أمك . من أجل ذلك فاتخاذ صديق وفيّ ، مثقف واعٍ هو نعمة من النعم . وهو ضروري للنفس كضرورة الفيتامينات للجسم ، ومن الوجهة السيكولوجية التحليلية ، فإن حديثك عن همومك أو عن مشكلاتك لصديق تجد لديه أذناً صاغية هو نوع من التفريغ للشحنات الانفعالية التي كانت ستتحول إلى مكبوتات تستقر في اللاوعي ، لولا وجود هذا الصديق . فأنت تشعر بالارتياح الشديد بعد الإفضاء بها . ويمثل الصديق المستمع هنا ، إلى حد ما ، دور الطبيب النفسي الذي يكون له دوره الهام في مرحلة من مراحل العلاج النفسي . هذا الطبيب الذي يصغي إلى حديثك عن مشكلاتك يمثل دور الصديق المستمع المحب .

سادساً : ممارسة الترويح عن النفس :

النفس تحتاج إلى الراحة ، كما يحتاج الجسم إليها ، كيف لا ، والإنسان يشكل بكينونته هذا الترابط العضوي الوثيق بين النفس والجسم . وعملية الترويح تشمل النفس والجسم معاً لذلك يجب تخصيص يوم في الأسبوع للترويح عن النفس من هموم ومتاعب الأيام الخوالي والخلود إلى الراحة ،

والاستمتاع بالطبيعة وبالهوايات المفضلة ، والتحرر من قيود العمل والأنظمة ، والانفلات لساعات معينة من وطأة وكابوس الروتين القاسي الذي يضرب حياتنا طيلة أيام الأسبوع .

ولكن يشترط أن يكون هذا الترويح إيجابياً ، نابعاً من اختيار الفرد المحض ورغبته الحارة فيه ، وأن يشارك فيه غيره النشاطات والهوايات «والترويح الإيجابي يكون فيه الفرد مشاركاً فعالاً ، وليس ساكناً ، أما الترويح السلبي فيكون فيه الفرد مستمعاً أو مشاهداً فقط . ومن أهم ما يوصف به العليل نفسياً هو نقص كمية المرح في حياته»[1] .

ويمكن أن تتم حماية الأفراد نفسياً بالأساليب التالية :

1 ـ الاهتمام بأساليب التنشئة الاجتماعية السليمة ، وتفهم الأدوار المناطة بهم .

2 ـ اتباع أساليب التنمية النفسية .

3 ـ الاعتناء التام بالصحة الجسدية .

4 ـ التوجيه التربوي الملائم .

ولقد عرض «أريكسون» فكرة قائمة على أن الإنسان في كل مرحلة من مراحل نموه يواجه مشكلة أو مشكلات أساسية يجب أن يتم مواجهتها وحلها بنجاح حتى تيسر له مواجهة وحل المشكلات اللاحقة وتقسيم «أريكسون» لا يعني وجود حد فاصل بين كل مرحلة وأخرى . إن هذه الصفات تتداخل وتتفاعل مهيئة الفرصة لصيغة جديدة ، وتحمي الفرد مما تحمله المرحلة الجديدة من ألوان الإحباط وقد عرض ـ أريكسون ـ لثمان مظاهر للصحة النفسية ـ على مدى ثمان مظاهر للنمو وهي :

1 ـ الإحساس بالثقة (في السنة الأولى من حياة الطفل) .

2 ـ الإحساس بالاستقلال (من الشهر 12-15) .

---

(1) محمد السيد الهابط ، حول صحتك النفسية ، ص 277 .

3 ـ الإحساس بالمبادأة (من السنة الرابعة حتى الخامسة) وهذه تتمثل بالتعلم ، ولفت الأنظار وحب الاستطلاع . والرغبة في تحقيق الخيار على أرض الواقع ، مع عدم الشعور بالإحباط ، وعدم الإحساس بالذنب .

4 ـ الإحساس بالإنجاز (من 11-12 سنة) فهو يساعد في أعمال البيت ورفاق اللعب .

5 ـ الإحساس بالهوية . وهذا في بداية المراهقة ، حيث يبدأ اتخاذ مواقف خاصة .

6 ـ الإحساس بالتآلف وإنشاء العلاقات مع الجنس الآخر ، أو مع نفس الجنس تقوم على المشاركة والود والمخالطة ، وهذه بين (16-17) سنة .

7 ـ الإحساس بالوالدية ـ وذلك ابتداء من سن الواحدة والعشرين .

8 ـ الإحساس بالتكامل (45 سنة) حيث تتضح وتتبلور موضوعات ومفاهيم كالكرامة والحب والكفاح . والإحساس بالتكامل يعني أيضاً إدراك الفرد بأن حياته هي مسؤوليته وحده ، وأنه مستعد للدفاع عن كرامته وقيمته وأهدافه في مواجهة ما يتهددها ، لأن دفاعه عن مبادئه هو دفاع عن الأنا كلها .

والمحافظة على صحة الأطفال النفسية يمكن أن تتم عبر خطوات عدة أبرزها :

أ ـ أن نعرِّف الأطفال بنفوسهم قدر المستطاع . على طريقة سقراط ـ إعرف نفسك ـ .

ب ـ أن نعودهم مواجهة المشكلة لا الهرب منها ، لأن الهرب منها لا يحلها بل يؤجل فقط ذلك الحل ، مع تبصيرهم بكيفية هذه المواجهة .

ج ـ أن نضع لهم أهدافاً يسعون إلى تحقيقها ، وإذا كانت هذه الأهداف قريبة لأحد وسهلة التحقيق ، فهي أهداف يُسر الطفل ويغتبط لتحقيقها ، وتحقيق هدف ما قد يكون الطريق إلى تحقيق أهداف أخرى .

د ـ المشاركة والمصارحة مبدآن يجب أن يضعهما الطفل في صلب عمله اليومي .

هـ ـ التركيز على الواقع اليومي المعاش ، وحصر النشاطات في أعمال تطبيقية متعلقة بالبيئة .

ـ هـ ـ

الصحة النفسية للأهل وللمجتمع

إن الاهتمام بصحة الأهل النفسيّة ـ وتهيئة الجو الاجتماعي لقبول طروحات علم النفس التربوي واللجوء إليه في حل المشكلات التربوية ، ومن ثمة توجيه الأهل إلى كيفية التعاطي مع أولادهم هي أمور ضرورية جداً ، لأن الأهل إذا لم يتمتعوا بصحة نفسية سليمة ، سيكون من الصعب بل من المستحيل أن يقوموا بهذا الدور النفساني نحو أبنائهم . من أجل ذلك فنحن ندعو المؤسسات التربوية المعنية بهذا الموضوع إلى وجوب القيام بحملة تثقيفية نفسية ـ تربوية ، يقوم بها الباحثون والدارسون ، تساعدهم في ذلك وسائل الإعلام على اختلافها والقيام بلقاءات وندوات ، ومحاضرات ، وبذلك نهيىء الأرض الخصبة لإنجاح الدور النفساني المدرسي ، من أولى هذه المهمات : الابتعاد عن وسائل العلاج النفسي التقليدية المتمثلة بالتعاويذ والسحر والطلاسم وباقي أعمال الشعوذة التي لم يقرها العقل ولا العلم وقد ألصقت جهلاً وظلماً بعلم النفس ، وهي بعيدة عنه كل البعد .

بعد ذلك يجب التوجه بإخلاص وانفتاح نحو العيادات النفسية ودون عقد أو تخوف من توجيه تهمة عدم السواء لهؤلاء الأهل ، أو عدم صلاحيتهم للقيام بالعملية التربوية .

والأمراض النفسية كما تصيب الأفراد فهي أيضاً تصيب المجتمع ، وما

الخلاعة والانحرافات الإجرامية المتنوعة ، وتعاطي المخدرات ، وأعمال الشغب والسرقة ، وسوء الأمانة ، والمقامرة والغش والخداع وغيرها سوى مظاهر للانحلال الاجتماعي ، الذي هو نتيجة للأمراض النفسية التي تصيب هذا المجتمع والتي لم تجد طريقها إلى الحل أو العلاج . وهذا يؤثر بدوره على الأفراد الذين يعيشون فيه . والعلاج هو في القيام بالعمليات الوقائية التي أشرنا إليها ، وتنسيق العمل بين المؤسسات الاجتماعية كافة للوصول إلى مجتمع سليم خالٍ من الأمراض النفسية ، يسود التعاون بين أفرادها لصالح النفع العام والمؤسسات المؤهلة للقيام بهذا العمل الجبار وقيادته هي البيت والمدرسة ، وهما القادران على استقطاب الأجيال الناشئة والتأثير فيها وتوجيهها توجيهاً سليماً لتقدمها إلى المجتمع أجيالاً سليمة سوية ، معافاة ، وبذلك يصلح المجتمع وتتحسن صحته النفسية .

ويحمل الكاتب الفرنسي (كوكتو) السلطة الأبوية مسؤولية تنشئة الأولاد العصاة ويقول «إنهم نتيجة لغياب السلطة الأبوية ، غياب السلطة العائلية كلها فالأولاد العصاة ، هم خنافس قبل التأديب»[1] .

كذلك استمد (سارتر) تشاؤمه ، من مذكرات طفولته وصباه ، ومن مشاهد ما يتعلق بتأثير الأب في الأسرة يقول «لا يوجد أب جيد . هذه هي القاعدة التي نشكو وجودها في الرجال ، وفي علاقات الأبوة العفنة ، التي تتلخص في إنجاب أولاد وليس أكثر Faire des enfants de mieux ، فأبي لم يسهر عليَّ ، كان دائماً يحطمني ، وللحظ أنه قد مات في سن مبكرة»[2] .

وتعطي (سيمون دي بوفوار) انطباعاتها عن عائلتها فيقول : إن أمها كانت بعيدة عنها فكرياً ، متقلبة المزاج ، أما عن والدها فتقول «كنت أراه قليلاً ،

---

(1) Géorgeos Heuger, L'enfance, p. 126.

(2) Même ref, L'enfance, p. 127.

كنت سعيدة عندما كان يهتم بي ، ولكن لم يكن له دور محدد في حياتي»[1] ، وتقول : «الولد المتمرد هو حصيلة العائلة التقليدية القاسية ، فالطفل في الثالثة من عمره يعترض وينازع ولذا قيل أنه عمر الـ (لا) «C'est exact, C'est L'âge des «nom»[2] ففيه يحقق نموه الحركي ، واستقامة رأسه ومشيه ، وابتسامته الأولى ، حتى الكلمة الأولى التي يولِّدها تجعله في علاقة مع الوسط العائلي وتغذيته ، وظهور عاداته الوراثية والمكتسبة .

---

(1) S. de Bauvoir, Les miroires d'une jeunne fille rangée, p. 279.

(2) S. de Bauvoir, Les miroires d'une jeunne fille rangée, p. 280.

ـ و ـ

الأسباب المهيئة للمرض النفسي

هناك عدة عوامل تعتبر مسببة للمرض النفسي منها :

1 ـ الوراثة
2 ـ الجنس
3 ـ المرحلة العمرية
4 ـ العوامل البيئية
5 ـ العوامل المهنية
6 ـ الأحداث السابقة .

من أجل ذلك فعلى القائمين على رعاية المرضى النفسيين أن يكونوا :

أ ـ شديدي الانتباه ، يقومون بعملهم بدقة متناهية .
ب ـ قادرين على ضبط انفعالاتهم .
ج ـ أن يتحلوا بالصبر ، لأنهم يتعاملون مع أناسٍ غير عاديين .
د ـ أن يكونوا متعاونين مع بعضهم لمصلحة المرضى النفسانيين .
هـ ـ رفقاء معطائين .
و ـ مدركين لأهمية دورهم ودقته .
ز ـ عدم السخرية من المريض .
ح ـ عدم مناقشة الأمور أمامه .

ط ـ التقليل من إعطاء المنبهات أو المهدئات .
ي ـ المراقبة الدقيقة/ النبض ، درجة الحرارة. . . الخ/ .
ك ـ المحافظة على نظافة النزلاء .

ويعمل في العلاج النفسي فريق متكامل يطلق عليه (الفريق السيكياتري) ويكون عادة مؤلفاً من الأخصائي النفسي ، والأخصائي الاجتماعي ، والطبيب النفسي (والعقلي) ، ويمكن أن يشارك هذا الفريق متخصصون في مجالات الطب العام ، وأمراض الغدد ، وأخصائيون في الكيمياء الحيوية ، حيث يقوم كل بدوره في الجانب الخاص به ، وتجمع التقارير التي يكتبونها عن الحالة وتناقش ليتم تشخيصها ، وترسم بعد ذلك خطة العلاج ويقرر الطبيب النفسي نوعية العقاقير اللازمة في هذا المجال ، ويقوم كل واحد من أعضاء الفريق بدوره في المجال الذي هو متخصص فيه في معالجة المريض ، وفق الخطة المرسومة حتى تم الشفاء .

أسباب تردي الصحة النفسية :

1 ـ الاضطرابات البيولوجية (نمو ناقص ، نمو زائد ، اضطرابات هرمونية) .
2 ـ اضطرابات ناتجة عن الحمل والولادة .
3 ـ الإصابة ببعض الأمراض كالحميات على أنواعها .
4 ـ النقلة من وسط اجتماعي ، إلى وسط اجتماعي آخر أكثر تعقيداً ، وبطريقة مفاجئة أو قسرية ، ويمكن إرجاع المشكلات إلى ثلاثة أسباب : عضوية ، ونفسية ، وعقلية .

العلاجات النفسية : يتم ذلك بأسلوبين :

أ ـ الأسلوب الكلامي .
ب ـ التحليل النفسي .

أ ـ الأسلوب الكلامي :

ويتوقف نجاح هذا الأسلوب على نوعية الكلام ، وطريقة الحديث والتي لها دورها البارز والهام ، فللكلمات قوة سحرية في تغيير وجهة نظرنا إلى الأشياء فالألفاظ تأتي أحياناً بنتائج عكسية ، فالكلام الكثير عن الاطمئنان والابتعاد عن الخوف في الحالات العادية من شأنه أن يركز الانتباه على المواقف المخيفة وشخصية المعالج تلعب دوراً هاماً في هذا المجال ، الذي يفترض أن يكون :

. مُعداً إعداداً تربوياً سليماً ، وإعداداً نفسياً جيداً ، وأن يكون موضوعياً ، لا يأخذ بظواهر الأمور دون التطرق إلى الجوهر .
. النبرة الصوتية يجب أن تكون معتدلة ، وهادئة ومعبرة .
. المظهر الخارجي المتواضع ، لأن الهندام والمظهر الحسن يعملان على تقوية موقع المعالج ويجعلان لكلماته ارتياحاً في النفس .

ب ـ التحليل النفسي :

الأهل هم الذين يأتون بأطفالهم إلى المحلل النفسي ليقوم بالعلاج ومن منا فإن العلاقة الأولى هي التي تنشأ بينه وبين الأهل ، ومن خلالهم يتوصل إلى لكثير مما يريد في عمله .

وموقف الوالدين من العلاج النفسي متأثر بالأفكار المسبقة والسلفية عن مذا الموضوع ، وهذا يشكل بعض العوائق أمام العلاج ، لأنه يعكس لمقاومات اللاواعية المتمثلة في موقف الجمهور ضد التحليل النفسي عامة . وإن كان من تأييد ، فإنما هو تأييد سطحي ، حتى إن بعض الأهل يعتبرون أن عرض أبنائهم على المحلل النفسي يفتح عينه على مشاكل يريدون تجاهلها ، نهم يقللون من شأنها بطريقة لاشعورية .

لذلك فالمقابلات الأولى تهدف إلى تقدير صلابة الأهل والتحقق من

تعاونهم في هذا المجال وتتيح الفرصة لتقصي مرضهم بالذات . فهم ينكرون أية مسؤولية عن اضطرابات ولدهم النفسية ، ويبالغون في تضخيم الكفاءة التربوية والأخلاقية التي يتمتعون بها ، وبذلك تصبح المواجهة مزدوجة : مع الأهل من جهة ، ومع الولد من جهة أخرى .

إن بعض المحاولات لتربية الأهل أعطت ثمارها ، وكذلك محاولة تدريب المعلمين ، واستطاع هؤلاء ترك أو تغيير التصرفات التي تؤذي الأولاد الذين هم في رعايتهم ، فقد تجنبوا القصاصات والمكافآت المفرطة والتي يعتبر ضررها أكثر من نفعها ، وأمكن كذلك محاربة بعض الأفكار المسبقة ، وتجنب المواقف التربوية المتصلبة ، وبذلك يكون التحليل النفسي قد غيَّر عدداً من المواقف التربوية ، لكن بعض ممارسات التربية الحرة ، قد فسرت بشكل خاطىء من الأهل ، مما أدى إلى الخلط بين التسامح والحرية والفوضى ، فلم يستوعب كثيرون من الأهل والمربين إلا لفظة (حرية) والتي تعني بالنسبة لكثيرين منهم إزالة كل منع ، وكل ضغط من أمام وجه الولد ، لذلك فعمل المحلل النفسي في هذا المضمار يكون فعالاً ، إذا ساعد الأهل والمربون في وعي أزماتهم النفسية التي تحدد علاقتهم بالولد .

هذا الموقف الذي يتخذه الأهل والمربون من العلاج النفسي ، يتراوح بين الطلب المحدد في قبول المساعدة النفسانية لهم ولأولادهم ، وفي بعض الحالات يكفي العلاج النفسي للأهل لإزالة مصاعب الولد ، وتدخل مسألة ذكاء الوالدين ومستواهما الثقافي والعلمي في موضوع تقبل أو عدم تقبل العلاج . وقد اقترح بعض المربين إنشاء علاقات نفسية للدعم أو لوقاية الأولاد من امتصاص الأمراض العصابية والنفسية التي يصاب بها الأهل والمدرسون ، وذلك بأن تقدم لهؤلاء الحلول المسبقة لمشاكل قد يتعرضون لها مع أولادهم في المستقبل وذلك عن طريق المحاضرات والندوات وعبر وسائل الإعلام المختلفة .

وهناك أسلوب آخر يعتمد غير الأسلوبين المذكورين . وهو الأسلوب الطبي المحض والذي يتمثل في استعمال العقاقير والأدوية المنشطة ، وهذه لا يمكن اعتمادها إلاّ عن طريق العيادات النفسية وكذلك اعتماد نظرية الثواب والعقاب . وكل هذه الطرق تعتبر مكملة بعضها بعضاً .

أهداف العلاج النفسي :

هناك أهداف كثيرة وهذه أبرزها :

أ - إزالة الاضطرابات ، والتي تعوق النمو والتكيف والتحصيل العلمي .
ب - تعديل نظرة الولد إلى نفسه وإلى الآخرين دون تطرف .
ج - التنفيس عن الرغبات .
د - الاهتمام بالسلوك وتنظيمه .
هـ - فهم حاجات ورغبات الولد وتعويضها أو إشباعها .
و - زيادة الشعور بالأمن .

ولأن القلق ، يضرب بمنشاره أعصاب الآباء فإن هذا ينعكس على عملية تربيتهم لأطفالهم ، إذ يقلد الوالد والديه ويتأثر بهما ، ثم هو يتقمّص عن طريق الإيحاء أحاسيسهما ومشاعرهما في هذا المجال . من أجل ذلك نشرت الجمعية القومية للصحة العقلية في أميركا عام 1958 كتاباً لمؤلفين أميركيين (ستيفنسون ، وميلت) وأعلن عنه في الصحف وعنوانه - كيفية التعامل مع توتراتك جاء فيه[1] :

1 - يجب أن تبوح بأسرارك ، أو أن تتحدث عن متاعبك لشخص عاقل وحكيم متزن يكون محلاً لثقتك .
2 - أهرب من حياتك ، ولو لفترة قصيرة . كأن تلقي بنفسك في إحدى دور

---

(1) د. عبد الرحمٰن العيسوي ، علم النفس ومشكلات الفرد ، ص 221 .

السينما أو مع كتاب شيق ، أو العيش مع مباراة جميلة ، أو برحلة صيد .

3 ـ استنفد غضبك عن طريق صب طاقتك في بعض الأعمال (ميكانيك ، تنظيف الكاراج ، العناية بالحديقة) .

4 ـ لا تكن عنيداً واستسلم للآخرين في بعض الأحيان ، فهم سيستسلمون لك .

5 ـ قم بمساعدة الناس ، وستشعر بالسعادة في مساعدة الغير .

6 ـ لا تجعل الأهداف تتراكم . اعمل على تحقيق أهدافك هدفاً هدفاً ، فتراكم الأهداف يوزع الطاقة ويقلل فرص النجاح .

7 ـ لا تعتقد أنك ستصنع المعجزات ، ولا تضع نفسك في المواقف الصعبة ، حتى لا تصاب بالإحباط .

8 ـ لا تكن قاسياً ولا سلبياً في نقدك .

9 ـ لا تعادي أحداً فإن الشخص الذي يشعر بأنك لا تمثل تهديداً لحياته ، يتوقف بدوره عن تهديده حياتك .

10 ـ تعلم أن تقوم بالمبادأة بدل أن تجلس ساكناً ، ولا تتحرك إلاَّ إذا طلب الناس منك أن تعمل .

11 ـ ضع تخطيطاً منظماً لنشاطاتك الترويحية ، فالعمل المستمر بدون ترقية ، يقود إلى التوتر النفسي .

هذه الإرشادات مقدمة للوالدين ، ليتمكنا من مواجهة الحياة بعزيمة وتفاؤل وهمة ، ونشاط وحتى لا تحدث المقولة فعلاً ـ الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون ـ نحن هنا تقدم علاجاً للآباء ، لأننا نريدهم متمتعين بالصحة الجسدية والنفسية السليمة ليتمكنوا من مواجهة مشكلاتهم ومشكلات أطفالهم ، التي هي في نفس الوقت مشكلاتهم ، عملاً بالقول بأن فاقد الشيء لا يعطيه ، لذلك يجري الاهتمام بصحة الأهل النفسية .

- ز -

العلاج النفسي في المدارس

الغاية منه تزويد المجتمع الطلابي بخدمات الرعاية النفسية ، حيث يجب أن يكون في كل مدرسة خبير في الإرشاد النفسي يقوم بدور الوسيط بين المدرسة ومكتب الرعاية النفسية ـ كما هو في مصر اليوم ـ ولا غرابة في ذلك ، فما دام في كل مدرسة مرشد صحي ومدرس للتربية الرياضية والبدنية ، فلا بد من وجود مثل هذا المرشد التربوي لتحقيق صحة نفسية سوية للتلامذة .

ونشير إلى وجوب أخذ الشيء من مصادره ، واستشارة ذوي الرأي والمختصين «وعدم اللجوء إلى محترفي الاتجار بالمرض ، وبسذاجة عقول بعض الناس وحيرتهم أمام الاضطرابات النفسية والعقلية»[1] وهذه الصورة آخذة في التغير التدريجي مع تطور المفاهيم العلمية والتربوية ، ويؤمل معها تطور النظرة إلى مسألة الإرشاد النفسي والتربوي ، حيث لا يبقى علم النفس التربوي علماً كمالياً للترف الفكري ، وللمداولة في المجالات النظرية ، بل يصبح وبفضل المختصين وتعاون أولياء أمور التلامذة عملاً ميدانياً يؤتي ثماره لمصلحة الفرد والوطن ولمصلحة الإنسانية جمعاء .

الصحة النفسية للمدرس :

تبدو ملامح الصحة النفسية للمدرس في النواحي التالية :

---

(1) د. صموئيل مكاريوس . مشكلات الصحة النفسية في الدولة النامية ، ص 9 .

1 ـ إنتاجيته ومقدرته على الاستمرار في العطاء وتحمل الصعوبات .
2 ـ الصلات الاجتماعية الحسنة مع الرؤساء والزملاء والتلامذة ضمن أطر التعاون .
3 ـ إعطاء الفرصة لطلابه للإبداع الخلّاق ، ويحفزهم على التفوق .
4 ـ ألا يفرض نفسه على طلابه فرضاً ، ولا يبتعد عنهم متعالياً ، ويبدي النصح والإرشاد لمن طلبه منه .
5 ـ ألا ينقل إلى بيته مع الكراسات ، قلقه وتبرمه من تلاميذه .
والمدرسون المصابون (بالسيكاثينا) أو الهوس الخفيف ، ومن أعراضه توهم المرض ، يميل معه المريض إلى الاهتمام المسرف بصحته والحفاظ عليها ، ويبالغ في ذلك حتى عند إصابته بعارض خفيف أو تافه ، ومثل هؤلاء المدرسين يعانون من حساسية مفرطة ، وتمركز حول الذات واجترار أفكار الماضي .
6 ـ شعور المدرس بالأمن وعدم التفكير بالعقوبة (التأديب ، والنقل ، والحرمان من العلاوة) .
7 ـ ضرورة الحفاظ على الدور الاجتماعي للمعلم من قبل السلطات الرسمية يدعم صحته النفسية .

دراسة الحالة النفسية للتلميذ :

إن المدرس المخلص الغيور على مهنته ورسالته ، لا يكتفي بمجرد إعطاء المقررات المدرسية ، بل يريد أن ينفذ إلى عمق شخصية تلميذه ، ليعالجها ، في حال وجود ما يثير شكوكه بوجود حالة نفسية غير سليمة ، مستنتجاً ذلك من سلوكيات تلميذه غير المنسجمة مع سلوك بقية زملائه ، أو من تدني مستوى تحصيله وأدائه فإذا توفرت النية بالمعالجة ، والصدق في دراسة الحالة ، وإذا كان يبرر إحجامه عن هذا العمل بحجة عدم امتلاكه للوسائل الكافية والخبرة التربوية اللازمة لدراسة مثل هذه الحالات . فها نحن نضع بتصرفه نموذجاً

لدراسة حالة نفسية ، يمكن أن يحال التلميذ بموجبها إلى العيادة النفسية ـ إذا تطلب الأمر ذلك ـ ويكون المدرس قد قطع شوطاً كبيراً في مساعدة المعالج النفسي في هذا المجال ، وإليكم النموذج :

ـ الاسم : . . . . العمر : . . . . الجنس : . . . .

ـ الحالة الاجتماعية للأهل : . . . . عمل رب الأسرة : . . . .

ـ نوع الشكوى : . . . .

ـ تاريخ ملاحظة تغير السلوك : . . . .

ـ الوضع العائلي : . . . . (شخصية الأب ، مركزه الاجتماعي ، دخله ، الأمراض العائلية) . . . .

ـ وضع الأم : . . . . (شخصيتها ، علاقاتها). . . . .

ـ الأخوة والأخوات : . . . . (العدد ، علاقاتهم ببعضهم البعض ، مركز الولد في الأسرة). . . . .

ـ درجة تحصيله المدرسي : . . . . نسبة الذكاء : . . . . (من خلال نتائج الروائز) . . . .

ـ نتائج الكشف الطبي في حال وجوده . . . . (من خلال الملف الصحي) . . . .

ـ رأي المدرس الشخصي (التشخيص) . . . .

ـ اقتراحات العلاج. . . . . (حسب رأي المدرس نفسه) لأنها قد تعتمد من قبل الطبيب النفسي إذا كانت ملائمة .

ثم تجري بعد ذلك مراقبة العلاج ، وتدوين المتغيرات الحاصلة والملاحظات والاقتراحات الجديدة .

ونجاح العلاج النفسي يعتمد على شخصية المعالج ، ومدى إيمانه بطريقته في العلاج ، ورغبته وإخلاصه ويجب أن يتحلى المعالج بالنفس الطويل

والابتعاد عن اليأس ، وأن يكون متروياً ، وعليه أن يأخذ موقفاً سلبياً في بدء العلاج وألا يتسرع في إعطاء النصيحة وإبداء الحكم على موقف ما «ويوزع العلاج عادة كالآتي 70% للتفريغ النفسي . 20% للاستفسار 10% للنصيحة والإرشاد»[1] .

(1) د. أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، ص 124 .

الفصل السادس
دراسة الشخصية

أ - مفهوم الشخصية .
ب - اختبارات الشخصية .
ج - تأثيرات ، تسهم في تكوين الشخصية .
د - تخطيط الشخصية وأساليب دراستها .
هـ - الشخصية والإبداع .
و - اضطرابات الشخصية .
ز - سمات الشخصية القوية .

ـ أ ـ

مفهوم الشخصية

الشخصية من أهم وأبرز الموضوعات في علم النفس ، فكل الدراسات والأبحاث لا قيمة لها ، ما لم يكن لها مردود ملحوظ على الشخصية وتطورها ونموها ، وحمايتها من الأخطار التي تهددها .

والشخصية هي الموضوع الذي تتمحور حوله موضوعات علم النفس في معظمها ، إذ هي النافذة التي نطل من خلالها على الآخرين ، وهي التي ترافقنا طيلة حياتنا ، وحيثما كنا ، وأياً كان موقفنا . والشخصية هي وراء كل سلوك أو عمل ، تدرس في مختلف المجالات في الأدب ، والسياسة ، والعلوم الجنائية ، والعلوم الاجتماعية .

ومن خلالها نعرّف برجالات الأدب ، والفلسفة ، والقادة العظام ، والموهوبين .

ولقد تعودنا في حياتنا اليومية ، وعندما يقع أحد في نفوسنا موقفاً حسناً أو محبباً ، فنقول بأنه قوي الشخصية ، والذي لا يحظى بمثل هذا التقدير ، نصفه بأنه ضعيف الشخصية . هذا التصنيف المزاجي والعشوائي ، يحمل في نظرنا بعض الحقيقة لكن الحكم ليس حكماً سليماً ، وليس تعريفاً علمياً واقعياً .

فالشخصية هي «مجموع خصائص الشخص النفسية والجسمية التي تجعل منه ذلك الشخص بالذات دون غيره»[1] وهي تشمل الأنماط السلوكية ونسبة الذكاء والمقدرة على التكيف ، ومواجهة الأزمات في المواقف الجديدة بواقعية ووضوح بالإضافة إلى القيم الدينية والخلقية . فالشخصية هي نتاج تفاعل هذه المكونات مجتمعة .

وفي اللغة الأجنبية (الفرنسية ، والإنجليزية) أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية ، وهي في العربية من شخّصَ بمعنى نظر ، وشخّصَ بمعنى عيَّن وحدَّدَ . ولكن أكثر التعاريف تداولاً هو التعريف الاجتماعي فيقال : فلان ذو شخصية قوية وآخر ذو شخصية ضعيفة معتمدين في ذلك على قوة التأثير في الآخرين ، أو ضعفه ، والواقع أن الذين يعتمدون هذا التعريف فهم ينظرون فقط إلى الناحية الاجتماعية متجاهلين الخصائص الأخرى .

«والحديث عن الشخصية يقصد به الإشارة إلى النظام الأساسي الذي يؤلف بين هذه الوظائف ويجعلها تعمل معاً ، بأساليب متباينة تختلف اختلافاً ملحوظاً من شخص لآخر»[2] وللرازي رأي هام في هذا الموضوع حيث يقول «الفراسة هي عبارة عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة ، وهو رأي أقرب ما يكون إلى قولنا في الوقت الحاضر ، أننا نصل إلى معرفة البناء الأساسي للشخصية عن طريق مشاهدتنا لمظاهر السلوك المختلفة» ويقول في مكان آخر «إذا عرفنا كون الإنسان سريع الغضب في كل شيء عرفنا أنه لا يكون تام الفكر في الأمور»[3] .

ومن التعريفات المتداولة للشخصية : تعريف «البورت» والذي يعتبر حتى

(1) د. كمال الدسوقي ، علم النفس ودراسة التواكل ، ص 229 .

(2) د. مصطفى سويف ، علم النفس الحديث ، ص 189 .

(3) المرجع نفسه ، ص 250 .

الآن من أقرب التعاريف إلى الواقع : «الشخصيّة ، هي التنظيم الديناميكي في الفرد لجميع التكوينات الجسمية والنفسية ، وهذا التنظيم هو الذي يحدد الأساليب الفريدة التي يتوافق بها الشخص مع البيئة»[1] ويتفق جيلفورد مع البورت بأن الشخصية هي عبارة عن ذلك النمط الفريد لسمات الفرد «وهي الطريقة التي يرتبط بها الفرد من خلال أفكاره واتجاهاته وأفعاله بالعناصر الإنسانية وغير الإنسانية في البيئة»[2] .

وإذا كان التحليل النفسي لم يحفل بتقديم تعريف للشخصية ، فإنه يكاد ينفرد من بين التيارات جميعاً باهتمامه ببنية الشخصية «من حيث هي بناء ويقدم صورة عن تركيب الجهاز النفسي»[3] .

ولقد تعددت التعريفات ، وانقسمت الآراء بانقسام العلماء والمدارس التي ينتمون إليها ، فتعريفات علماء الاجتماع . أشارت إلى العادات التي يسير عليها الفرد ، وإلى المؤثرات الاجتماعية وإلى اللغة ، ويؤكد (سوروكن) على أهمية موضوع الشخصية في علم الاجتماع لاعتباره أن الأفراد هم المكونات الأساسية في كل الإنسان ، ومن الصعب أن ينمو الإنسان دون التفاعل الاجتماعي ، وكذلك فإن اللغة لم يكن لها أن تنبثق لولا ذلك .

ولم تنكر تعريفات علماء النفس هذه الحقائق ، لكنها ركّزت على الفرد ، وتأثيره في المجتمع ، واعتبرت أن الشخصية هي مجموعة استعداداتنا المعرفية والانفعالية والنوعية (روباك) . أو هي ما يمكننا أن نتنبأ بما يكون عليه الفرد في سلوكه في موقف ما (كاتل) ويتحدث كاتل عن العناصر التي تتكون منها الشخصية فيصنفها إلى ثلاثة أنواع :

---

(1) د. عثمان لبيب فراج وآخرون ، الشخصية والصحة النفسية ، ص 4 .
(2) د. كاميليا عبد الفتاح ، مستوى الطموح والشخصية ، ص 59 .
(3) د. صلاح مخيمر وآخرون ، سيكولوجية الشخصية ، ص 132 .

- سمات مزاجية (مستوى النشاط ، وسرعة الاستجابة) .
- قدرات وكفايات (ذكاء ومهارات) .
- عناصر ديناميكية محركة للسلوك (فطرية أو مكتسبة) .

لكن بقي تعريف (البورت) كما أشرنا من أفضل التعاريف ، وقد تميز ببعض المزايا الدقيقة ، والفريدة منها :
1 - إيضاحه بأن الشخصية (تنظيم) ديناميكي ، قابل للتغير .
2 - نظر إلى الشخصية كتكوين عام شمولي .
3 - جعل الشخصية موضوعاً من الموضوعات العلمية ، وتحدث عن التكيف وأساليبه وإلى التوافق الوظيفي .

لكن من المآخذ التي سجلت على (البورت) هي : أنه لم يميز بين الإنسان والحيوان في عملية التوافق ، واستخدم تعبير (الفرد) وهو تعبير ناقص ، واهتم بالناحية النفسية والاجتماعية ولم يهتم بالتفاعل الاجتماعي والتجارب .

وهناك «الشخصية الظاهرية التي تعكس على الناس ما يريد صاحبها أن يعتقد الناس فيه ، والشخصية الباطنية الحقيقية هي التي يحتفظ بها الفرد في داخله ، ويحاول إخفاءها ، حتى لا يتعرض لأنواع مختلفة من الصراع»[1] .

«والشخص السليم نفسياً ، يرى نفسه كشخص نشط يؤكد ذاته ، ولديه الإيمان بالتوصل إلى أهدافه ، وذلك بالاقتراب التدريجي المتوالي ، له من الشجاعة ما يمكنه من توقع الصعاب ومواجهتها ، بل وتوقع الفشل الذي قد يؤدي إلى الصدمة»[2] .

---

(1) د. أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، ص 322 .
(2) د. سعد جلال ، الصحة العقلية ، ص 90 .

ـ ب ـ

اختبارات الشخصية

هناك عوامل شتى تفسد ملاحظتنا في مجال اختبارات الشخصية ، فنحن نعجز في الغالب عن ضبط جميع الظروف التي تؤدي إلى الظاهرة ، ومنها الخلط الذي ينشأ عند ملاحظة عدة أشياء في آن واحد . ومن الاختبارات المعتمدة : الاختبارات الإسقاطية وهذه الاختبارات تنقسم إلى قسمين : اختبارات المثير فيها اللغة والألفاظ واختبارات المثير فيها الصور والأدوات .

أولاً : الاختبارات التي تستخدم فيها اللغة :

1 ـ اختبار تداعي معاني الكلمات :

يتألف هذا الاختبار من مئة كلمة ، تذكر بسرعة أمام المفحوص . ويطلب إليه الإجابة بسرعة ، بما توحيه له هذه اللفظة بلفظة مقابلة ، ويحسب الوقت المستغرق في التفكير لغير مصلحة المفحوص ، وتقديم هذه القائمة شفوياً . ويطلب إليه أن يغمض عينيه وقت الإجابة حتى لا يتأثر بما حوله من أشياء وأشخاص .

2 ـ اختبار القصة :

يتحدث الطفل بقصة بسيطة ناقصة ، تترك له إتمامها ، ففي ما يكمله يسقط ما عنده من مشاعر وانفعالات تكشف عما تنطوي عليه نفسه من مكبوتات .

3 ـ اختبار تكملة الجمل الناقصة . مثال :

ـ في بعض الأحيان. . . . أشعر. . . . المدينة. . . .

ـ عندما كنت مريضاً. . . . .

ـ والدي. . . .

المفتاح لهذا الاختيار يقوم على :

ـ القيم السالبة : تعبر عن عدم التوافق ـ أما القيم الموجبة فهي تعبر عن حالات أحسن في توافقها : وتتدرج العلاقة بين (− 3) و (+ 3) ـ − 3 ، − 2 ، − 1 ، صفر ـ وهذا للقيم السالبة . و 1 و 2 و 3. . . . (في القيم الموجبة) .

ثانياً : الاختبارات التي تستخدم الصور والأدوات :

هي عديدة ولكن : نختار منها اختبارين :

1 ـ اختبار تفهم الموضوع أو التات (T,AT) :

يتكون الاختبار من عشرين صورة تعرض على المفحوص بالتدريج ، ويطلب إليه أن يقص ما توحيه له كل منها ، بعد أن نعلمه بأن هذا الاختبار صمم لمعرفة قدرة الخيال عنده . ويجري هذا الاختبار على دفعتين ، إذ أن عرض عشرين صورة في جلسة واحدة سيشعره بالتعب ، وهذا سيؤثر في تفسير النتائج ونتيجة التحليل التي يملك معطياتها . المحلل النفسي أو المرشد التربوي ، نتوصل إلى كشف جوانب كثيرة من الشخصية ، كانت قبل ذلك غامضة مغلقة علينا .

2 ـ اختبار بقع الحبر :

تعرض فيه عشر بطاقات ملوثة بالحبر ، بطريقة فنية ، وأحياناً بطريقة عشوائية ، ثم يطلب إليه أن يعبر عما توحيه له كل منها أو ماذا يحتمل أن تكون كل منها . وفي هذه الحال يعطى المفحوص الوقت الكافي للتفكير ، ثمّ كما في باقي الاختبارات ، يمكن التعرف إلى مزاج وشخصية المفحوص والاختبارات

الإسقاطية ، تفرض على الفرد بعض المثيرات المبهمة ، ويطلب منه أن يستجيب إليها ، فإنه يُسقط على هذه المثيرات المهمة حاجاته ونزعاته دون أن ينتبه أنه يقوم بذلك .

ويعرِّف سعد جلال الإسقاط بقوله «الإسقاط عملية دفاعية يقوم بها الفرد لحماية ذاته من القلق ، وذلك بأن يلصق أفكاره ودوافعه غير المرغوبة بالآخرين أو بالأشياء الموجودة في بيئته»[1] ويعرِّف مصطفى زيدان الإسقاط بقوله «هو أن تنسب ما في نفسك من صفات غير معقولة إلى غيرك من الناس ، بعد أن تجمعها وتضاعف من شأنها ، وبذلك تبدو تصرفاتك منطقية معقولة»[2] .

وتفسير هذه الاختبارات يتطلب إعداداً فنياً كبيراً كما يتطلب عدداً من المتخصصين في علم النفس الإكلينيكي .

ومن الاختبارات المهمة نذكر :

- اختبار تداعي المعاني «ليونج» وهذا الاختبار يكشف عن العقد النفسية ، وعن الرغبات أو المخاوف المكبوتة ، وقد ثبت أن لهذا الاختبار قيمة بالغة في التحقيق الجنائي ، فإذا فرضنا أن متهماً بجريمة قتل يصر على إنكاره وعدم معرفته للقتيل ، ولم يذهب إلى منزله ، ولا يعرف شيئاً عن مكان الحادث وظروفه ، فتعرض عليه بعض كلمات مما يدور حول وقائع الجريمة ، مع ما يلاحظ من تكرار بعض الأجوبة وما يطرأ عليها من تغيير ، وبذلك يلقي الضوء على كثير من خفايا الجريمة .
- اختبار السمات الانفعالية لـ (بريستون) وهي تتناول السمات المزاجية مثل النشاط والميل إلى بذل المجهود العضليّ والاندفاعية والسيطرة والزعامة .
- اختبارات التكيف لـ (روجرز) .
- اختبارات (أدمز) للشخصية .

(1) محمد توفيق السيد وآخرون ، بحوث في علم النفس ، ص 211 .
(2) المرجع نفسه ، ص 211 .

- ج -
تأثيرات تسهم في تكوين الشخصية

تتكون النواة الأولى للشخصية في السنتين الأوليتين من العمر ، وفيها يكون الطفل في المنزل «فالبيت هو المزرعة الأولى التي تنبت فيها بذور الشخصية»[1] . والمدرسة هي العامل الثاني في تكوين الشخصية عند الطفل ، إذ تتناول الغالب الذي وضعته الأسرة وتعمل فيه تعديلاً وتهذيباً . وفي هذا المجتمع الجديد يشهد الطفل تدريباً منظماً وتكيفاً جديداً مع جماعة من الأصدقاء .

أ ـ العوامل المدرسية المؤثرة في بناء الشخصية :

ويمكن ايجازها بالتركيز على النقاط الهامة الحساسة . كالجو المدرسي ، وما يحل به من ثواب وعقاب ، وتأثير المدرس ، وفرص النجاح ، وأشكال الامتحانات وأنواعها .

ب ـ للبيئة أيضاً أثرها :

للبيئة أيضاً أثرها : ولا سيما الموقع الجغرافي لسكن الإنسان ، ونوع الحياة (زراعة ، صناعة ، خدمات ، تجارة) ثم النظم الاجتماعية (الدين ، والنظام السياسي ، والمعايير الاجتماعية بين الأفراد : تعاون ، حروب ، ثأر ،

---

(1) محمد توفيق السيد وآخرون ، بحوث في علم النفس ، ص 205 .

حب ، هدوء ، سيطرة. . . الخ) كذلك يلعب المستوى التعليمي دوره في هذا المجال .

ج ـ العوامل الجسمية والفسيولوجية :

وأكثر ما يبدو ذلك في حال نقص إفرازات الغدة الدرقية ، إذ يصبح الشخص خاملاً ، عاجزاً عن التركيز ، كذلك يمكن أن نشير في هذا الموضوع إلى أثر المخدرات والكحول ، والعقاقير المهدئة ، وأثرها البالغ على الصحة النفسية وعلى تكوين الشخصية بشكل عام . أما بالنسبة للعجز الجسمي مع ما يخلفه ذلك من شعور بالنقص ، فقد أشار (أدلر) «إلى أن الأفراد ذوي العاهات الجسمية يكافحون في الغالب للتغلب على ما لديهم من نقص ، والتعويض عنه بالتفوق في ميدان معين ، وقد يصيبهم التأثير في اتجاه معاكس ، فيفضي بهم عجزهم إلى الانطواء أو العدوان»(1) وقد لوحظ أن القيادة والزعامة تستلزم في غالب الأحيان صفات جسمية معينة .

د ـ أثر العوامل الوراثية :

هناك الكثير من البحوث التي أثبتت الأثر الكبير للعوامل الوراثية على شخصية الفرد «فقد وُجد بين 690 من الأقارب الفصاميين هم ممن كان لهم أخوة وأخوات توائم وتبينت النسب التالية :

* بين الأخوة والأخوات من أحد الوالدين	% 1,8
* بين من تربط بينهم صلة زواج	% 2,1
* بين الأخوة والأخوات غير الأشقاء	% 7
* بين الأبوين	% 9
* بين الأشقاء	% 14,3
* بين التوائم المتماثلة (من بويضتين مختلفتين)	% 14,7

(1) د. عبد السلام عبد الغفار ، الشخصية والصحة النفسية ، ص 34 .

* بين التوائم المتماثلة الناشئة من بويضة واحدة فشطره 85,8 % . وهذا دليل قاطع يؤيد العامل الوراثي وأثره على الشخصية»[1] .

أثر العوامل الثقافية :

في دراسة أنتروبولوجية قامت بها الباحثة ـ مرغريت ميد ـ أوضحت أن المجتمعات البدائية المتفاوتة تكون أنماطاً متفاوتة من أنماط الشخصية نتيجة الطرق المختلفة التي تتبعها في تنشئة أطفالها وعن طريق ما يغرسونه من اتجاهات معينة ، فقبيلة (أرابيش) مثلاً يطبعون على لين الجانب ، لذا يتصف الراشدون منهم بالحنان والعطف . بينما يدرب الآباء في قبيلة (المتدوكومر) أطفالهم على الخشونة ، فينشأون على الصلابة وقوة المراس ، والمنافسة والميول العدوانية ، وهذه سمات يكافأ عليها عندهم .

حتى المجتمعات المتحضرة ، فهناك تباين بين الشعوب يعود إلى ثقافتهم فالإنجليز يتميزون بالبرود ، في حين يتميز الأسكتلنديون بالبخل ، والعرب بالكرم .

(1) د. عبد السلام عبد الغفار ، الشخصية والصحة النفسية ، ص 34 .

ـ د ـ

تخطيط الشخصية وأساليب دراستها

هناك ثلاث عوامل أساسية تدخل في تخطيط الشخصية :

1 ـ العوامل الجسمية : وتشتمل على :

أ ـ الحالة الصحية العامة .

ب ـ القدرة أو العجز .

2 ـ العوامل النفسية : وتشتمل على :

أ ـ العوامل المعرفية وهذه بدورها تقسم إلى عوامل موروثة كالذكاء ، وعوامل مكتسبة .

ب ـ العوامل المزاجية : وهي أيضاً موروثة ومكتسبة .

3 ـ العوامل الاجتماعية ، وتقسم إلى قسمين :

أ ـ داخل المنزل (حالة اقتصادية ، وضع تربوي ، وثقافي) .

ب ـ خارج المنزل (كطريقة تمضية وقت الفراغ ، الأصدقاء ، العمل) .

هذا التخطيط الذي يجب أن يعرفه المدرسون والآباء ، فعلى ضوئه يمكنهم بناء شخصيات أطفالهم أو توجيهها في مسارها السليم ونذكر بأن رجال التحليل النفسي أعادوا معظم العقد النفسية إلى الطفولة المبكرة ، في تكوينها

وفي تطورها ودرجة حدتها ، وهي التي تتسبب في غالب الأحيان بالاضطرابات النفسية والعقلية وأنواعها المختلفة . ومن طريف ما يروى في هذا المجال أن ضابطاً إنجليزياً كان يهرب من خندقه في الخطوط الخلفية إلى الأمام في مواجهة العدو . وهذا بطبيعة الحال ما يعرضه لخطر أكبر . وقد تبين بالتحليل النفسي أن أمه كانت تقاصصه بحبسه في غرفة صغيرة مظلمة شبيهة بالخندق (الملجأ) المخصص لضباط القيادة في العمليات العسكرية .

أساليب دراسة وتقويم الشخصية :

الشخصية تنظيم معقد ، لذلك فدراستها عملية معقدة . ومعظم أساليب دراسة الشخصية التي تم التوصل إليها لا تتناولها من حيث هي ككل . إنما تتناول تكوينات متفرعة عن الكل .

ومن الطرق المستخدمة في دراسة الشخصية :

1 ـ طريقة الملاحظة .

2 ـ مقاييس التقدير المتدرجة .

3 ـ الاستفتاءات والقوائم .

4 ـ اختبارات الشخصية بمختلف أنواعها .

5 ـ طريقة المقابلة الشخصية .

ـ هـ ـ

الشخصية والإبداع

هناك شبه اتفاق بين العلماء على أهمية السمات المزاجية في عملية القدرة على الإبداع ، «لكن السمات المزاجية التي تنسب إلى المبدعين متناقضة ، تتراوح بين الصحة النفسية من جهة والمرض النفسي من جهة أخرى ، مما يجعلنا في أي موقف يفترض علينا أن نتبين نوع العلاقة بين القدرة على الإبداع والسمات المزاجية المختلفة»[1] .

والعمليات الإبداعية تتجاوز كل ما هو مألوف لتعطينا نتائجها أموراً كثيرة من خارج عالم الوعي . حتى إن الموهوب ذاته يشعر بالدهشة والإعجاب إزاء عمله ، مما يجعله يؤمن أن هذا العمل هو موهبة جاءته من لدن قوى خارجية ، وهو أكبر من جهده الشخصي العادي ، وأن هذا العمل مزية يمكن فقدانها ، ويجب استغلالها قبل فوات الأوان . حتى إن بعض الموهوبين يحدثنا بأن الموهبة تنزل عليهم كالحلم أو كالبرق متمثلة في قصيدة أو معزوفة أو اكتشاف، ثم تمضي وقد لا تعود . من أجل ذلك ينهض العبقري المبدع من فراشه ليلاً ويسارع الخطى ليدون ما أتت إليه به هذه الموهبة .

«وظل الشعراء منذ القديم يستلهمون شياطينهم ويعتقدون أنها مصادر

(1) عبد الحليم محمود السيد ، الإبداع والشخصية ، ص 38 .

إبداعهم خارجة عن ذواتهم»[1] لكن الفضل يعود إلى الحركة الرومنطيقية التي قلبت هذا المفهوم حيث جعلت الإلهام نابعاً من داخل الفنان وليس من الخارج .

والسيكولوجيون يسلمون اليوم بوجود صلة بين الإنتاج الإبداعي والخبرات والعمليات العقلية السابقة ، كما يفرقون بين عمليات التفكير عند الموهوبين من جهة ، وبقية الناس من جهة أخرى .

وللأسف فإن دراسة التفكير الإبداعي لا تحظى بكثير من الاهتمام ، فنحن ننتظر بروز مبدع لندرس من خلاله الإبداع ، وربما يعود السبب في ذلك الإهمال إلى صعوبة إقامة محك عملي للإبداع . والإبداع يرجع للبيئة أكثر مما يرجع للفرد ، وإذا تساوت فرص البيئة أمام الأفراد ، فإنه تظهر فروق عظيمة في العمل الإبداعي بين هؤلاء الأفراد .

وربما يكون من أسباب إهمال دراسة الإبداع ، اعتماد الكثيرين من العلماء بارتباط الإبداع بالذكاء ، أو حتى الخلط بين المفهومين . والحقيقة أن روائز الذكاء ، وهي روائز مقننة ، لا يستطيع المبدع من خلالها أن يُظهر إبداعه ، لأنه متحرر من التقنين ، ومن القوالب الموضوعة سلفاً ، وإن كانت هذه الروائز تكشف في الغالب عن بعض سمات المبدعين . وقد أشار «ثيرمان» في عام 1954 إلى «أن الروائز المطبقة على الأطفال في سن السادسة وما فوق يمكنها أن تنبىء عن قدرة هؤلاء الأطفال على الإنجاز مدى ثلاثين عاماً ، لكنه لا يمكنها التنبؤ باتجاه هذا الإنجاز»[2] .

فالشخص الذي بقيت قدراته مفككة وغير مترابطة لا يُتوقع أن يكون مبدعاً ، «فالسر ليس في ما تملك ، بل في كيفية التصرف في ما تملك» .

---

(1) عبد الحليم محمود السيد ، الإبداع والشخصية ، ص 42 .

(2) المرجع نفسه ، الإبداع والشخصية ، ص 54 .

وأبرز العاملين في مجال الدراسات الإبداعية الساعية إلى الكشف عن سر الإبداع والمبدعين (جيلفورد في كاليفورنيا ، وكالڤن تايلور ، في جامعة بوتاه ، ودونالد ماكينون ، وفرانك بارون ، وبوڤالو ، وبول تورانس في جامعة مينسوتا وغيرهم) .

وأفضل طريقة نسديها للآباء والمدرسين ألا يعوّدوا الطفل على تلقي الحلول الجاهزة لكل ما يواجهه من المشكلات ، بل يجب أن تترك له مهمة البحث والتنقيب عن هذه الحلول .

ويرى بارون «إن المبدعين أكثر اضطراباً من الناحية النفسية ، إلاَّ أن لديهم وسائل وحيلاً أكثر كفاية يواجهون بها هذه الاضطرابات»[1] .

ولا شك بأن المبدعين يتمتعون بقوة (الأنا) وهم أقدر من غيرهم على تحقيق المركز الاجتماعي وقبول الذات ، والأداء المستقل ، وأكثر مبادأة ، ودافعية إلى النشاط العقلي .

وقد توصل العلماء إلى اكتشاف الترابط بين الحالة العامة للشخصية والتفوق في المجالات اللفظية ، فقد تبين لجيلفورد ومعاونيه «أن درجة الميل العصابي التي تتسم بالانقباض والتشاؤم ترتبط ارتباطاً سالباً بالطلاقة الفكرية وأن كلاً من الثقة بالنفس والحساسية الانفعالية أو سهولة استثارة المشاعر ترتبط ارتباطاً موجباً بالطلاقة الفكريـــة»[2] .

ويلاحظ أن المبدعين ، أثناء الاختبارات ، يفضلون الأشكال المعقدة ، لمقدرتهم على مواجهة التعقيد بطرق مختلفة ، بينما لا تثير الأشكال البسيطة اهتمامهم كثيراً .

---

(1) عبد الحليم محمود السيد ، الإبداع والشخصية ، ص 263 .

(2) المرجع نفسه ، الإبداع والشخصية ، ص 282 .

- و -

اضطرابات الشخصية

يتميز المصابون بالأمراض النفسية بالميزات التالية :

1 ـ حساسية زائدة في مواجهة مواقف النقد والإحباط .
2 ـ الخوف من المبادأة وحب الذات والتناقض الوجداني .
3 ـ التبلد الذهني وعدم الإحساس بطعم الحياة والخمول .
4 ـ إسقاط الانفعالات على أشخاص لا صلة لهم بإثارتها .

أما أسباب اضطرابات الشخصية فهو ناجم عن تضافر عدد من العوامل الداخلية والخارجية المتداخلة ، لذلك فإنه من الخطأ أن نبحث عن سبب واحد ، في أية حالة من الحالات ، بل لا بد من الحصول على صورة شاملة لحياة المريض ، لمعرفة كافة العوامل التي أثرت في حياته ، ويمكن أن تنتظم هذه العوامل تحت مجموعتين كبيرتين :

الأولى : مجموعة العوامل العضوية (الوراثة ، العمر ، الجنس ، تأثير المواد السامة كالمخدرات) .

الثانية : العوامل الوظيفية (العامل الاجتماعي والبيئي ، والعوامل الانفعالية ، والتكوين النفسي) .

وعلاج اضطرابات الشخصية ، يتم بالإرشاد النفسي وبالعلاج النفسي .

وفرويد ، يرى أن لعقدة أوديب الأثرْ البالغ في تشكيل العقدة النفسية المسماة (بعقدة أوديب) وتأثير هذه العقدة في اضطرابات الشخصية . والحقيقة أن فرويد مبالغ جداً في التركيز على عقدة أوديب «فقد أثبتت دراسات العالم الأنتروبولوجي (مالينوفسكي) بأن عقدة أوديب وافتراضاتها لا توجد في كثير من المجتمعات التي حاول فرويد تعميم استنتاجه عليها»[1] .

---

(1) د. عطوف ياسين ، قضايا نقدية فى علم النفس المعاصر ، ص 65 .

ـ ز ـ

سمات الشخصية القوية

الشخصية المتكاملة هي الشخصية السوية الموحدة المتزنة . وتتضمن تكامل الشخصية تفاعل سماتها بعضها مع بعض وتآزر بعضها مع بعض ، بحيث إن التغير في سمة من سماتها تنعكس على الشخصية بأكملها فيؤدي إلى تغييرها . والتكامل يختلف عن مجرد التآزر ، في أن الأجزاء المقومة تفقد هويتها إلى حد ما في الوحدة المتكاملة ، كما تفقد ألوان الطيف مظاهرها حين تتكامل في اللون الأبيض .

ومن شروط تكامل الشخصية :

أ ـ ائتلاف سماتها بعضها مع بعض .
ب ـ خلوها من الصراعات النفسية الشعورية واللاشعورية .
ج ـ تناسق الدوافع المختلفة وتنظيمها على نحو يجنبها التصارع والتعارض .

وتحقيق هذه الشروط يقتضي وجود وراثة غير مثقلة بالمشكلات ، وتربية رشيدة في مرحلة الطفولة المبكرة ، وإرشاداً دقيقاً في مرحلة المراهقة ، ومثل الشخصية المتكاملة كمثل أسرة يتعاون أفرادها بعضهم مع بعض يحكمهم غرض واحد يوجه نشاطهم ويؤلف بين قلوبهم ، ومثل الشخصية المفككة كمثل فريق من لاعبي كرة القدم قام بينهم شجار فشغلهم عن الغرض الذي يلعبون من أجله فكانت العاقبة هي الفشل .

وتكامل الشخصية ليس بالأمر السهل ، فهو كالصحة الجسمية التامة ، أمر لا وجود له . ومن علامات تكامل الشخصية :

1 ـ انسجام الشخص مع غيره من الناس ، والمقدرة على عقد الصلات الاجتماعية بشكل مُرضٍ ، دون أي شعور بالاضطهاد أو شكوى من الآخرين ، ودون أن يزعجه النقد الموجه له منهم ، فناقص التكامل ظمآن أبداً إلى المديح والتقدير ، ويغضب إذا لم يؤخذ برأيه ، يكره دون سبب معقول ، يشعر بأن الناس تهمله وتزدرنه .

2 ـ وحدة السلوك وثباته واستمراره .

3 ـ غلبة الأهداف البعيدة على الأهداف القريبة كحرمان النفس من لذة عاجلة للحصول على فائدة مستقبلية .

وتكامل الشخصية شرط ضروري للصحة النفسية السليمة بل يكاد يكون مرادفاً لها .

4 ـ القدرة على إحداث إصلاحات في البيئة المحيطة .

5 ـ الاستقرار في حياته الأسرية ، وشعوره بالسعادة والطمأنينة .

6 ـ القدرة على الإنتاج ومواصلته في المجال الذي هو فيه .

7 ـ مواجهة الأزمات والشدائد بقوة إرادة وأعصاب دون اللجوء إلى الأساليب الملتوية .

8 ـ قابلية النظر إلى النفس بطريقة حيادية ، مع المزاج اللطيف ، والقدرة على الاستبصار لمراكز الضعف والقوة ، وهذا هو الإحساس الذاتي .

9 ـ القابلية للعيش وتنوع النشاطات في عدة حقول .

أما غير المتكامل الشخصية فهو :

أ ـ غير ثابت في عمله ومعاملاته ، متقلب المزاج .

ب ـ سيء التوافق مع نفسه ومع الناس ، لا يستطيع التوفيق بين الماضي والحاضر والمستقبل .

ج ـ الانتقال السريع بين هذيان العظمة والشعور بالامتهان .

ويرى (ماكدوجال) أن تكامل الشخصية مرهون بانتظام ما لدى الفرد من غرائز وعواطف ثم انتظام هذه العواطف في بناء تتوجه عاطفة اعتبار الذات ، أما فرويد فيرى أن تكامل الشخصية مرهون بقوة الأنا التي تعمل على التوفيق بين الهو والأنا العليا .

قائمة المراجع

1 ـ آرتوس ، أندريه. طفلك ذلك المجهول . ترجمة عبد المنعم الزيادي . مكتبة نهضة مصر ، 1963 .

2 ـ د. أحمد ، محمد عبد السلام . القياس النفسي والتربوي . المجلد الأول . مكتبة النهضة المصرية (د. ت) .

3 ـ أوفرستريت ، هنري . العقل المنطلق . ترجمة عبد الحميد ياسين . مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر . بيروت ـ نيويورك 1960 .

4 ـ بيتش ، أدغار . فرويد ، ترجمة تيسير شيخ الأرض . دار بيروت للطباعة والنشر 1954 .

5 ـ توم ، دوجلاس . توجيه المراهق . ترجمة جابر جابر وآخرون . دار النهضة العربية ـ بيروت 1963 .

6 ـ د. جلال ، سعد . الصحة العقلية . دار المعارف بمصر 1976 .

7 ـ جعفر ، محمد محمد . الغيرة . مكتبة الأنجلو المصرية 1964 .

8 ـ د. جابر ، سامية محمد ، الانحراف والمجتمع . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية 1990 .

9 ـ د. حسين ، محمد عبد المؤمن . مشكلات الطفل النفسية ، دار الفكر الجامعي 1986 .

10 ـ د. حطب ، فؤاد وآخرون . التقويم النفسي . مكتبة الأنجلو المصرية 1979 .

11 ـ د. خير الله ، سيد محمد وآخرون . القدرات ومقاييسها . مكتبة الأنجلو المصرية 1966 .

12 ـ د. خفاجي ، فاطمة أحمد . في الصحة النفسية . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية 1990 .

13 ـ د. دسوقي ، كمال . علم النفس ودراسة التوافق . مكتبة النهضة العربية . بيروت 1974 .

14 ـ د. الديواني ، مصطفى . حياة الطفل . مطبعة النهضة المصرية . الطبعة الحادية عشرة 1984 .

15 ـ د. سويف ، مصطفى. علم النفس الحديث . مكتبة الأنجلو المصرية 1967 .

16 ـ السيد ، محمد توفيق وآخرون . بحوث في علم النفس . مكتبة الأنجلو المصرية 1978 .

17 ـ سمير نوف ، فيكتور. التحليل النفسي للولد . ترجمة د. فؤاد شاهين . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت 1978 .

18 ـ سترن أدث ، وآخرون . الطفل العاجز . ترجمة فوزية محمد بدران ومراجعة د. أحمد زكي صالح . دار الفكر العربي 1961 .

19 ـ السيد ، عبد الحليم محمود . الإبداع والشخصية . دار المعارف بمصر . القاهرة 1971 .

20 ـ د. صليبا ، جميل . علم النفس . دار الكتاب اللبناني . الطبعة الثالثة 1981 .

21 ـ د. صيداوي أحمد . الإنماء التربوي . مراجعة د. عبد الله عبد الدائم . معهد الإنماء العربي . بيروت 1978 .

22 ـ د. عاقل ، فاخر . أصول علم النفس وتطبيقاته . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الثالثة 1978 .
23 ـ د. عبد الفتاح ، كميليا . مستوى الطموح والشخصية . دار النهضة العربية . بيروت 1984 .
24 ـ د. عبد الغفار ، عبد السلام . مقدمة في علم النفس العام . دار النهضة العربية . بيروت 1968 .
25 ـ عطية ، نعيم . ذكاء الأطفال من خلال الرسوم . دار الطليعة ـ بيروت . الطبعة الأولى 1982 .
26 ـ د. عكاشة ، أحمد . الطب النفسي المعاصر . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة 1976 .
27 ـ د. عمر ، ماهر محمود . المقابلة في الإرشاد والعلاج النفسي . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية 1989 .
28 ـ د. عيسوي ، عبد الرحمٰن . علم النفس ومشكلات الفرد . شركة الإسكندرية للطباعة والنشر 1972 .
29 ـ د. العيسوي ، عبد الرحمٰن . الإرشاد النفسي . دار الفكر الجامعي . الإسكندرية 1988 .
30 ـ د. العيسوي ، عبد الرحمٰن . الأمراض النفسية والعقلية والسيكوسوماتية . دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية 1990 .
31 ـ د. غباري ، محمد سلامة محمد . الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين . المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية 1989 .
32 ـ د. الغيرة ، نبيه . المشكلات السلوكية للأطفال . المكتب الإسلامي ـ بيروت 1398 هـ .
33 ـ د. فرج ، عبد اللطيف حسين . مفاهيم أساسية لتربية الأطفال . دار المريخ ـ الرياض 1983 .

34 ـ د. فراج ، عثمان لبيب وآخرون . الشخصية والصحة النفسية . مكتبة العرفان ـ بيروت 1966 .

35 ـ د. فراج ، محمد فرغلي . مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1971 .

36 ـ فلوجل ، ج . علم النفس في مائة عام . ترجمة لطفي فطيم . ومراجعة د. السيد محمد خيري . دار الطليعة ـ بيروت 1979 .

37 ـ د. فهمي ، مصطفى. مجالات علم النفس . (سيكولوجية الأطفال غير العاديين) مكتبة مصر ـ القاهرة (د. ت) .

38 ـ فوازو ، برنار . نمو الذكاء عند الأطفال . ترجمة د. منير العصرة . مكتبة النهضة المصرية 1976 .

39 ـ د. القوصي ، عبد العزيز . أسس الصحة النفسية . مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الخامسة 1975 .

40 ـ كلاباريد ، أدوارد . التربية الوظيفية . ترجمة محمود قاسم وآخرون . مكتبة الأنجلو المصرية 1968 .

41 ـ لوجال ، أندريه . التأخر الدراسي . ترجمة حسن الحريري وآخرون . دار النهضة العربية (مطبعة الرسالة) 1959 .

42 ـ د. مخيمر ، صلاح . وآخرون . سيكولوجية الشخصية . مكتبة الأنجلو المصرية 1968 .

43 ـ د. معوض . خليل ميخائل . قدرات الموهوبين . دار الفكر الجامعي 1983 .

44 ـ مكاريوس ، صموئيل . مشكلات الصحة النفسية . مكتبة النهضة المصرية 1973 .

45 ـ د. المليجي ، عبد المنعم . النمو النفسي . دار النهضة العربية ـ بيروت 1971 .

46 ـ د، منسى ، محمود عبد الحليم . قراءات في علم النفس . المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية 1987 .
47 ـ الهابط ، محمد السيد . حول صحتك النفسية . المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية ـ الطبعة الأولى 1989 .
48 ـ هربرت ، مرتين . مشكلات الطفولة . ترجمة عبد المجيد نشواني . دار المعارف بمصر 1980 .
49 ـ وولمان ، ب. ب. مخاوف الأطفال . تقديم عبد العزيز القوسي وآخرون . دار المطبوعات الجديدة ، الإسكندرية 1985 .
50 ـ د. ياسين عطون محمود . قضايا نقدية في علم النفس المعاصر . مؤسسة نوفل . بيروت 1981 .
51 ـ طرابيشي ، جورج . سيغموند فرويد . النظرية العامة للأمراض العصابية . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت 1980 .

المراجع الأجنبية

52 - Heuger, Georgeos. L'enfance. Collection S.U.P. Presses universitaires de France. Paris. 1971.
53 - De Bauvoir, Simon. Les mémoires d'une jeune fille rangée. Gallemard Edit. 1970.
54 - Beley, André. L'enfant instable. Presses universitaires de France - Paris. 1968.

ملحق
قائمة بالمصطلحات الواردة مع ما يقابلها بالفرنسية

التحصيل	L'acquisition
العملية التربوية	L'action pédagogique
التكيف	L'adaptation
عدم التكيف	Inadaptation
البالغ	L'adulte
العمر العقلي	L'âge mental
عدواني	Agressif
العدوانية	L'agrèssivité
نمط (بليد الحس)	L'apathique
التعلم	L'aprentissage
الاستعداد	L'aptitude
الانتباه	L'attention
الاتجاه (الميل)	L'attitude
العملية التلقائية	L'automatisme
الخلق	Le caractère
جماعي	Collectif
العقدة النفسية	Le Complexe

Congénital .... وراثي
La Conscience .... الشعور (الوعي)
Le critère .... المعيار
Cabochard .... عنيد
Créateur .... مبدع
La débilité mental .... الضعف العقلي
La depression .... القمع ، الكف
Le diagnostie .... التشخيص
Les disciplines scolaires .... المناهج الدراسية
L'échelle .... القياس
Le milieu éducatif .... الوسط التربوي
L'énergie .... الطاقة
L'énurésie .... التبول اللاإرادي
L'éparpillement .... التشتت
Les epreuves psychologiques .... الاختبارات النفسية
L'équilibre .... التــوازن
L'évolution .... النمو
Les stades de l'évolution .... مراحل النمو
Les facteurs .... العوامل
L'hygiènce psychologique .... الصحة النفسية
L'inconscient .... اللاشعور
Le sentiment d'infériorité .... الشعور بالنقص
L'insuecés scolaires .... الفشل الدراسي
Le quotient intellectuel .... نسبة الذكاء

Le retard intellectuel .... التأخر العقلي
L'intelligence .... الذكاء
L'introversion .... الانطواء
L'intuition .... البداهة
L'investigation .... البحث
La tent .... كامن (مستتر)
Le logique .... المنطق
La maturation .... النضج ، البلوغ
Le milieu social .... الوسط الاجتماعي
Le milieu familial .... الوسط الأسري
Le moi .... الأنا
Les moyens objectifs .... الوسائل الموضوعية
L'objectivité .... الموضوعية
Objectif .... موضوعي
L'optimisme .... التفاؤل
Le stade oral .... المرحلة الفمية
L'orientation professionnelle .... التوجيه المهني
Passif .... سلبي
La personnalité .... الشخصية
La perversion .... الانحراف
Le pourcentage .... النسبة المئوية
Le pronostic .... التنبؤ
La psychometrie .... القياس النفسي
Le redressement .... التقويم ، الإصلاح

Le réel .... الواقع

Le refus .... الرفض

La regression .... النكوص

La réverie .... أحلام اليقظة

Le schematisme .... التخطيط

La sansation .... الإحساس

Le surmoi .... الأنا العليا

Les tendences .... الميول

La tension .... التوتر

La basse tension .... التوتر المنخفض

La haute tension .... التوتر العالي

Le transfert .... الانتقال

Les tybes .... الأنماط

La vocation professionnelle .... الميل المهني

الفهرس

المؤلف

د. محمد أيوب شحيمي

- مدرِّس مادة علم النفس - في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية منذ العام 1982 .
- مدرِّب لمواد : علم النفس التربوي ، وطرق التدريس والثقافة التربوية العامة لمدرسي المرحلتين الابتدائية والمتوسطة بالتعاون مع المركز التربوي للبحوث والإنماء .
- مدرِّس مواد علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي في معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الرابع - الجامعة اللبنانية .

مشاكل الاطفال..! كيف نفهمها ؟

يتحدث ، هذا الكتاب ، عن مظاهر طفولية ، يطلق عليها الأهل والمعلمون صفة (مشكلات) تقلقهم وتؤرق مضجعهم . وغالباً ، ما يسيئون فهمها ، أو يعالجونها بطريقة مغلوطة فالكذب ، والعناد ، والسرقة ، والغيرة ، والمشاجرة ، والتأخر المدرسي ، والتبول الليلي اللاإرادي . جميعها أمور يتعرض لها الأطفال في مراحل معينة من أعمارهم .

ويأتي الكتاب ليصف هذه الحالات لجهة نشوئها وأسبابها ثم يحاول وضع الحلول اللازمة لها ، حتى لا تتحول إلى عُقدٍ يصعب حلُّها فيما بعد .

المؤلف

دار الفكر اللبناني